

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء

بمعلم

الدكتور عبدوي طيبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزني القدرسي

From the Library of
Muhammad T. Hosain

الجزء الثالث

مكتبة وطبعة "كرياطه فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)
وهو الأول من ربيع للهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والجوارح ، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، اللطع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى في تدبير مملكته عن المشاور والوازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وستار الصيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وطى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستمداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكاله وغره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استمداده معرفة قلبه لا بمجرد الجوارح ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو الكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للمعبود واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو الطالب وهو الخاطب وهو العاتب وهو الذي يسعد بالتقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يحجب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر عما من الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهل الانسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين الرء وقلبه ويحولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقبله بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عديين ويرتقى إلى عالم اللائكة القريين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويرصد لما يلوح من خزائن المكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - فعرفه القلب وحقية أوصافه أصل الدين وأساس طرق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في
تفاصيل أخلاق
الصوفية]
من أحسن أخلاق
الصوفية التواضع ولا
يلبس العبدلية أفضل
من التواضع ومن ظفر
بكنز التواضع والحكمة
يقيم نفسه عند كل
أحد مفدارا يعلم أنه
يقيمه ويقم كل أحد
على ما عنده من نفسه
ومن رزق هذا فقد
استراح وأراح وما
يسقلمها إلا العالمون .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القديسي
قال أنا عثمان بن عبد الله
قال أنا عبد الرحمن
ابن إبراهيم قال ثنا
عبد الرحمن بن حمدان
قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعبادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تدفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بجوابه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكمل عن دركه أكثر الأفهام .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في دخول العلماء من محيط بهن الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بضرنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الضویری الشكل للودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود لميت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نمن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه الهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو الخاطب والمعاقب والمعاقب والطلاب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاها تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق الاستعمل للألة بالآلة أو تعلق التمكن بالمكان ونشرح ذلك مما توقعه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق به يوم السكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والقصود أننا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة . فنقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبهه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاها فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا يمتد إلى جزء من البيت إلا ويستدير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محرکه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنفضته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين المعالجين لآقاب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً . المعنى الثاني هو اللطيفة العاملة المدركة من الإنسان وهو الذي

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يفتخروا بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو خذأرب ويكافئ عليها أو يأكلها

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح منفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فعلمت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

شرحناه في أحدهما القلب وهو الذى أراه الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضا مشترك بين معانٍ ويتعلق بفرضاتهما معنيان : أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » (١) . المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها - يأتيتها النفس المطمئنة ارجى إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذا لم يتم سكنونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعرضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم والمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، والمتعلق بفرضاتهما من جملتهما معنيان : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به الإدراك للعلوم فيكون هو القلب أعنى تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الوصف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعنى الإدراك وهو المراد بقوله ﷺ « أول ما خلق الله العقل » (٢) فان العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطأ معه وفي الخبر أنه قال له تعال أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد استكشفنا لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية . والعلوم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة مجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذى يفقه من الإنسان ويصرف حقيقة الأشياء وقد يكتفى عنه بالقلب الذى في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وأعمالها ومطيتها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالكبرى فقال القلب هو العرش

ولا يستكبر عن إجابة لامة والمسكين وأخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلي قال أنا أحمد بن علي المقرئ قال أنا محمد بن ابن الهيثم قال حدثني أبي عن محمد بن جابر الجبائي عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من تقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالهدون من المجلس وأن لا تحب الدحة والتركية والبر » وورد أيضا عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضعيين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أي عرش الله ذكره فان ذلك محال بل أراد به أنه مملكته وأجرى الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بفرضا فلنجاوزه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى - وما علم جنود ربك إلا هو - ففسبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجتدة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتلقى بفرضا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو التصرف فيها وللرد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالانتحاح اتحت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفرقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمه بطاعتها وامتثالها والأجناف تطيع القلب في الانتحاح والانطباع على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للنازل إلى لقائه فلا جله خلقت القلوب قال الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأعلى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلين فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافق من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلق الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمر خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء عالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإنما فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب السكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب وقد عبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود ماثونة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للآشياء كالحواس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي ماثونة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب

منقصة وذلك في نفسه من غير مسكنة مثل الجند عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب . وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه . وقال أيضا من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب . وقال وهب بن منبه مكتوب في كتب الله إنني أخرجت الدر من صلب آدم فلم أجد قلبا أعده تواضعا إلى من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفتيه وكلمته ، وقيل من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو

والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أعنى الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بحدروية الشيء ينمض عنه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخييل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والتفكير والذكر والتخييل لكان الدماغ مخلوعه كما تخلوا اليد والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأنبياء والقهول من العلماء ولكننا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة يقرب ذلك من أفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان للقلب اتيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستصيان عليه استصاء بغيره وتعمد حتى يملكاه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته وملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر المائل والسلم القاتل وديمنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته بوزيره ومستشير الهو معرضاعن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وسامه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداها على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب ولوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بجمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتبييح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأصله الله على علم - وقال تعالى - اتبع هواه فشه له كمثل السحاب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهي النفس عن الهوى

والعزف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حنيفة من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليتزم بحرماتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطبة ومطية العمل التواضع . وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيمه صوفي وغنى متواضع وقبير شاكر وشريف سخي . وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إدام شيئا نخطر وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسأني كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . المثال الثاني : اعلم أن البدن كالمدنية والعقل أعنى للدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه الدركة من الحواس الظاهرة والباطنة بكنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وتفرقه كتميم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أمره إذا قاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة - وإن ضيع ثمره وأهمل رعيته ذم أمره فاتممت منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أتممتك (١) كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (٢)» المثال الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فلو كان الفارس حاذقا وفرسه مبروضا وكلبه مؤدبا بطما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جوحا والكلب عقورا فلأفرسه يبتعثه متفادا ولاكلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خالق بأن يعطى فضلا عن أن يقال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكته وكلال بصيرته وجماع الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بلفظه .

(بيان خاصة قلب الامان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بينها فتعلم عداوته بقلها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخرية والحقائق العقلية فان هذه أمور وزاها المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم السلكية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبثت من ذاته شوق إلى جهة للصحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريد بها ويطلبها ويسذل المال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطمعة في حين للرض والماقل يمدد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للعرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضامنا على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان : إحداها أن يشتمل قلبه

من بيتك فلا تلق
أحدا إلا رأيت خيرا
منك ورأيت شيئا
ضياء الدين أبا النجيب
وسكنت معه في
سفره إلى الشام وقد
بث بعض أبناء الدنيا
له طعاما على رءوس
الأسارى من الأفرنج
وم في قيودهم فلا
مدت السفارة والأسارى
ينتظرون الأواني حتى
تفرغ قال للخادم
أحضر الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفقراء فجاء بهم
وأقدم على السفرة
صفا واحدا وقام الشيخ
من سجاده ومشى
إليهم وقصد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل بطنه

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الخبر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون الركة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم للكسبية بالتجارب والفكر فتكون كالحزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرة للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكترة للعلوم وقلتها وبشرف للمعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل البادأة والكاشفة ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا التمام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لانهائية لها وأقصى الرتبة التي التي التي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالقلب كما أنا تؤمن بالنبوة والنبي وصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا تمسك لها - وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تتعرضوا لها (١) » والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الحث والسكودرة الحاصلة من الأخلاق النسيمة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له » ويقول عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا (٢) » ويقول تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا (٣) » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة النعم ، تعالى عن البخل والنح علوا كبيرا ولكن حجب حث وكدورة وعقل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني لمادامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٤) » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلوه وعمله. أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في اللسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلاياء . وأما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

(١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقاء الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب الفردوس أخرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولمه في مسند الفردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار
 حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
 التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية السكر والفر
 وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصة فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار
 وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصة من
 صفات الملائكة للقرينين من رب العالمين والانسان على رتبة بين الهمائم والملائكة فان الانسان من
 حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار حيوان ومن حيث صورته وقامته
 فكما الصورة المنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه
 على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجد بأن يسمى
 ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا
 إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام قد انحط إلى
 حضيض أفق الهمائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرهاً تكثيراً وإما ضريباً ككلب أوسنوراً وحقوداً
 كجمل أو متكبراً كتمر أو ذا روغان كعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من
 الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي
 بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة
 السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
 والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجرى
 القوة الخيالية الودنية في مقدم الدماغ مجرى صاحب بریده إذ تجتمع أخبار الحسوسات عنده ويجرى
 القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء
 المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من
 الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها
 أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
 وإسداها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها
 ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع
 قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكرًا نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة
 أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه
 دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولاً شقيماً كافراً بنعمة
 الله تعالى مضيعة لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق القتل والابادة في القلب
 والنعاد نعوذ بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة
 رضى الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان وبيده جناحان ورجلاه بريد
 والقلب منه ملك (١) فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول . وقال على رضى الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آتية وهي القلوب فأحبها

والنسم على فصله
 والحياه من ربه وقال
 يحيى بن معاذ التواضع
 في الخلق حسن ولكن
 في الأغنياء أحسن
 والتكبر مبع في الخلق
 ولكن في الفقراء
 أجمع . وقال ذو النون
 ثلاثة من علامات
 التواضع تصغير النفس
 معرفة بالعب وتعظيم
 الناس حرمة للتوحيد
 وقبول الحق والصيحة
 من كل واحد . وقيل
 لأبي يزيد متى يكون
 الرجل متواضعاً قال إذا
 لم يرى لنفسه حقاً ولا
 حالاً من علمه بشرها
 وازدرائها ولا يرى أن
 في الخلق شراً منه .
 قال بعض الحكماء
 وجدنا التواضع مع
 الجهل والبخل أحمد

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي
 والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث
 أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح معها شيء .

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسره قتل أصلها في الدين وأصفها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كشكاة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .
(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته)

اعلم أن الانسان قد اصطحب في خلقه وركبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والهجوم على الناس بالضرب والنم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فإنه يدعى لنفسه الربوية ويحب الاستلاء والاستلاء والتخصص والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن رجة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الأمور ويخرج إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالظهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتميز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية ضار شريرا يستعمل التميز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالسكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير و كلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير منموما لونه وشكله وصورته بل لجشمة و كلبه وحرصه والكلب هو الغضب نان السبع الضاري والكلب المقور ليس كلبا وسيما باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السعية الضراوة والعدوان والعقرو في باطن الانسان ضراوة السبع وغبضه وحرص الخنزير وشبهه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والسكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويضري أحدهما بالآخر ويعسن لها ماها مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بصيرته النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر المدفق مملسكة البدن وجرى السكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفسك ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون داعما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنهم كوشف بحقيقة حاله ومثله حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكها أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فلهما حاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبهت على القور في خدمته وإحضار شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب مقور عابدا له مطيما مائلا يفتضيه ويمتسك به مدمقا

من الكبر مع الأدب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة والتواضع وأما البلاء فالكبر . والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاة الاعتدال بين الكبر والضعفة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعفة وضع الانسان نفسه مكانا يترى به ويفضى إلى تضييع حقوقه واداءهم من كثير من إشارات الشايع في شرح التواضع أتياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه المساوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويصعقها على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه لإساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا وربنا مهلكا للقلب ويمثاله أما طاعة الخنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والحث والتبذير والتفتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملك والحسد والحقد والشائنة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذلة والبذخ والصلف والاستشاطعة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والحقد والحيلة والدهاء والجراءة والتلبس والتضريب والنقض والحب والحنا وأمثاله ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بمقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكلال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا تنتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثاله ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبور والحلم والاحتمال والعبور والشبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتتفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصله إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد امرأة القاب جلاء وإسراة ونورا وضياء حتى يتلأأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله عليه السلام «إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له وأعظام من قلبه (١)» وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ (٢)» وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الله كقول الله تعالى - ألبذكر الله تطمئن القلوب - وأما الآثار الذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى امرأة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يودّ ويظلم ويصير بالكيفية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال عز وجل - أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله ويلكم الله - ومهما تراكت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعنى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستبين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين يسوسوا من الآخرة كما يشس الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

الافراط إلى حضيض
التفريط ويوم
أعراقا عن حد
الاعتدال ويكون
تصدّم في ذلك البالغة
في قمع نفوس للرديدين
خوفا عليهم من العجب
والكبر فقلّ أن
ينفك مريد في مبادئ
ظهور سلطان الحال
من العجب حتى لقد
نقل عن جمع من
الكبار كلمات مؤذنة
بالعجاب وكل ما نقل
من ذلك القبيل من
الشايخ لبقايا السكر
عندهم وانحصارهم في
مضيق سكر الحال
وعدم الخروج إلى
فضاء الصحو في ابتداء
أمرهم وذلك إذا حدق
صاحب البصيرة نظره
يعلم أنه من استراق

(١) حديث إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له وأعظام من قلبه واعظا من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ لم أجده أصلا .

فاذا هوزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى يملو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود من كوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصفة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وعما أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرأة التي يتنفس فيها ثم تسمع ويتنفس ثم تسمع فانها لا تغلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود من كوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب النفاق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها التبيح والصيد فأى للادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المهدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرأة بالاضافة إلى صور التلونات فكما أن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول ماثها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هي ثلاث أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك حصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بينه في اليد والمعلوم بينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثله بالمرآة أولى لأن عين الانسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لحمسة أمور : أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور وبشكل ويصقل : والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لخبثها مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتمدح بسببه أن يهاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن يتجلى فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا يتجلى له المعلومات لتقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يخفى على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء منلى وقول بعضهم قدى على رقبة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألخت وطفنت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى مفردته في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الحدري وقد تقدم .

لكدورة للعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إليه أبدا» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إذ غابته أن يتبعه بحسنة يعمده بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السببة لازداد لامحالة إسراق القلب فلما تقدمت السببة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السببة ولم يزد بها نورا فهذا خسران مبين وتقصان لاحية له فليست للراءة التي تمدنس ثم تمسح بالمسحاة كالتى تمسح بالمسحاة لزيادة جلاهما من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب وصفيه وقدك قال الله تعالى - والذين جاهدوا فىنا تهديهم سبنا - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة الطلوبة فان قلب الطبع الصالح وإن كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس عماديا بمرآة مشطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب المهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتبئية أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الحفية الإلمية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالغ المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تقييد المهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف المهم إلى الشهوات الدنيوية ولقد آتانا وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى . الرابع الحجاب فان الطبع القاهر لشهواته التجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين والتحصين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها النور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالجهول إلا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبة حتى إذا تذكرها ورثتها فى نفسه ترتبها خصوصا يمره الغطاء بطرق الاعتبار فمعد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنبجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم الطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنى إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين بأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج الفحل والأشئ ثم كما أن من أراد أن يستنجح مكملة لم يمكنه ذلك من حمار وبير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الله كروالأشئ وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه إذا رفع المرآة بازاوجه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رصها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يصيرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تتطبع صورة القفا فى المرآة الهاذية للقفا ثم تتطبع صورة

استراق النفس السمع
فليرن ذلك بميزان
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتواضعهم
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستبصارهم
أن يجوز لعبد التظاهر
بشيء من ذلك ولكن
يجعل لكلام الصادقين
وجه فى الصحة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
فى سكر الحال وكلام
السكرانى يحمل فالمشايخ
أرباب التمكن لما علوا
فى النفوس هذا الداء
الدفين بالقوا فى شرح
التواضع إلى حد الحقوه
بالضعة ندا وبالمردين
والاعتدال فى التواضع
أن يرضى الإنسان
بغزلة دوين ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جموح النفس لأوقتها

(١) حديث من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إليه أبدا لم أر له أصلا (٢) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وقد تقدم فى العلم.

هذه للآرة في الآرة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تترك العين صورة القفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق هجينة فيها ازورارات وتمرغات أعجب عما ذكرناه في الآرة يمز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحجة في تلك الازورارات فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والافكل قلب فهو بالقطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار منطقاً لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يبطله عن التهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه (١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أين الله في الأرض أوفي السماء ؟ قال في قلوب عباده المؤمنين (٣) » وفي الخبر « قال الله تعالى : لم يسمي أرضي ولا سمائي ووسمى قلب عبدي المؤمن اللين الوداع (٤) » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مؤمنة وما محموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد (٥) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فبرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جعلتها فأكثر سمة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادر الكبائر فلا نهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطية بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وعباده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بينما عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيتة وجلالته قد أفلح من زكاهها ومراد تزكيتة حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - بقوله - أفمن شرح الله

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجروح في جيلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستملاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتداوى بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من المخلوقين يكون كاذباً والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة الماهن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر ابن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله آية من أهل الأرض وآية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوداع لم أره أصلاً وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله وآية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه أليها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن محموم القلب الحديث ه من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

صدره للاسلام فهو على نور من ربه - نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان التكميلين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبينك هذه لل مراتب مثال وهو أن تصديقك يكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من تجربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهمة في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بغيره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وأسرافاته وبثثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر بالبالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بأبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من القريين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيسمع من الأحاديث من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ والسلمون اعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيجزم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكافؤ بطريق الهاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبس والمحاكاة غرضا . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فنظرك إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة القريين والصدّيقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم العوام والتكميلين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم ودرجات الكشف ، وأما درجات العلوم فمثلا أن يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي محض الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أوفى وقت عشيّة فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والحفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوتات للشاهدة للأمر الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا لمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لاحتمال فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والأخرية)

اعلم أن القلب بغيرته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تجل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخرية أما العقلية فنسبها ما تقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له - بياقريا وإفليس - محني عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه وإلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قديسي عقلا قال على رضى الله عنه:

عظم الله تعالى شأن
الكبر به قوله تعالى - إنه
لا يحب للتكبرين -
وقال تعالى - أليس في
جهنم مثوى للتكبرين -
وقد ورد « يقول الله
تعالى: الكبرياء ردائي
والعظمة إزاري فمن
نازعى واحدا منهما
قصمته » وفي رواية فذنبه
في نار جهنم . وقال عز
وجل رداً للانسان في
طغيانه إلى حده :
- ولا تمس في الأرض
مرحاً إنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ
الجبال طولاً - وقال
تعالى - فلينظر الانسان
مّم خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قتل الانسان
ما أكفره من أي شيء
خلقه من نطفة خلقه

رأيت العقل عقليين فطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كما لاتنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»^(١) والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك»^(٢) إذ لا يمكن التقرب بالفرزة القطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال التقرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينيه أو حجب عليه الليل والعمى الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصباح إلى أوان التميز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إثراق الشمس وضياف نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التميز لأن لوح قلبه لم يتيسر بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى أيسر من جوهر ولا عرض فلما وزنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالقارس والبدن كالفرس وعمى القارس أضرب على القارس من عمى الفرس بل لانسبة لأحد الضريرين إلى الآخر ولما وزنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال - ما كذب الفؤاد ما رأى - عمى إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يمرض فى معرض الامتنان ولذلك عمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى - فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدوية والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل محتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالجماع عن العقل فالداعى إلى بعض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فلذلك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضرر بالغماء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفاد من الشريعة وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل فى نوادر الأصول باسناد ضعيف
وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم من حديث على باسناد ضعيف .

قد مر موقداً قال بعضهم
لبعض المتكبرين أولئك
نظفة مذرة وآخرك
جيفة قدرة وأنت فى
بين ذلك حامل المذرة
وقد نظم الشاعر هذا
اللقى :

كيف يزهو من رجيته
أبد الدهر ضجيجه
وإذا ارتحل التواضع
من القلب وسكن
الكبر انتشر أثره فى
بعض الجوارح وترشح
الانام بما فيه فتارة
يظهر أثره فى النطق
بالتمايل وتارة فى الحد
بالتصغير قال الله تعالى
- ولا تصغر خدك
للناس - وتارة يظهر
فى الرأس عند استمضاء
النفس قال الله تعالى
- لو آوا رءوسهم
ورأيهم يصدون وهم

لرئيس بما جلت العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الرضيع بالغذاء ووطن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو وطن صادر عن عجب في عين البصيرة فعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحير به فيفسل من الدين انسالال الشعرة من العجين وإتمام ذلك لأن هجزه في نفسه خيل إليه نقضا في الدين وهيات وإتمامه مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعمالك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عمالك وإنما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية. والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والجورم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفة في الميزان والكمشوق والغرب والاضربتين إذا أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البله (١) » أي البله في أمور الدنيا. وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لورا يشعروهم لقتهم مجانين ولو أدركوكم لقاتلوا غياطين فلهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك وجودهم عن قبوله إذ من الهال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأننوا بها - الآية وقال تعالى - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقال عز وجل - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للوידون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظائر)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالتى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من المبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك للثق في القلب والأول يسمى إلهاما وثقا في الروح. والثاني يسمى حيا وتخص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله المكتسب وهو بطريق الاستدلال يختص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله، الغزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدي إنه منكر.

مستكبرون - وكأن
الكبر له انقسام على
الجوارح والأعضاء
تنشعب منه شعب
فكذلك بعضها كشف
من البعض كالتبصير
والزهو والعزّة وغير
ذلك إلا أن العزّة تشبه
بالكبر من حيث
الصورة وتختلف من
حيث الحقيقة كاشتباه
التواضع بالضعفة
والتواضع محمود والضعفة
مذمومة والكبر
مذموم والعزّة محمودة
قال الله تعالى - وقه
العزّة ولرسوله
وللمؤمنين - والعزّة
غير الكبر ولا يهل
لمؤمن أن يذل نفسه
فالعزّة معرفة الانسان
بحقيقة نفسه وإكرامها
أن لا يضمها لأغراض

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنما جعل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسند الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهى انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتكشف الحجب عن أعين القلوب فيجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وعمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضاً في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستار الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة اللاتكليف وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء - فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنغه الصنفون والبحث عن الآفويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات الذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والتسكف له بتبويره بأنوار العلم وإذ اتولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت واتسع عن وجه القلب حجاب الغيرة بلطف الرحمة وتلاأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بما تصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور بالعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفرغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بتطهير القلب من شوائب الدنيا بالكلية وتفرغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع المهم ولا يفرق فكره بقرأة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوقة قائلاً بلسانه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يمحي أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضر أفيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتح على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لواعج الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد تأخر وإن عاد قد ثبت وقد يكون محتطاً وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنزل أولياء الله تعالى

حاجة دنيوية كما أن
الكبر جهل الانسان
بنفسه وإزالتها فوق
منزلتها . قال بعضهم
الحسن ما أعظمك في
تسكك قال لست بمظلم
ولكني عزيز ولما
كانت العزة غير
مذمومة وفيها مشاكلة
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإثبات
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضعة
وقوف على صراط العزة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤيد في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدام العلماء
الراسخين والسادة
للقرين ورؤساء
الابدال والصدقيين .

فيه لا عصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط ، وأما النظر وذو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإنضائه إلى هذا المقصد على الدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستعمدوا اجتماع شروطه وزعموا أن نحو الملائق إلى ذلك الحد كالتعذر وإن حصل في حال كنيته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلباتها»^(١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»^(٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد الزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفي ذلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لافتتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاها ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قهيبًا بالوحي والالهام من غير تكرير وتعايق وأنا أيضا ربما انتهت بي الرياضة والواجبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكدوز فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين القامين بمثال محسوس)

قال بعضهم من تكبر فقد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمرائه ونبيه فإن النفس لطلب الراحة تلهي عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نبيه فإذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فإن اشتهد نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لحاق نور للشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب

اعلم أن محجبات القلب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحوه تقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثاليين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويعتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغيض البصر ويصمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فإن قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محجبات أسرار القلب ولا يسمع بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة للقرينين ، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في يابض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يفيض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلباتها، أحمد وك وصححه من حديث القعداد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الوجود موافق للنسخة الوجود في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبع وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية، إذ جعل حدثك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسماوات والأرض على اتساع أكنافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يبين ذاتك فسيحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوبا أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبمجاهاها. ولترجع إلى الغرض التصود فتقول: القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويعكس صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يعكس صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس، فاذن للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم اللائكة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا ينبغي عليك وأما افتتاح باب الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فعمله علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال ﷺ «سبق الفردون قيل ومن هم الفردون يا رسول الله؟ قال الذين هم بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم^(١)» ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وترده بين عالمي الشهادة والقياس لا يمكن أن يستقصى في علم العاملة فهذا مثال بملك الفرق بين مدخل العالمين.

(١) حديث سبق الفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما الفردون قالوا كرون الله كثيرا والداكرات ورواه ك بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم ويقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلامها ضعيف.

النفس وفي ذواتها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطبع للحق والخلق لها آثاره وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبيتنا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضى الله عنها في الحديث الطويل قالت «قدمت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا منى أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد صاجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده مسجد لك سوادى وخيالى وآمن بك

المثال الثاني يعرفك الفرق بين العاملين : أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب
نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصقلها
قطر ، وقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم بما هو بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والنصير
فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورخى بينهما
حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا يتحصر
ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يعملون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين
أنهم قد فرغوا أيضاً فحجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ قليل وكيف
فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلأأ منه مجانب الصنائع
الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقل فازداد بحسن جانبهم
بمزيد التصقل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلأأ فيه جلية
الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل
نقشها في القلب كفعل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحي
وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا يأك كل محل الإيمان بل يكون
وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس
العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كانه لا غنى
إلا بالمسال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة
والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى
لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم - وقد روى في الخبر
« إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إبهام
قدميه فيضه مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدم قدميه نشى وإذا أطفئ قام ومرورهم على الصراط
على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من
يمر كاتقاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إبهام
قدميه محبوبوا على وجهه وبديه ورجليه يمر بدا ويلقى أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك
حتى يخلص (١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين
سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضحى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها
لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين
نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق
مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت اشراق
الصدر بالعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة
أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشيرة ذرة (٢) »
كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه القادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على إبهام قدميه
الحديث الطبراني وك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث . يقال
يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث
أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

فؤادى وأقربك لسانى
وها أنا ذا بين يديك
باعظيم يا ظفر القنب
العظيم « وقوله عليه
السلام « سجد لك
سوادى وخيالى »
استقصاء فى التواضع
بمحو آثار الوجود حيث
لم تتخلف ذرة منه عن
السجود ظاهره وباطنه
ومنى لم يكن للصوفى
حظ من التواضع
الخاص على بساط
القرب لا يتوفر حفظه فى
التواضع للخلق وهذه
سعادات إن أقبلت
جاءت بكليتها والتواضع
من أشرف أخلاق
الصوفية . ومن أخلاق
الصوفية : للدائرة
واحتمال الأذى من
الخلق وبلوغ من مداراة

مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أولاً وأن من قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن» (١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوثن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأتم الأعلون إن كنتم مؤمنين - تفضيلاً للمؤمنين على السليين وللراد به للمؤمن العارف دون القلند . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا القدين صدقوا من غير علم وميزم عن القدين أتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على القلند وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أتوا العلم درجات - وقاله رفع الله العالم فوق المؤمن بسبعائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال **عليه السلام** «أكثر أهل الجنة بله وعليون لدوى الأبواب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم النعيب والحسرة والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كمنظر النقي الذي يملك عشرة دراهم إلى النقي الذي يملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولو كان ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم النعيب على من يخسر حظه من ذلك - وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتاب)

المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق للعتاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقفه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً - قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان **عليه السلام** يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً حتى قال في شعري وفي بشرى وفي لحمي ودمي وعظامي» (٥) و«سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلاً من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على سر الحق بل وذاه جماعة ناقمن قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بصير واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا ينم طعاماً ولا ينهر خادمًا . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس الجبوى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبرانى من حديث سلمان بلفظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئاً خيراً من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسناده حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة بله وعليون لدوى الأبواب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلاً (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الزاوية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديث تقدم في العلم دون قوله ووقفه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتعلم (٣) وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - فقهناها سليمان - خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الدرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويهربه على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة ، وقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا فراسة للؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى» (٤) وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقوله تعالى - قدينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علان فلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع» (٥) وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال عليه السلام «إن من أمي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم» (٦) وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدث هو اللهم وللهم هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعدنا من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما نثت رضي الله عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن المدو قد أشرف عليه فخذه لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين

(١) حديث سئل عن قوله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي المستدرک من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحب و ك وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث صلى الله عليه وسلم ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه تقدم في آداب تلاوة القرآن (٤) حديث اتقوا فراسة المؤمن الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأم محدثون فان بك في أمي أحد فانه عمر رواه م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي أف قط وما قال شيء صنعته لم تركته ولا شيء تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألبين من كافر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شمت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق حكاية من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نهب أن نعد لك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألتصبا
تكتبان القرائض قالاً بل قلت فيكفك كذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يظلمون على أسرار
القلب وإنما يظلمون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شهابه فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسأله عن التفاته فقال لم يكن
عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الثمال فقال لا أدري فسألت صاحب العيين وهو أعلم منه
قال لا أدري فظننت إلى قلبي وسأله فحدثني بما أجبتهك فإذا هو أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه
السلام « إن في أمي محدثين وإن عمر منهم » وفي الأثر: « إن الله تعالى يقول أيعبد الله من لا يعلم ما
التائب عليه التمسك بكرمي توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضرورة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه قد ظهر
افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة للكوكب وللأطهر ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع
والانحرام عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد احرصوا ما تسمعون
من اللطيفين فاتهم يجعل لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الحاشعين على بعض سره .
(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضرورة لها أبواب تصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضاً
مثال هدف تصب إليه سهام من الجوانب أو هو مثال امرأة منصوبة تحتاز عليها أصناف الصور المختلفة
فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تصب فيه مياه مختلفة فمن أنها مفتوحة
إليه وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال أمان الظاهر فالحواس الخمس وأمان
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة الزواج
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء إلى شيء وبسبب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والمقصود أن القلب
في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأغنى بالحواطر
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأغنى به إدراكه علوماً إما على سبيل التجدد وإما على
سبيل التذكر فانها تسمى حواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والحواطر هي الحركات
للارادات فان النية والعزم والرغبة إنما تكون بعد خطور النوى بالبال لعمالة لبدأ الأفعال
الحواطر ثم الحواطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء
والحواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أغنى إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى
الخير أغنى إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود
يسمى إلهاماً والخاطر المنموم أغنى الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة
ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا
ما عرفت من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار
وأظلم سقفه وسود بالخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لا تنوار القلب وظلمته
سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً

ولا يصبر على أدامه
وفي الخبر « أيسر أحكم
أن يكون كعابي
ضمضم قيل ماذا كان
يصنع أبو ضمضم قال
كان إذا أصبح قال
اللهم إني تصدقت
اليوم بمرض على من
ظلمني فمن ضربني
لا أضربه ومن شتمني
لا أشتمه ومن ظلمني
لا أظلمه » . وأخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
قال أنا أبو الفتح
الحروى قال حدثنا
الترياقي قال أنا الجراحي
قال أنا الجبوني قاله
أنا أبو عيسى الترمذي
قال ثنا ابن أبي عمير
قال ثنا سفيان عن
محمد بن السنكدر عن
عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت

واللطف الذي يتبأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا والذي به يتبرأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تنفتر إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره فملك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند إلهام الخير بالفر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فان للوجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب لثان لمة من الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولاة من العدو إبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستمد باق من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان صدكم الفقر ويأمركم بالمعصية - (١) الآية وقال الحسن إنما هما جان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقض عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهدهم ولتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » فانه يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبغ سرعة القلب والقدرة على التحريك والتغير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لقلعه في التقلب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستسغار الملك والشيطان وهما مستغران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلا والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الملك لقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يرجع أحدهما على الآخر وإنما يرجع أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فان اتباع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعته وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر للملائكة ومهيأ لهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير (٣) » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألمم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكتها فامتلات بالسوس الداعية إلى إثارة العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها باتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخيلة القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

(١) حديث في القلب لثان لمة من الملك إبعاد بالخير الحديث وحسنه ون في الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث مامنكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بش ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فالأن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو بدعه الناس اتقاء لحفه « وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بحلق حسن « فاشيء يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن السدارة والنفس

والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر اللائكة . وقال جابر بن عبيدة المدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به المصوم فإن كان فيه شيء جالوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفأريت من أخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١] للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتمل على يسارك ثلاثاً قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (١) » وفي الخبر « إن للوسوء شيطاناً يقال له الوهان فاستعينوا بالله منه (٢) » ولا يجوز وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا اللاتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفترات على سبيل الحفلة قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس واتقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطوميه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه (٣) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجهه من لا يفلح (٤) وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطه بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٥) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخباراً عن إبليس - لأتخذن لهم صراطك المستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث إن للوسوء شيطاناً يقال له الوهان الحديث م ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب وإبليس إسناده بالقوى عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى الموصلي وابن عدي في الكامل وضعفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان يده وجهه وقال بأبي وجهه من لا يفلح لم أجد له أصلاً (٥) حديث إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم تقدم [١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص، وفي العراق ما يشير لذلك هـ .

لازال تشمئز عن
بكس مرادها
ويستغزها الغيظ
والغضب وبالمدارة قطع
حمة النفس ورد طيشها
وتهورها . وقد ورد
« من كظم غيظا وهو
يستطيع أن ينفذه
دعاه الله يوم القيامة على
رءوس الخلائق حتى
يخسره في أى الحول
شاء » . وروى جابر
رضى الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « ألا أخبركم
على من تحرم النار ؟ على
كل هين لين سهل
قريب » . وروى
أبو مسعود الأنصاري
رضى الله عنه قال أتى
النبي عليه السلام رجل
فكلمه فأرعد فقال
هون عليك فاني لست

ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق. فقدم له بطريق الإسلام فقال أنسلم وتترك دينك ودين آباءك فصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماؤك فصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال آجهاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسبح نساؤك ويقسم مالك فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتسبح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن يفك عنه آدمي وإنما يختلفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والحذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم العاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل لمصادمة الخواطر الباغية على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاعماله وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو قد عرف العدو لاعماله ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويجترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين - فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه ، نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للأمين ، فأمام معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نموذبا لله منه وحقيقة اللائكة فذلك ميدان العارفين المتفائلين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم العاملة إلى معرفته ، نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكاييد الشيطان أن يمرض الشر في معرض الخير والتبيز في ذلك فامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دأهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكي من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تتقدم من العاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى انصراف للستقيم ؟ ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحبل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعو به بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أمثاله يؤكده فيه شواهد الرباء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج

(١) حديث إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش فكانت تأكل القديد » وعن بعضهم في معنى لين جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار بنويس

سواس مكرمة أبناء أيسار

لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا

ولا يعارون إن ماروا بل كثار

من تلق منهم تقل لاقت سيدم

مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال « من أعطى حظه من الرفق قد أعطى

حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق

للسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم (١) ». و« إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٢) » ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تليسات وتليسات الشيطان من هذا الجنس لا تنهاى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة ، وسندكر جملة من مكابد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه [تلبس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلبسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتليسات الشيطان ومكابده حتى على الصبد أن يقف عند كل مخطر له ليعلم أنه من لمة للملك أولمة الشيطان وأن يعمن النظر فيه بعين البصيرة لانهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تمال - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أى رجعوا إلى نور العلم - فاذا هم مبصرون - أى ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسنة فاذا هي سيئات ، وأغضى أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكابد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسبهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس المحس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوقة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والسال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا اللوت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، ثم قد يقوى بحيث لا يتقاده ويدفع عن نفسه شره بالجهد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لاتعلق وهى الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحا والمدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن بأبا سعيد أيتام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لاخلص للمؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بيمره في سفره (٣) » وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزوله ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصفور قلت ولم ذلك؟ قال تدينى بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعنى الأبواب الظاهرة والطرق الجليلة التى تنضى إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعثرون في طرقه الفاضلة فاتهم لا يهتدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس باسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

قد حرم حظه من
الخبر « حدثنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
إسلامة قال ثنا أبو
عبد الرحمن محمد بن
أبي عبد الله الساليني قال
أنا أبو الحسين
عبد الرحمن بن أبي
طلحة الداودي قال أنا
أبو محمد عبد الله
الحموي السرخسي
قال أنا أبو عمران
عيسى بن عمر
السمرقندي قال أنا
عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي قال أنا محمد بن
أحمد بن أبي خلف قال
ثنا عبد الرحمن بن محمد
عن محمد بن إسحاق قال
حدثني عبد الله بن أبي
بكر عن رجل من
العرب قال زحمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . والشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القاب للشيطان كثيرة وباب اللائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة السالك في ليل مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هنا هي القاب الصني بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدى إلى غوامض طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضی الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يندفع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة ، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية تخفيها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعا فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك قتل ماتت وقتلها ودقها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودقها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا ؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إنى برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبار وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البهض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فعنود بالله من تضيق أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلته ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بعمرقة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث نفي الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية تخفيها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظح .

يوم حين وفي رجله
نعل كشيقة فوطت بها
على رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ففحنى نحة بسوطي
يده وقال باسم الله
أوجعتني قال فبت
نفسى لا تمأ أقول
أوجعت رسول الله قال
فبت بليلة كما يعلم الله
فما أسبغنا إذا رجل
يقول أين فلان قلت هذا
والله الذي كان منى
بالأمس قال فانطلقت
وأنا متخوف فقال لي
إنك وطئت بنعلك على
رجلي بالأمس فأوجعتني
ففحتك نحة بالسوط
فهذه نعمانون نجة
خفها بها . ومن
أخلاق الصوفية الإيثار
والمواساة ويعملهم على
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برمائه وكلك تكلنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربى أن يتوب عليّ قال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذ الأمانة فقال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فإني موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك عليّ حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذا كرني عند ثلاث لأهلكك فيهن : اذ كرني حين تغضب فان روحى في قلبك وعينى في عينك وأجرى منك مجرى الدم ، اذ كرني إذا غضبت فانه إذا غضب الانسان تفخت في أنه لا يدري ما يصنع واذا كرني حين تلقى الزحف فإني آتى ابن آدم حين يلقي الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك وسولك إليها فلا أزال حتى أقتك بها وأقتها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرم فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى ، قد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فان العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقبل الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف ينابى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبواب العظيمة الحسد والحرم فهما كان العبد حريصا على كل شئ . أهماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك للشئ يسمى ويصم (١) » ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرم لم يصر فحينئذ يمد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخالت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك مشن ثلاث ولا أحدثك بامنتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالامنتين فقال له نوح ما الامتنان فقال هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تخافانى بهما أهلك الناس : الحرم والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرم فانه أيسح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرم . ومن أبواب العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ . فقال له يا إبليس ما هذا للمعاليق ؟ قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل فيها من شئ ؟ قال ربما هبعت فتقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له على أن لا أملا بطنى من الطعام أبدا فقال له إبليس والله على أن لا أفصح مسلما أبدا . ويقال في كثرة

(١) حديث حبك الشئ . يسمى ويصم أبو داود من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف .

والرحمة طبعاً وقوة
اليقين شرطاً يؤثرون
بالموجود ويصبرون على
اللفقود . قال أبو يزيد
البيضاوى ما غلبنى
أحد ما غلبنى شاب من
أهل بلخ قدم علينا
حاجا فقال لي يا أبا يزيد
ما حد الزهد عندكم
قلت إذا وجدنا أكلنا
وإذا فقدنا صبرنا فقال
هكذا عندنا كلاب
بلخ قلت له وما حد
الزهد عندكم ، قال
إذا فقدنا شكرنا . وإذا
وجدنا آثرنا . وقاله
ذو النون من علامة
الزاهد المشروح صدره
ثلاث : تفريق المجموع
وترك طلب للفقود
والإيثار بالقوت . روى
عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما قال

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يتقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والسياب والدار فان الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين مقوفها وحيطانها وتوسيع أبينتها ويدعوه إلى التزين بالسياب والدواب ويستخره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فان بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخفى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه . ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير للطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لعبده الله بن حنظلة قال الله يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك الثبات في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والثبات من الله تعالى » (١) وقال عز وجل - خلق الانسان من عجل - وقال تعالى - وكان الانسان عجولا - وقال لئيبه صلى الله عليه وسلم - ولا تهجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتعهد والمجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكست رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا لللائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة . ومن أبوابه العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماهو فانطقوا حتى أعيوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالحبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبتنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى مسلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عيسى الله أن يفتح لهم الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأَنْصار « إن شتمتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ونشاركونهم في هذه الفضيحة وإن شتمتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئا من الفضيحة، فقالت الأنصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالفضيحة ولا نشاركهم فيها ، فأزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم - ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى

(١) حديث العجلة من الشيطان والثبات من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن

فصيب منهم حاجتا (١) . وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذني عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وطى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عنة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك يال ولا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الهاد الوثير والقرش الوطيئة والتزهات الطيبة فحق ينشط لعبادة الله تعالى ؟ . ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الاتقاي والتصديق ويدعو إلى الادخار والكز والعذاب الأليم وهو للوعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيشمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ماغلبي ابن آدم غلبة فلن يظننى على ثلاث أن أمره أن يأخذ للمال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هي معشش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال الزمير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايده قال النساء (٢) » ومن أبوابه العظيمة التوصل: التصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفاسق جميعا فان الطعن في الناس والاستغفال بذكر تصفهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين قترى الواحد منهم يتصب لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفصول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوله إذ موالى أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين حليه . وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكيف لسانه عن الكلام فيما لا يرضه فأتى لهذا الفضولى أن يدعى وولاه وجهه ولا يسير بسيرته وتزى فضوليا آخر يتصب لمولى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسخ وتزى الفاسق لابساً ثياب الحرير ومتجملاً بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة ولبت شعري من أخذ ولدا عززا لانسان هوقرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه ويتنف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وهمر وعثمان وطى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشيائنيه لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلا (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير وسانده ضعيف جدا ورواه نحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضا .

أزواجه على عند كن
شبه تسكهن قلن
والذى بعثك بالحق
نبيا ما عندنا إلا الماء
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما عندنا
ما نطعمك هذه الليلة
ثم قال من يضيف
هذا عذبة الليلة رحمه
الله فقام رجل من
الأنصار فقال أنا
يا رسول الله فأتى به
منزله فقال لأهله هذا
ضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأكرمه
ولا تدخرى عنه شيئا
فقال ما عندنا إلا قوت
الصبية فقال قوهي
عليهم عن قوتهم حتى
يتاموا ولا يطعمون
شيئا ثم أسرجي فاذا
أخذ الضيف ليأكل
قوهي كأنك تصاعدين
السراج فأطفئيه

والقائمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطونه بقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه قري كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محباً لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لم يلحقه شيء من أفعالهم عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه (١) «اعلمي فاني لأغني عنك من الله شيئاً (٢)» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم التمسجين للشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرة فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهديان فما بالك خالفني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعت مذهبى كاذباً وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالنصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم يذنبوا به على مكابد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عابيه ونسوا أمهات دينهم قد هلكوا وأهلكتهم وإن الله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن لعن الله إبليس قال رسول الأمة محمد ﷺ «عاصي قصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وتدصدق اللعون قائمهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رقعة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم قواموا يقتلون وليس إياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم ففرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يلبسها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصيرها كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقوام اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً أشد منهم إيماناً لنفسه وأكثرهم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه (٣) » والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعالمى لو زنى ويسرق كان خيراً له من أن يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري

ونعالى نضع ألسنتنا
لضيف رسول الله حتى
يشبع ضيف رسول
الله قامت إلى الصبية
فعلتهم حتى ناموا عن
قوتهم وليطمئنا شيئاً
ثم قامت فأتت
وأسرجت فلما أخذ
الضيف ليا كل قامت
كانها تصلح السراج
فأطفأته فجعلها مضاء
الستهم الضيف رسول
الله ووطن الضيف أهما
ياكلان معه حتى شبع
الضيف وباتا طويين
فلما أصبحوا غدوا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر
إليهما تبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم
قال لقد عجب الله من
فلان وفلانة هذه الليلة
وأزل الله تعالى -
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن محرمة (٢) حديث إنى لأغني عنك من الله شيئاً قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبراز وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكاييد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشرط غيره بالظن بئس الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنسبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لظنهم فقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا مواضع التهم (١)» حتى احتزوه بالحق من ذلك روى عن ابن حسين أن صفة بنت حبي بن أخطب أخبرته « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفاً في المسجد قالت فأنتهت فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي لمر به رجلان من الأنصار فسما ثم انصرفا فناداهما وقال إنها صفة بنت حبي قتالا يارسول الله ما نظن بك إلا خيراً فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما (٢) » فانظر كيف أشفق بالحق على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فظلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إعجاباً منه بنفسه فان أروع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي السابوا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنساناً يسمى الظن بالناس طابا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب العاذير والمناقى يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان لو هل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لاحول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدهذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسيات شرحه ، نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمتعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لاساطان له على القلب فلا يدفع ساطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له احسباً فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان في سويدها القلب وأما قلوب المتقين الحالية من الهوى والصفات المذمومة فانه بطرقها الشيطان للشهوات بل خلوها بالفضة عن الذكر فاذا عاد إلى الذكر خسر الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمذ بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجد له أصلاً (٢) حديث صفة بنت حبي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفاً فأنتهت فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة - وقال أنس رضى الله عنه أهدي لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهدوا فوجه به إلى جاره فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فأترت الآية لذلك . وروى أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية بقرى الرى وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكفروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم إشارة منه على نفسه . وحكى عن حذيفة المدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى

الواردة في الذكر . قال أبو هريرة التقي شيطان للؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهن سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار قال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائها وإذا شرب سمى الله فأظل عطشنا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثا فقال لى مع رجل لا يمل شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرا به ولباحه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بيوبنا يرانا هو وقيه من حيث لا نراهم اللهم فأبسه منا كما أبسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وواعد بيننا وبينه كما واعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال فتمثل له إبليس يوما في طريق للسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفنى قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أن تعرض لك قال والله لا أمنها ممن أرادها فاصنع ماشئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شملة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يليج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفقت شملته وخر على وجهه (١) وقال الحسن « نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فاذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بثنى بالحلق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح طريحا في المسجد (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما سلك عمر لجا إلا سلك الشيطان لجا غير الذي سلكه عمر (٤) » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات لهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطعم أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمدة مشغولة بظايف الأطعمة ويطعم أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية للعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهي تغلى القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارطا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في العدة الحالية عن الأطعمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

ومعى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقته ومسحت وجهه فاذا أتاه قتل أسفك فاذا أشار إلى أن نم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمي انطلق به إليه فبغت إليه فاذا هو هشام بن العاص قتل أسفك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فبغت إليه فاذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فاذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمي فاذا هو أيضا قد مات . ومثل أبو الحسين البوشنجي عن الفتوة قال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله - والذين يتوبوا إلى الله والإيمان - قال ابن

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شملة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان هكذا مرسلًا ولما لك في الموطن نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلًا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن حبشي وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان هكذا مرسلًا (٣) حديث أناني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلًا هكذا وللبخاري من حديث أبي هريرة أن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة أو كلة نحوها ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث ون في الكبرى من حديث عائشة كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث وإسناده ضعيف (٤) حديث ما سلك عمر فيجاء إلا سلك الشيطان فجاء غير فجع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ يا ابن الخطاب ما لي بك الشيطان سالكا فجا .

عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السمير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تفهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين إلى نفسك فليس الجبركالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراتب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب العائدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهاالكها حتى إنك لا تذكر ما قد نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت بالصلاة يحك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتمال ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتياء بالتقوى ثم أردفه بدواء الله كريف الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه وبطبع اللعين بعد معرفته بطغيانه ، وكما أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكروالدعاء، قيل لابراهيم ابن آدم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال عثمان خصال : عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأوه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رمتهم عيوبكم وراى ظهوركم واقترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطكم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت فالداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في العاملة فاشتل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف السميات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شىء من أمره : نبر والأعور ومبسوط وداسم وزنبور، فأما نبر فهو صاحب اللصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الرنا يأمر به ويزينه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميم باليب عنده ويفضبه عليهم وأما زنبور فهو صاحب السوق فبسيه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٣) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه

عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعا وفقرا. قال أبو خصص الإيثار هو أن يقدم حظوظه الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإيثار لا يكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقتك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة. وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكا لا يصح منها الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالثب برؤية ملكه إنما الإيثار من يرى الأشياء كلها لاحق فن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شىء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبى العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عند من حديث أنى .

مالم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب القباب عن قصعة الصل في اليوم الصائف وما لو بدالكم لرأيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لا تختطفه الشياطين (١) » وقال أبو بوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تمنني عليه لأتقى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيئة سيئة وبالחסنة عشرةا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تمنني عليه لأتقى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم مجرى الدم وتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بحيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) » وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا قبل على أحدهم حتى تقتته وتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نهود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة السكر في أيدي صبيانكم تغلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهم ما ولا تدرك حقيقة صورتهم ما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبيع وظهر له بحراء فسد الأفق من الشرق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة للمزاج عند مدرة النهى وإنما كان يراه في صورة الأدمي غالبا (٤)

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه . وقال بعضهم حقيقة الايثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثارها محل أو ذكروا من هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فأكثر أخوه ذلك منه فقال يا أخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان وطلب في المعجم الكبير باسناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان وحب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان ووضفه وذكروه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الاسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الأدمي غالبا الشيخان من حديث عائشة وسئلت فأين قوله: فدنا فتدلى ، قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجل شبه البوريري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكب الأيسر بين منكب وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكب الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة فقد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم القيوم وهو مدخل الألهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبس . أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا معاكفة للصفة ومواقفة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة ومواقفة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومعاكفة لها بالصدق ولتلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار هجينة وهي من أسرار مجازات القلب ولا يلبق ذكرها بعلم العاملة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة معاكفة للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته الكاشف دون من حوله كالنائم .

(بيان ما يؤخذ به البدن من وساوس القلوب وهما وخواتمها

وقصودها وما يعنى عنه ولا يؤخذ به)

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم بإجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من سجد للصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق باليسئل

اعلم أن هذا أمر ظامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على مجازة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تسكلم به أو تعمل به »^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسببته فلا تكتبوها فإن عملها فاك كتبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاك كتبوها حسنة فإن عملها فاك كتبوها عشرًا »^(٣) وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأمي عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسببته

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسبئية فلم يعملها لم تسكتب عليه وإن عملها كتبت » وفي لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سبئية فأنا أخفها له ما لم يعملها » وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على اللواخذة فقوله سبحانه - إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيضرب لمن يشاء ويمدب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تحف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مثولاً - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا معنى عنه وقوله تعالى - ولا تسكتوا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فنقول : أول ما يرد على القلب الخاطر كالمخطر له مثلاً صورة امرأة وأنها ورأه ظهره في الطريق لو انفتحت إليها لرأها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسبه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فان الطبع إذا مال لم تنبث المهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا تسميه بما بالقول ونية وقصد وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أضى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فاذا انجزمت الإرادة فرمما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يفعل بما مضى فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجراحة : الخاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فنقول : أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضاً تحت الاختيار وهما المرادان بقوله **عزيم الله** « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها » حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنق النكاح . قال نفسي تحدثني أن أحب نفسي . قال مهلا خصاء أمي دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أترهب . قال مهلا رهبانية أمي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعنيه ^(١) »

والإشارة وترك التعرض والاختيار . قيل للمسمى بالصوغية وتميز الجنيب بالحقه وقبض على الشحام والرقام والنورى وبسط النطم لضرب رقابهم تقدم النورى قيل له إلى ماذا تبادر؟ فقال أوثر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى له باب مغلق احكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يباع فأتقذوه إلى السوق واتخذوا رقما من الثمن وقعدوا في اللهار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا فدخلت امرأته وعليها

فهذه الحواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهمّ بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فلاختياري منه يؤخذ به والاضطراري لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهمّ بالفعل فإنه . يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة جفده في غفلة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكسبه حسنة لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تعمق الفعل بمائق أو تركه بعذر لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت اللائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن هو عملها فاكتبوها له بعثها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي^(١) » وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فاما إذا عزم على فاحشة فتمذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم^(٢) » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل مسلما أو يزني بامرأة فثابت تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد همّ بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان بسيفهما ذاقا القتل والقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل لما بال القتل قال لأنه أراد قتل صاحبه^(٣) » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فأما فوت المراد بمائق فليس بحسنة وأما الحواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمتأخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فإنه مجفرة ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو خضاع أمق الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله ائذن لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الخفيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث وه بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنن وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العمى وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمق الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت اللائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال الصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يحشر الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يعثمهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعثون على نياتهم (٣) حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما فقاتل والقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من جنة اللتاع فيبعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت استكثت مثل الشيخ ياسطنا وبحكم علينا ويقي لنا شيء ندره عنه . وقيل مرض قيس بن سعد فاستبسط إخوانه في عيادته فسأل عنهم فقالوا إنهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال أخزى الله ما لا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم أمر مناديا ينادي من كان لهيس عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبة داره بالمشي لكثرة عواده . وقيل آتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - « جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطبق إن أحدنا يحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم لكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا (١) » فأزل الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله قوما إلا وسعها - فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأنعام الثلاثة فلا بد وأن يغلط وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من السكر والمجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الحيات من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤخذ به فإن أتبعتها نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢) » وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب (٣) » وقال « البر ما اطمأن إليه القلب وإن أتوك وأتوك (٤) » حتى إذا تقول إذا حكم القلب المتقى بإيجاب شيء وكان غمطاً فيه صار مثاباً عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفضله فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالسكينة عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها ومخابها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) » والخنس هو السكوت فكأنه يكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر كان محجوباً عن التأثير بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكتم ولا يفهم وإن كان الصوت يجري على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً ولكن تسقط غلبتها لقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهي كالكرة التي عليها تقط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة توصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقاً لا ينقطع وكأن الإنسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تنعدم في العلم (٤) حديث البر ما اطمأن إليه القلب وإن أتوك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أتاك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريباً .

جنتي ؟ قال لأربعائة
درم دين على فدخل
الدار ووزن أربعائة
درم وأخرجها إليه
ودخل الدار باسكيا
فقال امرأته هلا تملكت
حين شق عليك الاجابة
فقال إنما أبكي لأنني لم
أعتقد حاله حتى أحتاج
أن يخافني . وأخبرنا
الشيخ أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القدسي
قال أنا محمد بن محمد إمام
جامع أصفهان قال ثنا
أبو عبد الله الجرجاني
قال أنا أبو طاهر محمد بن
الحسن المحدث أباذي
قال ثنا أبو البختري قال
ثنا أبو أسامة قال ثنا
زيد بن أبي بردة عن
أبي موسى قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الأشعرين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشيتين قد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر ديناه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه (١) » وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان ترك التمتع بالذوات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدته وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المصيبة لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فيقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالمعجب بعمه فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويبدعه كما تبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيئاتها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه مصيبة وإلى ما يظنه بنال الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن التيسير يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التيسير وإن كان مظلونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبية . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة مجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتتلا على فهم معنى التراءه وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه (٢) » فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالسهم فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدو تآذي به قد يفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لسلك مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بيد جدو محال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر ديناه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد الحروري السهاخي الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في التزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد اقتسموا في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم . وحدث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه إذا أراد أن يغزو قال : يا مشر المهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم أحدكم إليه الرجل والرجلين والثلاثة فلأحدكم من ظهر جملة إلا عقبه كعقبه أحدكم » قال فضممت إلى اثنين أو ثلاثة مالى إلا عقبه كعقبه أحدكم من جملة . وروى أنس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تخاف أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتيسر الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرى « أنه نظر إلى علم توبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك التوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهنم واتون بأنجانته (١) ». وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على النبر ثم رمى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) ». وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لفة النظر إلى خاتم الذهب وعلم التوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبس ثم رمى به فلا تقطع وسوسة عروض الدنيا وتهدأ إلا بالرمي والفارقة فإدام ملك شيئا وراء حاجته ولو دينار أو احدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيماذا يفتقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحدا وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوسوس فمن أنشب محالته في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو محال فالله يا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للمصطفى فان امتنع أماته من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أبي أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرججه عن العلم فان أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا غيفا فتعمل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة تقلب القلب واتسام القلوب في الخير والسيئات)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاعفه فتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذب به شيطان إلى شر جذب به شيطان آخر إلى غيره وإن جذب به ملك إلى خير جذب به آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهيلا وإليه الإشارة بقوله تعالى - وتقلب أفئدتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في مجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول « لا ومقلب القلوب (٣) » وكان كثيرا ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء أن يقيه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل الصغور يتقلب في كل ساعة (٥) » وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في توبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على النبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرط م ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى ه ك وصححه على شرط م من حديث النوايس بن سيمان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ون في الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصغور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرط م والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريح قال له أقامك مالي نصفين ولي امرأتان فأطلق إحداها فإذا اقتضت عدتها فزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك فما حمل الصوفي على الاشارة لإظهاره نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بسند أن صوفيا غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك أن يصير صوفيا لأن السخاء صفة الغريزة وفي مقابله الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم بالفلاح لمن يوق الشح وحكم بالفلاح

«مثل القلب في قلبه كالتقدر إذا استجمعت غليانا^(١)» وقال « مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن^(٢) » وهذه التقلبات وهجائب صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدى إليه للرفة لا يعرفها إلا المراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في النبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبايا الأخلاق تنفدح فيه خواطر الخير من خزائن القلب ومداخل لللكوت فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكتشف له نور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فله فيستحنه عليه ويدعوه إلى الصلابة وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستقبرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهيئا عند ذلك بمدح مجنود لآرى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهي إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديبب الغملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكابد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بمدطهارته من المهلكات بصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سئذ كرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهو والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمهابة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمئن المراد بقوله تعالى - ألا يذكر الله تطمئن القلوب - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس الطمئنة - . القلب الثاني : القلب المخدول المشحون بالهوى الدنس بالأخلاق الذمومة والحباثت المفتوح فيه أبواب الشياطين السودود عنه أبواب اللائكة ومبدأ الشرك فيه أن يتقدح فيه خاطر من الهوى ويهيج في فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفيق منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتبسط فيه ظلماته لانجباس جند العقل عن مفاضته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والترور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لحوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأجمعه ما هو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت العصبية إلى عالم الشهادة من عالم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

لمن أعتق وبذل فقال
سومارزق نام ينفقون
أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم
الفلاحون - والفلاح
أجمع اسم لسعادة
الدارين والنبي عليه
السلام به بقوله ثلاث
مهلكات ، وثلاث
منجيات فجعل إحدى
المهلكات شحا مطاها
ولم يقل مجرد الشح
يكون مهلكا بل يكون
مهلكا إذا كان مطاها
فأما كونه موجودا في
النفس غير مطاع فانه
لا ينكر ذلك لأنه من
لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها التراب
وفي التراب قبض
وإمساك وليس ذلك
بالمعجب من الآدمي
وهو جبل في وإنما
المعجب وجود السخاء

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالتقدر إذا استجمعت غليانا أحمد وك وقال صحيح على شرط من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن وللبراز نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كادى لا يملك نفسه فبإيه الجاه والرياسة والكبر ولا يلقى معه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أو كادى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحق وزكريع من عيوبه أو كادى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهاك عليه تهالك الواله للستهتر فيفسى فيه للرؤوة والتقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى ينظم وتطفى منه أنواره فينطفى نور الحياء والرؤوة والإيمان ويسمى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمع والتتم فينبث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبيعة والسبع في تهجمها على الشر وقة أكثراتها بالعواقب تحمّل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ماهذا التخرج البارد ولم تتمتع عن هوائك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتعجز على نفسك حتى تبقى محروما غنيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أترى أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتريت ولم يتمتعوا أم ترى العالم القلاني ليس يمتز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه تحمّل النفس إلى الشيطان وتقلب إليه فيحمل الملك حمة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع لغة الحال ونسى العاقبة أفنقع بلة بسيرة وترك لغة الجنة ونعيمها أبدأ الآباد أم تستقل أم الصبر عن شهوتك ولا تستقل أم النار أفتر بفضلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هوام ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخفنه عنك مصيبة غيرك أ رأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أ كنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاوزا بين الحزبين إلى أن يئلب على القلب ماهو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ماهو سبب بدمه عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات لللكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتعرضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى القلب والاتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب اللامسكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجنائين وهذه الطاعات والماسى تظهر من خزائن النيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن اللسكوت وهى أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب الماضى وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يضر الحق بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا - يدمهم ويمنيهم وما يدمهم الشيطان إلا غرورا - يدمهم التوبة ويمنيهم للنفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهله الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول التورود ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره لمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - فهو الهامدى

في التريزة وهو نفوس الصوفية الداعى لهم إلى البذل والايثار والسخاء أم وأكل من الجود ففي مقابلة الجود بالبخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة التريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الفرائز والله تعالى منزه عن التريزة والجود يتطرق إليه الرأف ويأتى به الانسان متطلما إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من

والفضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد لحكمه ولا معقب لتضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبرر لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ^(١) » فعلى الله الملك الحق لا يستل عما فعل وهم يستلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر مجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم العامة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم للعامة وأسرارها لينتفع بها من لا يفتح بالظواهر ولا يجزى بالتشر عن الباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومفتح إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . تم كتاب مجائب القلب لله الحمد والمنة ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها وتخفيفه وتعذيبه وسهل على خواص عبادته تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله ويتأشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر وديابجره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمره مجاهدة التيقين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمغازي الفاضحة والردائل الواضحة والخبائث البعثة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفتدة كما أن الأخلاق الجليمة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه للرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تملحه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت الملل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأتق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاح أفعالها الجتها هو المراد بقوله تعالى - قد أفلح من زكاهها - وإجمالها هو المراد بقوله - وقد خاب من دساها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

التناء وغيره من
الحلق والثواب من
الله تعالى والسخاء
لا يتطرق إليه الرياء
لأنه ينبع من النفس
الزكية المرتفعة عن
الأعواض دنيا وآخرة
لأن طلب العوض مشعر
بالخل لكونه معلولا
بطلب العوض لها
تعرض سخاء فالسخاء
لأهل الصفاء والايثار
لأهل الأنوار ويجوز
أن يكون قوله تعالى
- إنما نطمعكم لوجه
الله لا تزيد منكم
جزاء ولا شكورا - أنه
نفي في الآية الإطعام
لطلب الأعواض حيث
قال لا تزيد بعد
قوله لوجه الله
فما كان له لا يشمر
بطلب العوض بل
الفرصة لطهارتها
تتجذب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فان ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأتباع دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم يان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم يان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لاغير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى لبيبه وجيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه - وإنك لملئ خلق عظيم - وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ^(١) » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ^(٣) » وقال عليه السلام « أتقل ما يوضع في لليزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق ^(٤) » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت إليه وقال أما تفقه هو أن لاتنضب ^(٥) » وقيل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق ^(٦) » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن ^(٧) » وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطمعه النار ^(٨) » وقال الفضيل [١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيراتها بلسانها قال لاخير فيها هي من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في لليزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان

لاعرض وذلك أكل
السخاء من أطهر
الغرائز. روت أسماء بنت
أبي بكر قالت : قلت
يا رسول الله ليس لي من
شيء إلا ما أدخل على
الزبير فأعطى، قال نعم
لأنوكي فيوكي عليك .
ومن أخلاق الصوفية
التجاوز والعفو ومقابلة
السيئة بالحسنة . قال
سفيان الاحسان أن
تحسن إلى من أساء
إليك فان الاحسان
إلى المحسن متاجرة
تكتنف السوق خذ
شيئا وهات شيئا وقال
الحسن الاحسان أن
تم ولا تخص كالشمس
والريح والنيث .
وروى أنس قال
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« رأيت قصورا مشرفة

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عندم (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ العفو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصحبة (٤) حديث أتقل ما يوضع في اليزان خلق حسن دت وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر الروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلا (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فطمعه النار تقدم في آداب الصحبة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرج العرائق ولم يبقه عليه وقد تقدم في باب الصحبة فليأمل .

فل اللهم قوتى قنواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوتى قنواه بالبخل وسوء الخلق (١) « وقال صلى الله عليه وسلم » إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق الأفزينا دينكم بهما (٢) « وقال عليه السلام » حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣) « وقيل « يارسل الله أى المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥) « وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (٦) « وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك (٧) « وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً (٨) « وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى (٩) « وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق (١٠) « وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله (١١) « وعن أسامة بن شريك قال « شهدت الأعراب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن (١٢) «

على الجنة قلت
باجبريل لمن هذه
قال للسكاظيين النيط
والعاقين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه « أن أبابكر
رضى الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم فى مجلس
جاء رجل فوقع فى
أبى بكر وهو ساكت
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رد أبو بكر
عليه بعض الذى قال
فغضب النبي وقام
فلحقه أبو بكر فقال
يارسول الله شمنى
وأنت تبسم ثم رددت
عليه بعض ما قال
فغضبت وقتت فقال
إنك حيث سكنت
ساكتا كان ملكك
ملك يرد عليه فسا
تكلمت وقع الشيطان

(١) حديث أبى الدرداء أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبى داود وت من حديث أبى الدرداء ما من شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال فى بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى فى كتاب الاستجداء والحرايطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى فى الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يارسل الله أى المؤمنين أفضلهم إيماناً قال أحسنهم خلقاً دت ن ك من حديث أبى هريرة وتقدم فى التكاى بلفظ أكمل المؤمنين ولطبرانى من حديث أبى أمامة أفضلكم إيماناً أحسنكم خلقاً (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هريرة والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وأبى هريرة أيضاً وضعهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الحرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً الحرايطى فى مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبى مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الحرايطى فى مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبى الهذيل عن أبى مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أى عبد الله هكذا رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الحرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد فيه لين (١١) حديث أبى هريرة كرم للره دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب وك وصحة على شرطم والبيهقى . قلت فى مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فى قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعراب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم فى آداب الصحة .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (١) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يمشي به بين الناس (٢) » وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (٣) » وقال أنس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال « إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد (٤) » وقال عليه السلام « من سعادة الرء حسن الخلق (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألين حسن الخلق (٦) » وقال عليه السلام لأبي ذر « يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق (٧) » وعن أنس قال « قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ رأيت للمرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتמות ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون، قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بحيرى الدنيا والآخرة (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته (٩) » وفي رواية « درجة الظمآن في المواجر » وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى (١٠) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة (١١) » وروى « أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكترنه عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقعد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلة فيفوق عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة ينتهي بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة ». أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكرخي قال أنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا الهبوى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا أبو هشام الرقاعى قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طس طس من حديث أبي هريرة إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا وللطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصحبة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله الحديث الخرايطى في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبرانى في الكبير وفي مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث على (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الخرايطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للرء حسن الخلق الخرايطى في مكارم الأخلاق والبيهقى في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث ألين حسن الخلق الخرايطى في مكارم الأخلاق من حديث على باسناد ضعيف (٧) حديث يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ه جب من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أ رأيت للمرأة يكون لها زوجان البزار والطبرانى في الكبير والخرايطى في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف (٩) حديث إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لهيعة (١٠) حديث عبد الرحمن بن سمرة إني رأيت البارحة عجبا الحديث الخرايطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والخرايطى في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصهبانيين من حديث أنس باسناد جيد

فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه م تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن آهينني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغاظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إياها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيدي ما ليك الشيطان قط سالكا لجا لإسلك لجا غيرك^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا ينفرد بسوءه الظن خطيئة تفوح^(٢)» وقال عليه السلام «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم^(٣)» الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياة قال فإذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياة وحسن الخلق وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقي لله وولي ومن الشيطان يرى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترفع ولا تعاد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى قليل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقته وخلقته معه لم يفارقه . وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكتاني التصوف خلق لمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزابلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا ، وقال لكل بيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهور وماتعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

(١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكرهه الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا ينفرد الحديث طعن من حديث عائشة ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه واستاده ضعيف (٣) حديث إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والحرايطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيانيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بمحدثين .

حديقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» وقال بعض الصعابة «يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيفني فيمربي أفأجزبه قال لا اقرب» وقال الفضيل القتوة الصفح عن عثرات الإخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس الواصل المكافي» ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الدى وكف الأذى . وقال الواسطى هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرماني : هو كف الأذى واحتمال المؤمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك للكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتهم الخلق في الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يصيبه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال طي رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض للثرات حسن الخلق لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من هزل الأقاويل المختلفة فتقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل للمال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل للمال أو السكوت عند الغضب بمجرد روية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقييح . والثاني القدرة عليهما . والثالث للفرقة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل قرب شخص خلقه السخاء ولا يئذله إما لفقده للمال أو للمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يئذل إما لباعث أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامسك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالنطرة قادر على الاعطاء والامسك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقييح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن مصدر منها الامسك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والتم والحذ بل لابد من حسن الجميع ليم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناصبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها وصلاحتها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والقييح في الأفعال فاذا

أن تفوه من ذلك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك» ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه. الصوفى بكافؤ في خلوته وبشيره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفى منازل إلهية ومواهب قدسية يرتوى منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا - قلب بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - والسرور إذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله تعالى - موجه يومئذ مسفرة - أى مضيئة مشرقة ممتبشرة أى فرحة قيل أشرفت من طول ما اغبرت في حيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح الشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال النفذ المضي لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثالها مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الحاصل واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة النفسية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعدة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والانتعاش تسمى جينا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجريزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأعمال الاختيارية، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالعدة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الدهن وتقامة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة والسكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والفجارة والحق والجنون ، وأعنى بالفجارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فتدبركون الإنسان فحمرالى شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأخير مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض . وأما الجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الفيظ والوقار والتودد ومثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستنشاط والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وضمير النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والتقاعه والورع واللطافة والساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرس والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والمتكبر والمجانة والعبث والملق والحسد والشهامة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فإذا تنعم القلب بليليد المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعيم - أمى نضارته وبريقه قال أنضرت النبات إذا أزهرو ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلى وإذا شرقت الشمس على المرآة الصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقفون به في جميع الأنفال ، ومن اتقك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين البعد فينبغي أن يعد كما أن الأول قريب من الملك القرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب إليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو عمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً فالليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانها وعمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استعمل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتركية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يقدر على تغييرها فالتغيير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا التبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك التبع الباطن يجرى هذا الجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده . فقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والوعاظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم» (٢) وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البريمة يمكن إذ ينقل البازي من الاستبحاش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والامسك والتخلة والقرص من الجراح إلى السلامة والالتقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن قول الموجودات منقسمة إلى ما لا يدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسما والكوكب بل أعضاء البدن داخلها وخارجها وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست يتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخله إذا انضاف التربة إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربة فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا فتحهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة الفريزة في أصل الجبلية وامتداده مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها أمراً وأعصاها

الجدران قال الله تعالى
- سبحانه في وجوههم
من آراء السجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظلال وهي القوالب
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالسجود
والأصالة - كيف لا يتأثر
بشهود الجمال . أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا
الكرخي قال أنا
الترياق قال أنا الجراحي
قال أنا المحبوني قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال
ثنا قتيبة قال ثنا
للسكندر بن محمد بن
السكندر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل معروف
صدقة وإن من المعروف
أن تلقى أخاك بوجه
طلق وأن تفرغ من

(١) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصحبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن عمرو عن النبي ﷺ

على التفسير قوة الشهوة فانها أندم وجودا إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلقه الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديماً كد بكرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجليل والتبسيح بل يبق كما فطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستم شهرته أيضاً باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يجعله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح التبسيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتطاوله اتياداً لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت لوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسخ في نفسه أولاً من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يفرس في نفسه صفة الاعتياد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اتمض لها بجد وتشمير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة للاستحسنة وأنها حق وجبيل وتربي عليها فهذا يكاد تتمتع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى القضيصة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة المحرم ومن التعذيب تهذيب الديق والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريء ، وأما الخيال الآخر الذي استدلووا به وهو قولهم إن آدمي مادام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن القصد من المجاهدة قلع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجلبة فلواتطعت شهوة الطعام لملك الانسان ولو اتمطت شهوة الواقع لا تنقطع التسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولملك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يعمل ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إبطاء ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يغلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشددة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر»^(١) . «وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تعمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق»^(٢) وقال تعالى - والكاذمين العيظ والمافين عن الناس - ولم يقل والفاقدين العيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تعمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج عن الحق من حديث عبدالله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه لهما من حديث عائشة وما اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله وللمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إثناء أخيك»
وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدي يسجن من القراء كل سهل طلق مضحك . فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالبوس كأنه عين عليك فلا أكثر الله في القراء مثله ومن أخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب والتزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم والتصف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار وأخلاق الصوفية تحاكي أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلاة والسلام «أما إنى أمرح ولا أقول إلا حقاً» روى «أن رجلاً يقال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولى الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياسة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتجربة وللشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن اللطوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اتفق الله تعالى عليه فقال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك اللطوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشراهة والجوراد قال الله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - وقال في الغضب - أشداه على الكفار رحما بينهم - وقال ﷺ « خير الأمور أوسطها (١) » وهذا لاسر وتعميق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إلى الإمساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فإن الفاتر للاحرار ولا بارد بل هو وسط بينهما فإنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشراهة والجوراد وكذلك سائر الأخلاق فكلما طرفي الأمور ذميمة هذا هو اللطوب وهو يمكن ، نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن أن القدر المرخص فيه فإذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجوراد إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلين متقادين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكْتساب فرب صبي خلق صادق للهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة المتخلفين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة وأغنى به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق اللطوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعيا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شرطا تحصل بهذا الطريق وغايتها أن يصير الفعل الصادر منه قديما فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ

(١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معصلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديا إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاتحضه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري الصدقة قال إذن تجدي كاسدا يا رسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد نزار بن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ للقدس عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس ما لم تعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجليلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرعة عيني في الصلاة ^(١) » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستتقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ^(٢) » ثم لا يكتفى في نيل السعادة الواعدة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه العصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله تعالى ^(٣) » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإيماناً كد تأثيرها بكرة للمواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً يميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحاً به مستلذاً له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرعة العين ومصير العبادات للذيذة فان العادة تقتضي في النفس محاسبات أغرب من ذلك فانقاد نرى للوكة والنعيمين في أحزان دائمة ونرى القامر للفلس قد يخلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه وبلتذ به وذلك لطول إله له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائماً رجليه وهو يحس بألمها لفرحه بالطيور وروحها وطيرانها وتوحيقها في جوار السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياطوطى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك نفراً لنفسه ويقطع الواحد منهم إرباً بإرباطي أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصير على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحاً بما يعتقده كالأشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبهه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء قترى الخنث في فرح بحاله وافتخار بكاله في تخنثه يتباهى به مع الخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والباهاة كما يجرى بين اللوكة والعماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى اللجاج فكيف لا تستلذ الحق لوردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهاى الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير طب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواه القضاة في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ولترمذى من حديث أنى بكرة وصححه أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا المطهر بن محمد
الفيقيه قال أنا أبو
الحسن قال أنا أبو عمرو
ابن حكيم قال أنا
أبو أمية قال حدثنا
عبيد بن اسحق العطار
قال ثنا سنان بن
هرون عن حميد عن
أنس قال « جاء رجل
إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله احملني
على جبل فقال أحملك
على ابن الناقة قال أقول
لك احملني على جبل
وتقول أحملك على
ابن الناقة فقال عليه
السلام فالجبل ابن
الناقة وروى صيب
فقال « أتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر يأكل
فقال أصب من هذا
الطعام فجعلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإنما اغذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل للمرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء، ولكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعها انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخدق في الكتابة له صفة تسمية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمجراحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الخادق ويواظب عليه مدة طويلة بما كفى الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجراحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قهية النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهاء حتى تتعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير قهية النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قهية النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا ينالها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتخليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعضيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس بالسكسل وتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صفائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الحاجة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قهية النفس بل يظهر قهية النفس شيئاً فشيئاً على التدرج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فلكل واحد منها تأثير فإيمان طاعة إلا لها أثر وإن خفي فله ثواب لا محالة فإن الثواب بازاء الأثر وكذلك العصية وكم من قهية يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قول الفقه فكذا من يستهين صفائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يخنطفه الموت بفتنة أو تراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتعتذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو اللغنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه : إن الإيمان ليدنو في القلب نكتة يضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس فإذا استكمل العبد الإيمان أيضاً القلب كله وإن النفاق ليدنو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق أسود القلب كله فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والقطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة

من التمر فقال أنا كل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم : يا دا الأذنين » . وسئلت عائشة رضي الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاً كما » وروت أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقت ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك » . وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح ، مروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقها الجهات الثلاث حتى صار ذات فضيلة طبعا واعتيادا وتلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذالا بالطبع وافق له قرناء السوء فعمل منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد محسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .. وما ظلهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ..

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والليل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والليل عن الاعتدال مرض فيه فلتتخذ البدن مثلا . فقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل الزواج الاعتدال وإنما تعترى العدة الضررة بعارض الأذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتقاد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والترية بألغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكامل وإنما تكمل بالترية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالمعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة الغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لاتعالج إلا بصددها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بصددها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشهي تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتيات لمعالج الأبدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المهادنة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبا الأباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة الريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ التبع القدي يطب نفوس للريدين ويعالج قلوب المسترشدين فينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكتهم وأمات قلوبهم بل فينبغي أن ينظر في مرض للريد وفي حاله وسنه وزواجه وما احتمله بيته من الرياضة ويبقى على ذلك رياضته فإن كان للريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصيبة فأمره أولا بتركها

الترياقي قال أنا

أبو محمد الجراحي

قال أنا أبو العباس

المجسوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال ثنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال ثنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياح عن أنس رضي

الله عنه قال إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ لي صغير يا أبا عمير

ما نزل النغير والنغير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زيرا

رضي الله عنهما فسبقه

الزير فقال : سبقتك

ورب الكعبة ثم سابقه

مرة أخرى فسبقه عمر

فقال عمر : سبقتك

فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظير قرأتين الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولاذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه اللواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فلن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكسب اللواضع القذرة وملازمة الطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعوته في النظافة فإن الدين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون للرقعات النظيفة والسجادات الملونة لافرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبدا الإنسان نفسه أو يعبدا صنفاً فلهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطارها مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان للريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضعها دفعة فينبغي أن ينقله من الحلق المذموم إلى خلق مذكوم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزال الدم كما يرغب الصبي في اللعب بالكرة والصلولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالباً عليه أزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلية على الماء دون الحبز ويلية على الحبز دون الماء ويعينه اللحم والأدم رأسا حتى تذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالباً عليه أزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصعبه ممن فيه سوء خالق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يهود نفسه الحلم ويؤذي عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتبهه على ملامة من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضمف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يماجون السكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نوبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمع بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقه على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه سلوك مسلك الضادة لكل متهووا النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - والأصل اللهم فى المجاهدة الوفاء بالعمز واداعزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى أن يصبر ويستمر فانه إن عود نفسه ترك العمز ألفت ذلك ففسدت وإذا انفق منه تقص عزم

ورب الكعبة وروى
عبد الله بن عباس
قال قال لى عمر تعال
أنا فسك فى الماء أينا
أطول نفسا ونحن
محرمون . وروى
بكر بن عبد الله قال
كان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه
وسلم يتناحون حتى
يتبادحون بالبطيخ
فاذا كانت الحقائق
كانوا هم الرجال يقال
بدح يدح إذا رمى
أى يترامون بالبطيخ
وأخبرنا أبو زرعة
عن أبيه قال أنا الحسن
ابن أحمد الكرخى
قال ثنا أبو طالب
محمد بن محمد بن
إبراهيم قال ثنا
أبو بكر محمد بن محمد
ابن عبد الله قال حدثنى
إسحاق الحربي قال ثنا

فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكيفية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب لفرض البدن يتعدى عليها البطش ومرض العين أن يتعدى عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فله الخاص به الذي خاق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والامتناع بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصة النفس التي للأدنى ما يتميز بها عن البهائم فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإبصار وغيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومعتزها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة للمعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المجهوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترسوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة للشهوات وهو نزع الروح فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيياً حاذقاً يعالجه فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للمريض قلما يلتفت إلى علاجه فلماذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً واندرس هذا العلم وأنكر بالكيفية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومرات فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فإن كان يعالج الداء البخل فهو للهلك للبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يذل المال وإنفاقه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المذخور فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق للوجوب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامسك بالخلق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الامسك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلتك بتفسير الأفعال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجع عندك البذل على الامسك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليماً عن هذا اللقاع خاصة ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمرو بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن محمد بن
الليث عن يحيى بن
عبد الرحمن بن حاطب
ابن أبي بلتعة قال إن
عائشة رضی الله عنها
قالت وأتيت النبي صلى
الله عليه وسلم محريرة
طبختها له وقلت لسودة
والنبي صلى الله عليه
وسلم بين وبينها كلى
فأبت فقلت لها كلى
فأبت فقلت لتأكلن
أو لألطنخن بها وجهك
فأبت فوضعت يدي
في الحريرة فاطنخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع غنمه وقال
لسودة الطنخى وجهها
فلطنخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة الملائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمشة راضية مرضية داخلية في زمرة عباد الله القربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية العموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم ، ومن استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة ولما ينفك العبد عن ميل عن الصراط للمستقيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا وإردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الدين اتقوا - أي الدين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيتنى هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية العموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فإيتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعدها وليشتغل بعلاج واحد واحدها على الترتيب . فسأل الله الكريم أن يجعلنا من التقيين .

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق : الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكّمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتليذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له مالذي بلغك عنى مما تكرهه فاستعنى فأخ عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناقنين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت نهمة لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداينة فيخبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقاتك عن حدود أو صاحب غرض يرى ما ليس بيب عيبا أو عن مدهن يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعترل الناس قبيلا لم لا تخلط الناس ؟ فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبي فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبهه غيرم

عليه وسلم فمر عمر رضي الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهكما فالت عائشة رضي الله عنها فما زلت أهلب عمر لهية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه . ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صيبا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة إذا خلا . وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا نذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزح عنده ويمازحنا وكننا نخرج من عنده ونحن نضحك وكننا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبض الخلق إلينا من ينصنا ويمرنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فان الأخلاق السيئة حيات وغارب لهاغة فلو نهنا منه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة فرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وإبادهها وقتلها وإعما نكابتها على البدن ويدوم ألمها يوما لما دونه ونكابة الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بمد للوت أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لاقرح بمن ينهنا عليها ولانشغل بازالتها بل نشغل بمقابلة الناصح بمثل معاتته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنبسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصيرنا بعبوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوقننا للقيام بشكر من يظلمنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي للسوايا ، ولعل انتفاع الانسان بدوة مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدو وحمل مايقوله على الحمد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخاطب الناس فكل مارآه مذموما فيها بين الخاق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فان للؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتقصد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن الأؤدب . قيل لميسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شيخنا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقناها في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهديب عباد الله تعالى ناهما لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو بصدده .

(بيان شواهد الثقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان مجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراه قال الله تعالى - رفع الله الدين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقوال العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قبل تزج منهاجبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخضه وكافر يقاتله وشیطان يضله ونفس تنازعه ^(١) » فبين أن النفس عدو تنازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخضه الحديث أبو بكر بن لال في

مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لبن الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يتمدونه من للداعبة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرم إلى سقرحة الله فاذا خلوا وقوا وموقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يهتفي في هذا للنبي على حد الاعتدال إلا صوفي قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم يتوقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب
 للتلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
 لموعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ تقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى
 الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس» (١) وقال صلى الله عليه وسلم
 «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك
 ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلنم بضعك بعضا إلا أن ينظر الله تعالى
 ويستتر» (٣) وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد على من نفس مرة لى ومرة على وكان أبو الباس
 الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا في الذنبايع أبناء للوك تشتمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تهتدين
 كأنى بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس الاستحجين وقال الحسن مالداه الجرح بأحرج إلى اللجام
 الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه
 القوت من الطعام والتمض من النوم والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة
 الطعام موت الشهوات ومن قلة للنم صفو الإيرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال
 الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت
 من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام
 من غممة التهجد وقلة النوم وضربتها بأيدي المحول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن
 من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفى من ظلمة شهواتها فتجود من عوائل آفاتنا فصير عند ذلك
 نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره
 في الميدان والملك التنزه في البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس
 من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من
 استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغفولا زمامه في يدها
 تجرعه حيث شاءت فتمنع قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجمت العلماء والحكماء على أن النعيم
 لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر
 الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتبأ
 للذل . ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على
 راية الطريق في يوم موكب وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكته سبحانه من جعل
 الملوك عبيدا بالمصية وجعل العبيد ملوكا بظاعتهم له إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء
 المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إنه من يتق ويصبر
 فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة قعمت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها
 فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطلق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف في عبادة مطروح على الطريق
 فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قتلت ياسيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل
 أن يحرك لى قلبك قتل فعل لما حاجتك قال فنى يصير داء النفس دواءها قتلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار
 من ذلك للريدين
 للبتدين لقله عليهم
 ومعرتهم بالنفس
 وتهديم حد الاعتدال
 فللنفس في هذه
 اللواتن نهضات ووثبات
 تخرج إلى الفساد وتخرج
 إلى العناد فالنزول إلى
 طباع الناس يحسن من
 صد عنهم وترقى لعلو
 حاله ومقامه فينزل إليهم
 وإلى طباعهم حين
 ينزل بالعلم فأما من لم
 يصعد بصفاء حاله عنهم
 وفيه بقية مزح من
 طباعهم - ونفوسهم
 الجائعة الأمانة بالسوء
 إذا دخلت في هذه
 للداخل أخذت النفس
 حظها واغتنت ما ركبها
 واستروحت إلى الرخصة
 والنزول إلى الرخصة
 يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في شرح محابب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أثناء حديث وضحوه من حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله الحديث لم أجد هذا السياق .

هو اها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبنيك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسميه إلا من الجيد ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشي إليكم على الماء البارد في الدنيا لكي لا أحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكم قال إذا اشتيت الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتيت الكلام . وقال على رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمتك إلا من كرامتك على ، فأذن قد انفق العناء والحكاء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنساج واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألته فإذا مات غنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يشي الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بعمرة الله وجهه والتفكير فيه والاعتناء إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الله ذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا ينتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات العيشة فهو من الصديقين ولا يتيسر إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعًا لكن الدنيا أغلبت على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا عمالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلبت على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فانك أنت للعاذ وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع بسبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة وللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركها فرأيت رمانا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلوسأله أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلوسأله أن يحميك من شهوة الرمان فان لبغ الرمان يمجذ الانسان ألمه في الآخرة ولبغ الزناير يمجذ ألمه في الدنيا فتركته ومضيت . وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبتني نفسي أن أغمس خبزتي في ديبس فما أطعمتها فأذن لا يمكن إصلاح القلب لسلك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فان النفس إذا لم تمنع بعض الباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن النية والفضول حفظه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن اللهفات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يشككم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على البعد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزمنة غالب أوقاته
وليس ذلك شأن
البتدي فالعقوبة
العناء فيها ذكرته
تروح يطون حاجة
القلب إلى ذلك والشيء
إذا وضع للحاجة يتقدر
بقدر الحاجة ومعيار
مقدار الحاجة في ذلك
علم فامض لا يسلم لكل
أحد قال سعيد بن
الخاص لأنه اقتصد في
مزاحك فالأفراط فيه
يذهب بالبهاء ويجري
عليك السفهاء وتزك
يفيظ للؤانسج
ويوحش الخاطلين فإله
بضمهم للزواج مسلبة
للجاء مقطعة للاخاء
وكما يصعب معرفة
الاعتدال في ذلك يصعب
معرفة الاعتدال في
الضحك والضحك من
خصائص الانسان

وراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير نعمة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سمّ قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر اللوت وأحوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب وهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك فم لها ففسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية حرة بيضة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفلوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر فطمعوا عن ملاذها وهودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة قد عذب غلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالحلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذ قصد تأديبه ونقله من التوب والاستيحاش إلى الاتقياد والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتخط عيناه حتى يحصل به القطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان الله من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألقه إذا دعاه أجا به ومهما مع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربه ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها بالحلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت التناء والذكر والثناء ثانيا في الحلوة حتى يئسب عليها الأنا بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنا بالدنيا وسأرت الشهوات وذلك يتقل على المرید في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يظلم عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكأوه وجزعه عند القطام ويشد غوره عن الطعام الذي يقم إليه بدلا عن اللبن ولكنة إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تمبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصبره طبا فلور د بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فيجبر الثدي ويألف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفرعن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك تمها وتمنع عن السرج الذي ألقته بالسلال والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعم الدنيا بل بكل ما يزيها بالموت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فاذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من قاتل إلا وهو راض باحتمال للشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة أودهرا وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمایات السكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالمز في القضاء والولاية، أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له فواليك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو بمن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح

وبميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تسجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يفض الضحك من غير هجب للشاء في خير أرب وف كرفرق بين المداعبة واللزاع فقيل للمداعبة ما لا يفضب جده واللزاع ما يفضب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة

فليترك الناس وليتفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والمكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يجمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيئاً ولا تزول إلا بتقطع ذلك السبب والملاقة ويلتزم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبود نفسه فإذا جاهد نفسه أذن مجاهدة حتى ترك فواحش العاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والناقضين في كتابه وهي بجملة ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - الثابتون العابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقا - وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة ، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جمعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل ما تقدمه وحفظ ما وجدته وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١) » وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره (٣) » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (٤) » وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمن إيمانا أحسنهم أخلاقا (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن ضحكوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة (٦) » وقال « من سرته حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن (٧) » وقال « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه (٨) » وقال عليه السلام « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن يفتي على أخيه ما يكرهه (١٠) » وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث للمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثها وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثها وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكل المؤمن إيمانا أحسنهم أخلاقا غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن ضحكوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطلق فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة (٧) حديث من سرته حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصحه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصحه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسلًا وقد تقدم (٩) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلما طبرك من حديث النعمان بن بشير والبراز من حديث ابن عمر وإسناده صحيح (١٠) حديث إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم
ببطلان الوضوء بها
وقال يقوم الأثم مقام
خروج الخارج
فلا اعتدال في المزاج
والضحك لا يتأتى إلا
إذا خلص وخرج من
مضيق الخوف والقبض
والهيسة فانه يقوم
بكل مضيق من هذه
المضايق بعض التقويم
فيعتدل الحال فيه
ويستقيم فالبسطة
والرجاء ينشئان المزاج
والضحك والخوف
والقبض يحكان فيه
بالعدل . ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك أن التكلف
تضع وتعمل وتمايل
على النفس لأجل الناس
وذلك يباين حال
الصوفية وفي بعضه خفي
منازعة للأقدار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حلما رفيقا عفيفا شافيا لئاما ولا مبالا ولا ممتنا با ولا محجولا ولا حقودا ولا نجولا ولا حسودا بشاشا هاشاشا يحب في الله وينفض في الله ويرضى في الله ويضرب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همه في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همه في الطعام والشراب كالبيحة (١) » وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل وللمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويحكي والمنافق يسوء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويحشى الفساد والمنافق يقطع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكك من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما معي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضيت الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر باعطائه (٢) » ولما كثرت قريش إيذاه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لعل خلق عظيم - ويحكى أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال أنت عبد قال نعم فقال له ابن العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندي إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فعاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فسجده ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزّل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يسألني عبد من أنت بل قال أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أنني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيه مني الشر . ودعى أبو عثمان الخيري إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تجرّبه فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعا ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعا الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا جازجره وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه إجانة فزّل عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفذ الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجزله

الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأه الصادقين . روى أنس ابن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خبز ولا لحم وروى عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الأدام الخلل » وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبز واما وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحد لأحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع

الحديث تقدم في آداب الصعبة (١) حديث سئل عن علامة للمؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان يمضى فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حب واليبقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

أن يغضب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان بئسابور حمام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقى إلى باب الحمام ففتحه ودخل فترع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلى الماء فقام على بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقى وسمع كلامه مع على ابن موسى الرضا فخاف وهرب ووخلاها فلما خرج على بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما التنب لمن وضع مائه عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياطة كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسى يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يجزئه بذلك ولا يردها عليه فانفق يوماً أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسى فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بش ما عملت هذا المجوسى يعامنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقها في البئر لك لا يفر بهامسما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخاق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والنماس العذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوقه . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المسكافة والرحمة للظالم والاشتغاف له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينها وجالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أوسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لاتدموا ساقى فتعنوني عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقى في نفسك شئ فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعا ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يامرأتى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأتلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذلت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها وتقيت من العشى والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا يبالها إلا المقربون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول تشوم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نقيصة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش وما نزل إلى كل ما يعال به

الأشياء كالتكلف
بالملبوس للناس من
غير نية فيه والتكلف
في الكلام وزيادة
التماق الذى صار دأب
أهل الزمان فما يكاد
يسلم من ذلك إلا آحاد
وأفراد وكم من متعلق
لا يعرف أنه تعلق ولا
يفطن له فقد يتعلق
الشخص إلى حد
يخرجه إلى صريح
النفاق وهو مبين لحال
الصوفى. أخبرنا الشيخ
العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن على قال
أنا أبو الفتح الهروى
قال أنا أبو نصر الترياقى
قال أنا أبو محمد الجراحى
قال أنا أبو العباس
المبسوفى قال أنا
أبو عيسى الترمذى قال ثنا
أحمد بن منيع قال
ثنا يزيد بن هرون عن

إليه دن عود الخبز وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل وإهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائته بأن يؤدبه ويهذبه ويطلبه محاسن الأخلاق ويحفظه من القراءات السوء ولا يعود التتم ولا يحب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائه وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبنة تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انجبت طبيئته من الحبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الحيثيات ومهما رأى فيه محاليل التميز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان محتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تميزه وأول ما يقلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد اللضغ وأن لا يوالى بين اللقم ولا يبلطخ يده ولا توبه وأن يعود الحبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي للتأدب القليل الأكل وأن يحب إليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الحشن نى طعام كان وأن يحب إليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمحنتين وأن الرجال يستكفون منه ويكررو ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبرسم أو ملون فينبغي أن يستكفوه ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التتم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالفة كل من يسمعه ما يرغب فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردى الأخلاق كذا با حسودا سروقا نماما لحوحا ذافضول وضحك وكيد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في الكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأسمار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأبداء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يخرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفمل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ويهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فان إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يزال بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويمظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا تفضض بين الناس ولا تنكسر القول عليه بالتتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع اللامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هية الكلام معه فلا يوجهه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأدب وترجره عن القبائح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن بذنه فلا يصبر عن التتم بل يعود الحشونة في للفرش

محمد بن مطرف عن
حسان بن عطية عن
أبي أمامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
«الحياء والعى شعبتان
من الإيمان والبذاء
والبيان شعبتان من
التفاهة» البذاء الفحش
وأراد بالبيان ههنا
كثرة الكلام والتكاف
للناس بزيادة تفاق
وثناء عليهم وإظهار
التفصح وذلك ليس
من شأن أهل الصدق
وحكى عن أبي وائل
قال مضيت مع صاحب
لينا خبز شعير وملاجا
جريشا فقال صاحبي
لو كان في هذا الملح
سفر كان أطيب فخرج
سلطان ورهن مظهرته
وأخذ سفرنا فلما أكلنا
قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار للشي والحركة والرياضة حتى لا يطلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده أو شيء من مطاعمه وملابسه أو لوجه ودواته بل يعود للتواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفقة في الاعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لوم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة يبيح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكبر أيضاً وينبغي أن يعود أن لا يصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتشابه بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام وبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع العيّن رأساً صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتدنى بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا ويقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وغشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب للمالك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لبعاجيل يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يعبت قلبه ويطلق ذكاه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً ، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة والكذب والفحش وكل ما يظلم على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما للقصد منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نصيبها ، وآها دار ممر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نصيبه في الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، وإن وقع النشو بحلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشربه الطعام واللباس والتزين والتفاخر بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي مجوهره خلق قابلا للعبير والشر جيما وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي فطنا بما رزقنا فقال سلمان لو قتلت بما رزقتك لم تكن مطهرتي مرهونة وفي هذا من سلمان ترك التكلف قولاً وفعلاً وفي حديث يونس النبي عليه السلام أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كراماً من خبز شعير وجز لهم قسماً كان يزرعهم قال لولا أن الله لعن للتكفين لتكلفت لكم قال بعضهم إذا قصدت للزيارة قدم ما حضر وإذا استزرت فلا تبتقي ولا تنذر. وروى الزبير ابن العوام قال نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً اللهم اغفر للذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) « قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلنته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلنته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة قلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتكم ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينمك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أبعثه إليك والمعصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بي إلى المكتب قلت إنى لأخشى أن يتفرق على هي ولكن شارطوا العلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فضيت إلى الكتاب فعلت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنى عشرة سنة فوفقت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يعثونى إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسألته عنها فأجابنى فأثقت عنده مدة أتفع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشتري لى بدرم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحثا بغير ملح ولا أدم فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل الملح حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سببا مستهينا بنعيم الدنيا ولداتها فان كانت عنده خريزة فرأى جوهرة قديمة لم يبق له رغبة في الخريزة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق وإخلاص فان ذلك يضاهاى قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخريزة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخريزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السلوك والسانع من السلوك عدم الارادة والسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والملاء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والنبيين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس فى علماء الدين من يفهمهم فان تنبه منهم متنبه هجر عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من الملاء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن سبج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق الملاء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتمطلت الطرق لاهماله فان تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبت له إرادة في حارث الآخرة وتجارته فينبغى أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معصم

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

لأموات أمتى ولا يتكفون إلا إنى برىء من التكلف ومالحو أمقى « وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى - فأنبئت فيها جبا وعينا وقضيا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا - ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال ويبد امر عصاه فضربها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم أعمالوا به ومن لم تعرفوا فسكوا علمه إلى الله . ومن أخلاق الصوفية الاتفاق من ضبير إقتار وترك الراداخار وذلك أن الله فى يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة

لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من الحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق نتيجه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والعصية وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والمهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ومحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من الجاهدة لامن المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً إذ ليس من شرط الريد الانتماء إلى مذهب معين أصلاً وأما العصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر للعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وأخيراً ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا عمالة ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين فاسد وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طرته لا عمالة لمن سلك سبيل البوادي الهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تنجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتعصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يتيق في متابته شيئاً ولا يذير وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا التمسك وجب على مصلحته أن يحميه ويصممه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلوّة والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليشهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي ياضه نوره ويذيب شحم القواد وفي ذوبانه رفته ، ورقته مفتاح الكاشفة كما أن قساوته بسبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاربه العروق المتكئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرّي والراة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقبى على
شاطى بهر والقيم على
شاطى البحر لا يدخر
الساء في قربته
وراويته . روى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « ما من يوم إلا له
ملكان ياديان فيقول
أحدهما اللهم أعظم نقفا
خلفا ويقول الآخر اللهم
أعظم ممسكا تلقا »
وروى أنس قال « كان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخر شيئاً
لنفسه . وروى أنه
« أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث
طوائر فاطم خادمه
طيرا فلما كان الضد أتاه
به فقال رسول الله ألم
أنهك أن تحباً شيئاً
لنفسك فان الله تعالى يأتي

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتمّ بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يفسد القلب ويمتد إلا إذا كان جسد الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار القلب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الحواس رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن للمعزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرا به وتديير أمره فينبى أن لا يتكلم إلا جسد الضرورة فان الكلام يشغل القلب ويشرد القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد للذكر والسكر فيستريح إليه فالصمت يقطع العقل ويجلب الورع ويصل التقوى . وأما الحلوة فمالتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تصب إليه مياه كرهية كدرة قدرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا من قنذ الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالحلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها المزمّل يا أيها اللدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عضة على طريق الله تعالى لإلصقات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات أعنى أسرار الملائق التي قطعها في أول الارادة وآثارها أعنى اللال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى المعاصي فلا بد أن يغلى الباطن عن آثارها كما أغلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة للشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة طالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك أضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويعينه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد ويمررتها أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الحلوة من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشبلي للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتيني فيها إلى الجمعة الأخرى شيء عسى الله تعالى يفرغ عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للشتهر الذي ليس له إلا م واحد فاذا كان كذلك أئزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من

برزق كل غسد .
وروى أبو هريرة
رضي الله عنه « أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على
بلال وعنده صبرة من
تمر فقال ما هذا يا بلال
قال أدخر يارسول
الله قل أما تخشى أنفق
بلالا ولا تخشى من
ذي العرش إنفلا .
وروى أن عيسى ابن
مريم صلى الله عليه
وسلم كان يأكل الشجر
ويلبس الشعر ويبيت
حيث أمسى ولم يكن
له ولد يموت ولا بيت
يخرّب ولا نجبا شيئا
لقد فالصوفي كل خباياه
في خزائن الله لصدق
توكله وتقمه بربه
فالدنيا للصوفي كدار
الغربة ليس له فيها
ادخار ولا له منها

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها المزمّل يا أيها اللدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بجرأ فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأبيت خديجة فقلت ذروني وصبوا على الماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال فزلت يا أيها اللدثر وفي رواية فقلت زملوني زملوني ولهما من حديث عائشة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرًا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأمر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يحس عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه قابلة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو التصود خلا لامحالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتلق بالذنب وما يتذكر فيه مما قدم من أحواله وأحوال غيره فانه معها اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضا قصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوسواس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوسواس من هذه الكلمة وأنها هي وما معنى قولنا الله ولأي معنى كان إلها وكان معبودا ويستره عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفسك وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرًا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعا أن الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويبتل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وإما يترغبن من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه مسمع عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو التفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة فقلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين العجائز» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في المرید فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرد به إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتواترة أو يشغله بخدمة للتجردين للفكر لتشمله بركنهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقى القوم ويعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زميرتهم وتعمه بركنهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدين العجائز قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن سلمان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليكن بدين أهل البادية والنساء وابن سلمان له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان ينهم بوضعها انتهى ، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن سلمان والله أعلم .

استنكار قال عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تندون خفاصا وتروح بطانا» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن السنكدر عن جابر قال ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبالاسناد

لا يبلغ درجتهم ثم الريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطع قواعده كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك قنورا في طريقه ووقفا بل يفتنى أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العيشان الذي لا ترويه البحار ولو أقيمت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الاطلاع عن الخلق إلى الحق والحياة قال بعض السياحين قلت لبعض الأبدال للنقطيين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلتني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة قلت هنا لعله قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول الجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجل له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للذكور فتجد النفس فيه لغة ليس وراءها لغة فتدعوه تلك اللغة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللغات وتحسين الألفاظ للعبارة عنها وترتيب ذكورها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتجلى إليه القلوب والأسماع فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب اللوحي الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا تنفك فيه لغة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلامه وأجزل لفظا وأندر على استجلاب قلوب العوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محرکه كيد القبول وإن كان محرکه هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنى على إصلاح عباده كالذي يجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجدته ضائعا وتعين عليه ذلك شرطا لجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يحسد من عينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم للنبيون والهيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبغي أن يكون للريد على حذر منه فإنه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اتقنت له أوائل الطريق فإن إشار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثر الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا منهاج رياضة الريد وتزيينه في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم التضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياضة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بتلك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه الضرور فلماذا يجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع الملهكات بثانية كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في لم الدنيا

عن الدارمي قال أنا يتوب بن حميد قال أنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري قال إن جبريل عليه السلام قال ما في الأرض أهل عشرة من آيات إلا قلبتهم فما وجدت أحدا أشد إيقاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا] . قال ذوالنون المصري :

من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعرز لكفى صاحبه وقال بنان الجمال :

الحر عبد ما طمع والصد حر ما قنع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع العز وكتاب في ذم الهلكات وتعليم طرق العاجلة فيها يتم غرضنا من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذى هو معدن المهلكات والنهجات وما ذكرناه في الكتاب الثانى هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسما وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتعزيب القائم بالعدل فيما يرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينم به ويسديه التكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما ينمى بأمانه فهو الذى يرشده ويهديه وهو الذى يمينه ويحميه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذى يوقه للطاعة ويرتضيه وهو الذى يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرمه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكته من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يعيد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلذ به وبشبهه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما هوأه وينتجيه وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه وبواجب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجيه صلاة ترفقه وتحظيه وترفع منزلته وتمليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الندى والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فلبت بهما مشهوراتهما حتى أكلتا منها فبذبت لهما مساوئهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدوية والآفات إذ يقبها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنسكاح شدة الرغبة في الجاه والمسال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعمات ثم يتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسبات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكبر والشكر والسكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقحام البغى والمنسكرو والفتشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطن الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذعن لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والبطيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتهما تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبه على فضلمها وأرغيا

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتم من حرمك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية ودبر أمر الآخرة بالحرص والتجمل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا يذبو . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الحلال يفتاد قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوى قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما طى المرید في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلته من مخالفة شهوة البطن والفرج والمعين .

(بيان فضيلة الجوع وزم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» (٢) وقيل يارسول الله أي الناس أفضل قال «من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً في الله سبحانه وأبفضلكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أ كول شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختاراً لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما اشهدوا ياملكتي مامن أ كلة يدعها إلا أبدلته بهادرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ماملاً ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يضمن صلبه وإن كان لا بد فاعلا ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأحياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفقدوا وتمرهم بقاع الأرض ونحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس الفرش الوثيرة واقترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكى الأرض إذا قعدتهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه ككفافاً ثم صبر عليه» وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلاً (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضاً (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته يأتي الكلام عليه وطل ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً وتفكراً الحديث لم أجده لهذه الأحاديث المقدمة أصلاً (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختاراً لذلك البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي اللائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تيمتوا القلب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أقف له على أصل (١١) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت من حديث التقديم وقد تقدم.

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكلموا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق شعنا غيرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عتلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يمدب الله قوما هم فيهم. الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تجو بهم وإن استطعت أن يأتيك اللوت ويطنك جائع وكبدك ظمآن فاضل فانك تترك بذلك شرف للنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك لللائكة ويصلى عليك الجبار (١) .

روى الحسن بن علي بن هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وقمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين أجمعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله ليغض الحبر السمين لأن الحسن يدل على الغضة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحزب ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى يغض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيخوا مجاريه بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن يأكل في معنى واحد وللنافق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته وذكر للمعنى كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذها كما يأخذ المعنى وليس للمعنى زيادة عدد معى للنافق على معنى المؤمن . وروى الحسن بن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أديعوا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أصغر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في اللطائف وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن علي بن هريرة البسوا الصوف وقمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث طاوس مرصلا أجمعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث للمؤمن يأكل في معنى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث الحسن بن عائشة أديعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصغر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عندنا وحسنه ووه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفذ وروى عن
عمر رضي الله عنه أنه
قال كونوا أوعية
الكتاب وينابيع
الحكمة وعدوا أنفسكم
في اللوت واسألوا الله
تعالى الرزق يوما بيوم
ولا يضركم أن لا يكثر
لكم . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر عن أبي
الفضل والده قال أنا
أبو القاسم إسماعيل بن
عبد الله الشاوي قال أنا
أحمد بن علي الحافظ قال
أنا أبو عمرو بن حمدان
قال حدثنا الحسن بن
سفيان قال حدثنا عمرو
ابن مالك البصري قال
حدثنا مروان بن
معاوية قال حدثنا
عبد الرحمن بن أبي
سلة الأنصاري قال
أخبرني سلة بن
عبد الله بن عصفور

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعاً وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو بلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى الزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرمهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أيا ما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فواته ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أمتكث منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أهلك منذ ثلاثه أيام (٢)» وقال أبو هريرة «ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للتخمون اللأى وماترك عبد أكلة يشتهها إلا كانت له درجة في الجنة (٤)». وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فانها تقل في الحياة تن في المات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الحلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقصدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أخافين أن تجوعى لا تخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجتني وأعزيتني وفي ظلم الليالي بلامصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح للوصول إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدى شكر ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت ل محمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غيلة تقوته وتقنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجتني وأجتت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلامصباح وإني تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع الثابئين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياحة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاءي أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافق القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئاً أتفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم ببطائح النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لمله بدائها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك للرءاء والمجادلة والغضب لإلحاق واعتماد الرفق والحلم وذلك أن النفوس تثب وتظفر

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلي شبعاً قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة طب وأبو بصير في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

[١] وجد بهامش العراقي ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللديني مطولاً في كتاب استحلاء الموت وأوردته عياض في الشفاء ١٥ .

العصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث «ثلث للطعام فمن زاد عليه فأنما يأكل من حسناته»^(١) وسئل عن الزيادة فقال لا يجدر الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأخص البطون والسهر والصمت والحلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه اتطعت عنه الوسوس وقال إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله وقال اعلوا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فلم من العصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأى قيد أقيد نفسى قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها بأخمال الله كروتك المزوضرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانجمن آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحابها بخلاف هواها . وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب السكى مثل البطن مثل الزهر وهو العود المحجوف ذوالأوتار إنما حسن صوته لحفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمائم. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يعجبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة . وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحاً لم يأكل غنطرياله الحبز فاقطع عن النجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد النجاة وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فإني كنت في حالة غنطريالي الحبز فاقطعت عن فقال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر بيالي منذ عرفتك فلا تخضر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخطر . وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجياً كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ثلاثين ثم عشراً على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبييت يوماً فزيد عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك» [١] ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلاف المعدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبى أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمة وتناوله الأشياء السكرهه وما يجرى مجراه فاعلم أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به ووطن أن منفعته لسكرة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وإما يقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا محاسنة العلماء ومن جوع نفسه مصداقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة للنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى «إرفع الله الدين آمنوا منكم والذين آمنوا العلم درجات» فنقول في الجوع عشر فوائد : الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة فإن الشبع يورث البلادة ويحى القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يمتوى على معادن السكر فيثقل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث للطعام تقدم .

[١] بيت جاهل يا أنفسكم لم يخرج به المراءى .

في المارين والصوفى
كما رأى من صاحبه
ظاهرة قابلها بالقلب
وإذا قوبلت النفس
بالقلب ذهبت الوحشة
وانطقات الفتنة قال
الله تعالى تعلبا لعباده
- ادفع بالتي هي أحسن
فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي
حميم - ولا يزعج المرء إلا
من قوس زكية أنزع
منها العلل ووجود العلل
في النفوس مراد الباطن
وإذا انتزع المرء من
الباطن ذهب من
الظاهر أيضاً وتكون
القل في النفس مع من
يشاكله ويمائله وجود
الناقصة ومن استقصى
في تذويب النفس بنار
الزهادة في الدنيا ينمحي
القل من باطنه ولا يبقى
عنده منافسة دنيوية

الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي. الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السامى وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى (١) » ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفتن قلبه (٢) » وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع (٣) » وقال الشبلى ماجت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة مارأيت قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر للوصول إلى المعرفة والاستبصار بمخائيق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لثمان لابنه يابن إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البسد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم . لا تشبعوا فتنفتوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في حفة من الطعام بات المحور حوله حتى يصبح (٤) » الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاءه الذى به ينهأ لأدراك لذة الثابرة والتأثر بالذكر فكلم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرقى في بعض الأحوال فيمظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحلى ماتسكون إلى العبادة إذا التصق ظهري بيطقى . وقال الجنيد يجعل أحدم بينه وبين صدره عملاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عمى وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والتدل وزوال البطر والفرح والأشتر الذى هو مبدأ الظنيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذلل بشيء كما تذلل بالجوع ففسده تسكن لربها وتخضع له وتقف على عجزها وذلك إذ ضعفت منها وضافت حياها بلقيمة طعام فاتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا فخره وإنما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين التدل والعجز وما بين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جاعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطراب بالدوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت (٥) » أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والتدل

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى لم أجده له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفتن قلبه كذلك لم أجده له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة . ذكره أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومضى علامة مارواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت .

في حظوظ عاجلة من جاء ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة اللتين - وزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف يبق القلب في قلوب اتلفت بالله وانفتحت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كملت بنور التوفيق فصارت إخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتبعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بصروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق . والناس رجلان : رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله

والانسكار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .

القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد اللطيف لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ويسقون الفساق والمهل فلا ينبغي أن ينسب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذي يسهب الخوف لمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يطلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد حمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوصف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائمين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان في غفلة عن ألم الجائع . القائمة الخامسة :

وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمانة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجروح إلا بضعف الجوع فاذا شبت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعض مبالك مع كبرك لا تمهد بدنك . وقد أهد فقال لأنه سريع المرح فاحش الأشر فأخاف أن يجمع بي فيورطني فلأن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذوالنون ما شبت قط إلا غضيت أو هممت بمعصية . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالنميمة والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتسكك لا محالة بأعراض الناس ولا يكذب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفي غائلتها والجوع يكتفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه القوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما أن الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثلا وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مرید صبر على السياسة يصبر على الخبر البحث سنة لا يخاط به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة :

دفع النوم ودوام السهر فان من شبع كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر الريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبطين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم قواتها ومهما

نفسه وغيره فالصالحون مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة واخوه ومعينه والؤمنون كالبنان يشد بعضه بعضا ورجل مفتتن بشيء من حبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق لنا للصوفي مع هذا منافسة لأنه زهد فيها فيه رغب فمن شأن الصوفي أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه في الظاهر على شيء لعله يظهر نفسه الأمانة بالسوء في الرأه والمجادلة . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم للمتعب إذا نام على الشبع احتمل ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يندبر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر التسلسل في كل حال فالنوم منبغ الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسر للمواظبة على العبادة فان لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر ترده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات للصروف إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويفا يستف منه ققلت ما حملك على هذا قال إنى حسبت ما بين للضع إلى الاستفاف سبعين تسيحة فما مضت الحيز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في الضغ وكل نفس من العمر جوهرة قيمة لا قيمة لها فينبغى أن يستوفى منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقة ومن جملة الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحضرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - يملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة الناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول الساجد والشباع يدورون حول الزابل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فان سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلط في المعدة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التيب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج يفتص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل الطعام حتى تشتهي وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي فقالوا صدقت . وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ^(١) » فمجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد ^(٢) » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذلك وقال ابن سالم :

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الترياقي قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
زيد بن أيوب قال
حدثنا الهاربي عن
ليث عن عبد الملك عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال « لا عار أخاك ولا
تعد موعدا فتخلفه »
وفي الخبر « من ترك
للراء وهو مبطل بنى له
بيت في ربض الجنة
ومن ترك للراء وهو
محق بنى له في وسطها
ومن حسن خلقه بنى له
في أعلاها . وأخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام
أبو النجيب قال أنا

من أكل خبز الحنطة يمنا بأدب لم يعتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الدالح ولأن يقلل من الدالح خير له من أن يتكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا »^(١) ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة المؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له أخذًا بمخفته في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للدخال فيكتسب من الحرام فيصلى أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يعد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الدل والقماء والمؤمن خفيف المؤنة . وقال بعض الحكماء إنى لأتقى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي . وقال آخر إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نسي قتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سمر المأكولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أديبوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتغلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله وإنما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها بالقتاعة وأما المحتاج فتلهمه لاهمالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته^(٢) كما ورد به الخبر . فما يأكله كان خزائنه الكنيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأبقى أو لبس فأبقى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمه والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملت العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال التمام الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والمعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيتهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيّقوا بها قبورهم وأمنوا برأيهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالتدوؤ والرواح إلى باب السلطان يتعرضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا^(١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف^(٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث عتبة بن طاهر وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن
السهروردي محمد بن
أبي عبد الله السالبي
قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن الداودي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد الحموي قال أنا
أبو عمران عيسى
السمرقندي قال أنا
أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن الدارمي
قال حدثنا يحيى بن
بسطام عن يحيى بن
حمزة قال حدثنا الثمان
ابن مكحول عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
طلب العلم ليسه به
الطلب أو يمارى به
السفاه أو يريد أن
يقبل بوجوه الناس
إليه أدخله الله تعالى
جهنم » انظر كيف

للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبيعن أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يشكى على شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام اتقني حتى أهضم به طعامي بالكع أطعامك تهضم إماماً دينك تهضم أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك (١) أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواماً كان الرجل منهم يسمى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لا أجل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزنة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رواها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة التلمذ في الإيمان والله أعلم بالصواب .

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على المرء في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالاً فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام فببيل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعزبه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ قال إن الله استعبد الخلق ثلاثاً : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائماً وتكلف الطلب إن كان فقيراً وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعداً ورأى أن صلاته قاعداً مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل . وسهل سهل عن بدايته وما كان يقات به فقال كان قوياً في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدهم ديساً وبدهم دقيق الأرز . وبدهم صنناً وأخط الجميع وأسوي منه ثلثمائة وستين أكرة أخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فليله فالساعة كيف تأكل قال بغير حد ولا توقيت . ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك أحمد وك في المستدرک والبيهقي في الشعب من حديث جندة الجشمي وإسناده جيد .

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم المهارة مع السفهاء سبباً لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي .

قال بعضهم : المجادل للمارى يضع في نفسه عنه الخوض في الجدال أن لا يقع بشيء ومن لا يقع إلا أن لا يقع لها إلى قناعتة سبيل ففسد الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمانينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذي نفسي بيده لا يسلم عبداً

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار اللدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على اللد إلى اللين ويشبه أن يكون ما وراء اللين إسرافا مخالفا لقوله تعالى - ولا تسرفوا - أعنى في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا ورغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أى خبز كان فلهما طلبت نفسه خبزا بينه أو طلبت أدماء فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الدباب عليه أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب اللدريد أن يقدر مع نفسه التقدر الذى لا يضعفه عن العبادة التى هو بصدها فاذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة فى كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمدا فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج فى التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضى الله عنه يقول طعامى فى كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فأنى سمعته يقول « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم ^(١) » وكان يقول فى إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم نخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم الرقيق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم بأوان الطعام وغدا أحدكم فى توب وراح فى آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدامن تمر بين اثنين فى كل يوم ^(٢) والدرطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الساء والمنافق مثل السبع الضارى بلما بلعا وسطرا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضل وجهه وهذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : فى وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضا أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفى الرديين من رد الرياضة إلى الطى لا إلى التقدير حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو والقرنى وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص العابد البصرى والمسلم ابن سعيد وزهير وسليمان الحواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الحواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبى ذر أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد فى كتاب الزهد . ون طريقه أبو نعيم فى الحلية دون قوله وأحبكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدامن تمر بين اثنين فى كل يوم ك وصحح إسناده من حديث طلحة البصرى .

حقى يسل قلبه ولسانه
ولا يؤمن حق يأمن
جاره بوائقه « انظر
حكيف جعل النبي
صلى الله عليه وسلم من
شرط الاسلام سلامة
القلب واللسان وروى
عنه عليه السلام أنه
مر بقوم وهم يعدون
حجرا قال ما هذا قالوا
هذا حجر الأشداء
قال ألا أخبركم بأشد
من هذا رجل كان
بينه وبين أخيه غضب
فأتاه فطلب شيطانه
وشيطان أخيه فكلمه
وروى أنه جاء غلام
لأبى ذر وقد كسر
رجل شاة فقال أبو ذر
من كسر رجل هذه
الشاة فقال أنا قال ولم
فعلت ذلك قال عمدا
أغيطك تضربنى

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللسكوت أى كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لاتكون إلا للنبي أو صديق قال له الصوفي فان طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم فجنس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتمجّب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يلقها بالإكشاف محمول شغل مشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لدته وأنساه جوعته وحاجته . الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهى أدها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تعدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتعد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لعائشة إياك والسرف فان أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا كلة في كل يوم قوام بين ذلك (٢) وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجّد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى العلوم فلا تنازعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أحر الفطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فان كان يثقت قلب الصائم بعد القرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجّد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فان كان رغبين مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجّد ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجّد وبالتالي على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح

(١) حديث أبي سعيد الخدرى كان إذا تعدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتعد لم أجده له أصلا
(٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فان أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في اسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماه رواه مختصرا كان صلى حتى تزلع قدماه واسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فطره وإنما هو من قوله فأبيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه مخ من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

تأثم فقال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظي فأعتقه . وروى الأصمعي عن أعرابي قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهي الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأتسأله بلدات الدنيا حتى يألفها ويكره اللوت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون اللوت سجنا له وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون اللوت إطلاقتها وإليه الاشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسهم لولجة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة ^(١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يضر ومن داوم عليه أيضا فلا يضره ولكن تربي نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتأنف اللذات وتسمى في طبائها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين غدوا بالنعيم ونبئت عليه أجسامهم ^(٢) » وإنما همتم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشققون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيد الأطعمة وتمررن النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتاه فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسر أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بسل وقال اعزلوا عني حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتبهى صمكة طرية فالتصت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لهما برغيفها وادفنها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتبهت بما نذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نطيه ثمنا فقال لهما وادفنها إليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وآتى بها فوضها بين يديه وقال قد أعطيتك درهما وأخذتها منه فقال لهما وادفنها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سدودت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصله (٢) حديث شرار أمي الدين غدوا بالنعيم الحديث ابن عدي في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلًا قال الدارقطني في العلل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتبهى صمكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات

« ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما النجيات فغشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاتصاف عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم رباني أمير على نفسه بصرفها بمقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحساب .
تسل أنهم كانوا يتوضأون عن إهداء السلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كفة خبيثة أحب إلي من أن أتوضأ من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحديث

القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن القصور ردّ ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التمتع ببلدات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فحضر عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه همهم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف همريده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام والذي نفس همريده لئن خالفتم عن ستمم ليخالفن بكم عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما غلغت لمرر دقيقتا قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يسجن دقيقه ويحفظه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حق تيبياً في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيعرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسكى وهو جالس بناحية من الطريق فمدلت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر طى قلت يا أخى قل ماشئت فقال لي اشتهت نفسى منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى الناس إذ أنا بفتى شاب بيده قنح أخضر يملو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمى عنه فتربه وقال يا إبراهيم كل قلت ما أكل قد تركته لله عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل فما كان لي جواب إلا أنى بكيت فقال لي كل رحمك الله قلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيتني قبيلتي يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منها . اعلم يا إبراهيم أنى سمعت اللاتكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قلت إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقدم مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمى حتى نمت فانتبهت وحلاوته في فمى ، قال شقيق قلت أرنى كيفك فأخذت بكفه قبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صحوا المنع يا من يتدح في الضمير اليقين يا من يشقى قلوبهم من محبته آرى لشقيق عندك حالا ثم رفست يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالوجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال ققام إبراهيم ومشى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشتهى لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يومارطب فقال لأصحابه كلوا فإذفته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواري : اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به إليه ففص منه غصة ثم طرحه وأقبل يسكى وقال عجبت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشقوتى قد عزمتم على التوبة فأقلنى قال أحمد فأرايته أكل للملح حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن ضيفم مرت بالبرصة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لى نفسى لو أطعمتى الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبرصة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البرصة ولا برصة قط وقال يا أهل البرصة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا برصة فما زاد فيكم ما تص منى ولا تص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحقى بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعتة يقول نفسى اشتهت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحل حبة الوقار والحلم إلا الغضب ويخرج عن حد المدل إلى المدوان يتجاوز الحد في الغضب يشوردم القلب فان كان الغضب على من فوّه مما يجز عن إنقاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع في القلب وصبر منه الهم والحزن والانكاد ولا ينطوى الصوفى على مثل هذا لأنه يرى الحوادث والإعراض من الله تعالى فلا يتكبد ولا يتم والصوفى صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبي عليه السلام أخبر أن الهم والحزن في الشك والسخط . سئل عبد الله بن

(١) حديث إذا سدت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

اشتهت تمرًا فآليت أن لاتأكله أبداً فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومرّ أبو حازم يوماً في السوق فرأى الفاكهة فاشتهها فقال لابنه اشترتنا من هذه الفاكهة المقطوعة المصنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة القليلة المربعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها إلى يثامى من القراء ، وعن موسى الأشج أنه قال نفسى تشهى ملحاً جريشاً منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال نفسى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت منى إلا لئلا حتى يروى في أرويتها ، وروى أن عبدة الغلام اشتهى لحمًا سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسى أن أذافها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركبتها على رغيف فقلت صييا قفلت ألسنت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته إياها قالوا وأقبل بيكى ويقرأ - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشهى تمرًا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرًا بغيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففرغ الناس فأقبل عبدة على نفسه يقول هذا الجراءتى عليك وشرائى التمر بالغيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذبك على أن لاتذوقيه . واشترى داود الطائى بنصف فاس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا تفاروا وقال عبدة الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد إن فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى فقال لأنك تأكل مع خبزك تمرًا وهو لا يزيد على الخبز شيئاً قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ بيكى فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أطل التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئاً لم يماوده . وقال جعفر بن نصر أمرنى الجنيدي أن أشتري له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعتها في فمى ثم ألقاها وجعل بيكى ثم قال احمله قفلت له في ذلك فقال هتف في هاتف أما تستحي تركته من أجلى ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلى إنى متكلف لك شيئاً فلا ترد على كرامتى فقال أفضل ما تريد قال فبعت إليه مع ابى شربة من سويق قد لنته بسمن وعسل قفلت لاتبرح حتى يشربها فلما كان من اللد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولنته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسوؤك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعه ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكت وتلت في نفسى أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السرى السقطى نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى أن أنغمس جزرة في دبس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعراف رجلا يقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتهها فيقول لها لا أريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شىء تصنع أما علمت أن فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانما حتى استدار من السحاب الذى يعمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبنى آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفى الخبر « لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانما أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل للماء من خزائن الرحمة ثم لللائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمير والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاز - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - (١) »

عباس رضى الله عنهما
عن التم والغضب قال
مخرجهما واحدا والفظ
يختلف فمن نازع من
يقوى عليه أظهره
غضبا ومن نازع من
لا يقوى عليه كتمه
حزنا والحدرد غضب
أيضا ولكن يستعمل
إذا قصد اللغوب عليه
وإن كان الغضب على
من يشاكله ويمائمه
ممن يردد فى الانتقام
منه يردد القلب بين
الانقباض والانبساط
فيتولد منه الغل والحقد
ولا يأوى مثل هذا إلى
قلب الصوفى قال الله
تعالى - ونزعنا ما فى
صدورهم من غل -
وسلامة قلب الصوفى
وحاله يقذف زبد الغل
والحقد كما يقذف البحر
الزبد لما فيه من تلاطم

(١) حديث لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانما أولهم ميكائيل

وقال بعضهم أنيت قاسما الجرعى فسأته عن الزهد أي شيء هو فقال أي شيء سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأي شيء تقول أنت فقال : أعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافق من الماء كولات فقال تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيداجا فقال له بشر هل تعلم شيئا أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهذباج بالحل ثم قال أنعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرنوب الشامي قال فاعرف شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأوقات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لأنه زيادة على الحبز وماوراء الحبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا يهتك في الشهوات فكفي بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم . قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما تساقط قلبه ، وقيل إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الحجر ومهما كان جائعا وثابت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجماع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيمتد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أولي جلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث « أذيووا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم » (١) وأقل ذلك أن يصلى أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجبي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشبع شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الحبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتها ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . فظهر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الحبز بده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لاتأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وطاب بعض أنواع الحبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ماتا تينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الحبز فرأى ذلك الحبز فأكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - ويقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازتني نفسي خبز أرز ومكا فتمتها قويت مطالبها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيت في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به من النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز ومكا وقال كل اليوم شهوتك ههنا خير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا هنيئا

أمواج الأنس والهية وإن كان الغضب على من دونه من يقدز على الاتهام منه نار دم القلب والقلب إذا نار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تجمر الوجنتان لأن الدم في القلب نار وطلب الاستعلاء وانتفضت منه المروق فظهر عكسه وأثره على الحد فيتمدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا في الصوفي إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفي عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيووا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم طس وابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

عسا أسلفتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقتنا الله لما يرضيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن الطلوب الأنصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يوصى* إلى أن الإفراط فيه، مطلوب وهيات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاتصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في التبع منه على وجه يومي* عند الجاهل إلى أن الطلوب مضادة ما يقضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينهى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقوا مان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكيفية بعيد فيعلم أنه لا ينتهى إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يبدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه^(١) فاذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل العدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وتقل العدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب وينع منها فالمتعود أن يأكل أكلا لا يبقى للمسا كونه أثره يكون متشبه بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمى البعد عن هذه الأطراف للتقابلة بالجوع إلى الوسط مثال نعمة ألقيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض فان النخلة تهزب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها واضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان إحاطة تلك الحلقة بالنخلة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطعم للانسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص فأشبهه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبيا في جميع هذه الأحوال للتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها »^(٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الانسان بمجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحا منشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في إيلاها بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلاها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع وعينه الفواكه والشهوات وقد لا يتنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجراح والامتناع عن العبادة كان الأصلاح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتتسكسر نفسه والمقصود أن تتسكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث النهى عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها

البهيتي في الشعب مرصلا وقد تقدم .

بميزان الشرع والعدل
ويتم النفس بعدم
الرضا بالقضاء ، قيل
لبعضهم : من أقهر
الناس لنفسه قال
أرضاهم بالمقدور
وقال بعضهم أصبحت
ومالى سرور إلا مواقع
القضاء وإذا اتهم
الصوفي النفس عند
الغضب تداركه العلم
وإذا لاح علم العلم
قوى القلب وسكنت
النفس وعاد دم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وغاضت
حمرة الخد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السم
الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من النبوة » . وروى
حارثة بن قدامة قال

يتمتع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا ستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستثنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فان النفس فلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ماتت فننظر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناثية عن الحق غير بالثة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم (١) وكان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شيء فان قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم (٢) » وكان يقدم إليه الشيء فيقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل (٣) » وخرج عليه السلام يوما وقال « إني صائم فقال له عائشة رضي الله عنها فإهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه (٤) » ولذلك حكي عن سهل أنه قبله كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقات ورق النبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أي آكل كثيرا بل أي لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف السكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له إن أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخي بشرا قبضه الورع وأنا بسطتني للعرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فاذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حورا قليل يا أبا إسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه فقرا يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للملح منذ عشرين سنة . وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس لما فعله فيراه متناقضا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما مخطيء والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعهما فظن محتاطا وغنى مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة المارقين حتى أسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول ما نفسي بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم دت وحسنه ون من حديث عائشة وهو عندم بنحوه كما سيأتي (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البيهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعندم قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدينه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ البيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريبه .

قلت يا رسول الله أوصني وأقلل لى أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب قال عليه السلام « إن الغضب حجرة من النار ألم تنظروا حجرة عينيه واتفاح أوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضطجع » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فأقديهم وأرفع التقدير في مأ كولي فأنا أيضا ضيف في دارمولاي فإلى وللاعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتباضه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه ثرية باردة مزوجة بعسل جعل يدير الأناة في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى نبعثا اعزلوا عن حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مریده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقصر لاحتالة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيبقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المرید في كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح القبر لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فيساقطهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مآدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لأم لك كل يوما خبزًا ولحما ويوما خبزًا وسمنا ويوما خبزًا وزيتا ويوما خبزًا وملحا ويوما خبزًا فقاروا وهذا هو الاعتدال فأما اللواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكلية إقار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فقتلتها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الحقي . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو تصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتبين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر الناقلين فقال تعالى - إن الناقلين في الدرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسترف كان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخالقين فحما الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والنفس والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمنزله من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل

الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نساءه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد الفيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والمواظبة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداه على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتودد والتألف من اتلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذي أوردناه فإتعارف منها اتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميها فلا جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالقلب جهرا وبالقرسرا لمن فانه هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته وتقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يفتره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرى وبروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك عمل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به في الفعل أو لا ينجز باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآفة الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرفه فيشتهر بالتحفف عن الشهوات قد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شرمها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركها لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك منها فتكون قد أعطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نعتت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أتلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفتح إلى حية لأن شهوة الرياء أضمر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الانسان لقائدين : إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذته الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار والامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بالأم محسوس ولذته محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالدوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة الغلة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر سمعي وجرى قلبي وهني ومني ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء حباثل الشيطان ولو لآ هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسم عليك لمزتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أخطف به قلوب بني آدم قال فما

إخوانا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمن إذا التقيا مثل اليمين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إن أحببك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطافة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالعمر ليلة البدر يفرغ الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومستندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الله ذكر وقال النبي أسنده الله ذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعي وجرى قلبي وديني تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حباثل الشيطان الأصغهان في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .

الذي إذا صنع الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجبت نفسه واستكبر عمله ونسى ذنوبه وأحذر
ثلاثا لا تغل بامرأة لا تغل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تغل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أقتنه بها
وأقتنها به ولا تماهد الله عهدا إلا أوفيت به ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يعضها
إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفا بهاتم ولي وهو يقول يا وليتاه علم موسى ما يحذر
به بن آدم . وعن سعيد بن الحبيب قال ما بعث الله نبيا فيها خلا إلا لم يأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا
شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يبقى وبيت ابني أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال
بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهي الذي أرى به فلا أخطيء وأنت موضع
سرى وأنت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء
وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى
الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش
وقد يتسنى إنراطها بطائفة إلى أمرين شديدين: أحدهما أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من
الوقوع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للمدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك إلا كمن ابتلى
بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتسيجها ثم يشتغل بإصلاحها
وعلاجها فان شهوة الطعام والوقوع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب
الخلاص . فان قلت فقد روى في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شكوت إلى
جبرائيل ضيف الوقوع فأمرني بأكل الهريسة (١)» فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحتة تسع نسوة
ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا الامتناع .
والأمر الثاني أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقوع وهو
مجاوزه في البيهية لحد البهائم لأن التمشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقوع وهي أقيس الشهوات وأجدرها
أن يستجيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضى إلا من محل واحد والبيهية تقضى الشهوة أين اتفق
فكفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى
يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لأجلها وما
العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لام له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك
معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكمت عسر دفعه فكذلك عشق السال والجاه والمقار والأولاد حتى
حب اللعب بالطيور والزرد والشرطج فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم
الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف
عنان الدابة عند توجهها إلى باب لدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بصد
استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنباها ويجرها إلى ورأها وما أعظم
التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج
إلا بمجهود جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يظلب العقل إلى هذا الحد وهو
مذموم جدا وتفریطها بالنعف أو بالضعف عن امتناع النكوحه وهو أيضا مذموم وإنما الحمد وأن تكون
معتدلة ومطبعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضيف الوقوع فأمرني بأكل الهريسة القليل في الضمفاء طس من
حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وهم لا يفرعون ويخاف
الناس وهم لا يخافون
وهم أولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يخزنون قيل من هؤلاء
يا رسول الله . قال
المتحابون في الله . وقيل
لوتحاب الناس وتعاطوا
أسباب المحبة لاستغفروا
بها عن العدالة . وقيل
العدالة حليفة المحبة
تستعمل حيث لا توجد
المحبة وقيل طاعة المحبة
أفضل من طاعة الرهبة
فان طاعة المحبة من
داخل وطاعة الرهبة
من خارج ولهذا المعنى
كانت محبة الصوفية
مؤثرة من البعض في
البعض لأنهم لما تحابوا
في الله توأصوا بمحاسن
الأخلاق ووقع القول
بينهم لوجود المحبة
فاتسع لذلك للريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالبائة فمن لم يستطع فقلبه بالصوم فالصوم له وجاء (١) » .
(بيان ماطى اللريد في ترك التزويج وفضه)

اعلم أن اللريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك يشغل شاغل عنه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى تشغل عن الله ولا يفرته كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى (٢) فلا تقاس للامانة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الهاراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقول له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آنسني الله بها أى إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على غنذ عائشة أحيانا ويقول كلبيني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لتصور طاقة قلبه عنه (٣) فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقعا يدينه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحننا بها يا بلال (٤) حتى يعود إلى ما هو قرة عينه (٥) فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أعماله صلى الله عليه وسلم فشرط اللريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المرققة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرهابالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تتمتع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. وقال سعيد بن جبير إن عجايب الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يافى امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتحنى . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوس القديعة وسهمى الذى لا أخطئه به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسوم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماننا يجد حلاوته في قلبه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « . أتركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء (٨) » وقال تعالى - قل للمؤمنين يفضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعيناان

بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمرا لله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أخبرنا أبو زرعة قال أنا والذى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادى قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافي الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غنذ عائشة أحيانا ويقول كلبيني يا عائشة لم أجد له أصلا (٤) حديث أرحننا بها يا بلال تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظره سهم مسوم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدرى .

زنيان وزناها النظر واليدان زنيان وزناها البطش والرجلان زنيان وزناها الشى والقم زني وزناه القبله والقلب يهيم أويتمنى وصدق ذلك القرج أويكذبه (١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى طى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا قلنا أو ليس بأعمى لا يبصرنا فقال وأننا لا تبصرانه؟ (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في الآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوه بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالتكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمدرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللتحي لم يحل له النظر إليه . فان قلت كل ذى حس يدرك التفرقة بين الجميل والتبيح لامعالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة . فاقول لست أعنى تفرقة العين فقط بل ينبغى أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداها بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهى ملامسة الأزهار والأنوار وتبويضها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشية الحسنه قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه التبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك يميل النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب النقشة والسقوف الذهبية فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويحرم ذلك إلى العاطب وهم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضارى طى الشاب الناسك من غلام أمدرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بسلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواط . وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصالحون وصنف يهملون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما عجز الريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالتكاح قرب نفس لا يسكن توقاتنا بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها في فؤادى وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بين فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك فأكثر الاستغاثة فأتانى شخص في المنام فقال لى أحب أن يذهب ما يجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبك فمدتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بين فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدرى يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فزوجت فاقطع ذلك عنى وولد لى ومهما احتاج للريد إلى التكاح فلا ينبغى أن يترك شرط الارادة في ابتداء التكاح ودوامه أما في ابتدائه فيألتية الحسنه وفى دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فعلنا جميع ذلك فى كتاب آداب التكاح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدنية ولا يطلب

أنا أبو العباس محمد الله
ابن يعقوب الكرماني
قال حدثنا يحيى
الكرماني قال حدثنا
حماد بن زيد عن مجالد
ابن سمد عن الشعبي
عن النعمان بن بشير
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول «ألا إن مثل
للؤمسين في توادم
وتحاجهم وتراحمهم
كمثل الجسد إذا
اشتكى عضو منه تداعى
سأره بالسهر والحلم»
والتسآلف والتودد
يؤكدان أسباب الصعبة
والصعبة مع الأخيار
مؤثرة جدا . وقد قيل
لقاء الإخوان لقاح
ولا شك أن البواطن
تلقح ويتقوى البعض
بالبعض بل مجرد النظر
إلى أهل الصلاح يؤثر

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعيمان زنيان الحديث م هق واللفظ له من حديث
أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عموه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن
أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث دون وقال حسن صحيح .

الغنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالاة الصداق وتوسيف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون للمرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريدن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحييت المرأة وشككت ذلك إلى أبيها وقالت قد غيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستحبها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقبله في ذلك فقال تصدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقبله قد سمعت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقبله لم لا تطعها فقال أحمى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج الريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهافمي كان ملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعداؤها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلمهم على راحة العذوية رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتبعها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كتابي هذا فبهي زادك وقدم لمادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أو صباهك فيقتسموا رثائك فصم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلوأن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه ما سرتني أن اشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليحذر الريد إلى حاله وقلبه فان وجدته في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه الملة ثلاثة أمور : الجوع وعض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل سادتها قهقرا ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزوج البنات قال سعيد بن المسيب ما أيس إبليس من أحد إلا وأناه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشو بالأخرى ماشى أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أياما فلما أتيتته قال أين كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت برحمتك الله تعالى ومن زوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفضل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فتمت وما أدرى ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ ومن أستدين فضليت المغرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزنا وزيتنا وإذا بابي يقرع قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بداله فقلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأيتيتك فقال لأنت أحق أن تؤتى قلت فما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكبرته أن أيتيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك وإذا هي قاعة خلفه في طولها ثم آخذ بيدها

صلاحا والظرف في الصور
بؤثر أخلاقا مناسبة
لخلق المنظور إليه
كدوام النظر إلى
المهزون يحزن ودوام
النظر إلى السرور
بسر . وقد قيل من
لا ينفك لحظه لا ينفك
لفظه والجلل السرود
يصير ذلولا بمقارنة الجلل
القول بالمقارنة لها تأثير
في الحيوان والنبات
والجماد والماء والهواء
يغسدان بمقارنة الخفيف
والثروغ تنقي عن أنواع
العروق في الأرض
والنبات لموضع الافساد
بالمقارنة وإذا كانت
للقارنة مؤثرة في هذه
الأشياء ففي النفوس
الشريفة البشرية
أكثر تأثيرا وصحى
الانسان إنسانا لأنه
يأس بما يراه من خير

فدفعها في الباب وورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوتقت من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاءوني وقالوا ماشأناك قلت وبمحك زوجي سعيد بن السيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فكشفت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتية فلما كان بعد الشهر أتيتته وهو في حلقة فصلت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قتلت بغير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك منه أمر فدونك والصا فانصرفت إلى منزلي فوجهه إلى بشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاء العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحث على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يفرق غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجزاً ولخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من المصمة أن لا يقدر في هذه العوائق فائدة وهي دفع الائم فان من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق نطف فكم لمات فهو شهيد (١) » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدة منهم رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين (٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخامع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق له هدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فسأته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي همدت وأنت سليمان الذي لم يتمهم أشار إلى قوله تعالى - ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أجوب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفره وانطلق إلى السوق ليلتاع شيئاً وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجهاً وأورعهم فصرت به أعرابية من قلة الجبل وانهدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجهها كأنه فائمة فمروا وقالت

(١) حديث من عشق نطف فكم لمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد م قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً ورواه الخرائطي من غير طريق سويد بسد فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وشروا التآلف والتودد
مستجلب للمزيد وإنما
العزلة والوحدة أحمد
بالنسبة إلى أراذل
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والصفاء
والوفاء والأخلاق
الحميدة فينتهم مقارنتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كأن محبتهم محبة الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفي مع غير
الجنس كأثنى بأثنى ومع
الجنس كأثنى مغايبين
والمؤمن مرآة المؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من وراء أقواله
وأعماله وأحواله
تجليات إلهية وتمريجات
وتلويحات من الله
الكريم خفية ثابتة
عن الأغيار وأدركها

أهنتي فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريدها إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في التحجب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجمة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حاقه فقال ماييكك ؟ قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت ماييكك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأن أختي أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتجى بثوبه فأخذته عينه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورأحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعلنا نلقاه قال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فدخلوا فأنعدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم العار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبهما أهلا ومالا فلما أتى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فسكرتهما أن أغبق قبهما أهلا ومالا فلبثت والقدرح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانخرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانخرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجرا وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أنهزأ بي فقلت لا أستهزئ بك فخذ فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانخرجت الصخرة فخرجوا عيشون^(١) فهذا أفضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة ففغف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤخذ بها والمعاودة يؤخذ بها قال عليه السلام « لك الأولى وعليك الثانية^(٢) » أى النظرة. وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصيدان فهما تخايل إليه الحسن بغاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقظهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من النعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « مامن الناس أحد أمن علينا في صحبتته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وقال « ما نفعني مال كمال أبي بكر » فالحاق حجوا عن الله بالحاق في النعم والعطاء فالصوفي في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فذكرا الحديث بطوله رواه (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أى النظرة دت من حديث بريدة قاله لعلى قال ت حديث غريب .

إلا التحسر وإن استسبح لم ياتد وتأم لأنه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فبها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أشد حبا لك منك لي ولكني أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لأخافه فرجع تابياً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلتنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلتها سحابة حتى انتهى إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فالت سحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم بعثت لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه . وعن أحمد بن سعيد المابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت على الطريق وهو يريد السجد فقالت لها فإني اسمع مني كلمات أكلك بها ثم أعمل ماشئت ففضي ولم يكامها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له فإني اسمع مني كلمات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً فقالت له والله ما وقعت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقبك في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنهم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها وجملة ما أقول لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله في أمرى وأمرك قال فضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى العصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فإني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالمهن وتجنو الأم لصولة الجبار العظيم وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح غيرى وإن كان ما ذكرت حقاً فإني أدلك على طبيب هدى يداوى السكاوم الممرضة والأوجاع الممرضة ذلك الله رب العالمين فأقصديه بصدق المسألة فإني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالم للظالمين من حميم ولا شفيح بطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - فأين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فتي لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبداً إلا عندنا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت أسأل لك الله الذي يده معاصيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم إنها تبته وقالت آمئن على بموعظة أحملها عنك وأوسى برصيه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالدين ويعلم ما جرحتم بالنار - قال فأطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم إنها أفافت ولزمت بيها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء يفنى عن الخلق
ويرى الأشياء من الله
حيث طالع ناصيته
التوحيد وخرق
الحجاب الذى منع
الحلق عن صرف
التوحيد فلا يثبت
للخلق منعا ولا عطاء
ويحجبه الحق عن الخلق
فاذا ارتقى إلى ذروة
التوحيد يشكر الخلق
بمدح الحق ويشبث
لهم وجوداً في النع
والعطاء بعد أن يرى
السبب أولاً ولذلك
لسعة علمه وقوة
معرفة يثبت الوسائط
فلا يحجبه الخلق عن
الحق كعامية المسلمين
ولا يحجبه الحق عن
الخلق كأرباب الارادة
والبشدين فيكون
شكره للحق لأنه للنعم
واللهطى والسبب

ذلك حتى ماتت كمدا فكان النقي يذكرها بعد موتها ثم يسكن فيقال له م بكأوك وأنت قد أباستها من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجلت تطيبتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والمحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب آفات اللسان)

(وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الانسان وعده وألهمه نور الايمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه متركه الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأوضح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمته وبجله ونبهه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثرية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مضمون أو موهوم إلا واللسان يتناول ويتعرض له باثبات أو نفي فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم يتناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والآذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رجب الليدان ليس له حرد ولا مجال منتهى وحده له في الحيز مجال رجب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى اللسان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا يجنوا من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا قبا ينفعه في الدنيا والآخرة . ويكفه عن كل ما يحشئ فآلته في حاجه وآجله وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يدم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه تقبل عسير وأصعب الأعضاء على الانسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وجباله وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تديره تفصل بجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ماورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت وتزودفه بذكر آفة الكلام فيما لا يبيح ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة اللراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التفرغ في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة التفاهين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبداءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحبوان أو حجاد أو إنسان ثم آفة الغناء بالصرير وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء

(كتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحامدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو نجس أو قال فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام » . وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه بنعمة الحمد لله إلا كان الحمد أفضل منها » فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها لعمدة

وما يحل فلا يصيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفساء السر ثم آفة الوعد والكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة الفية ثم آفة النجاسة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين فيكلم كل واحد بكلام يوافق ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى لغوى الكلام لاسما فيما يتعاقى بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف اهل قديمة أو محدثة وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الصريح الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجأ »^(١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله »^(٢) أى حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت يارسول الله أخبرنى عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه »^(٣) وقال عقبه بن عامر « قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسمع بيتك وابك على خطيئتك »^(٤) وقال سهل بن سعد الساعدى قال رسول الله ﷺ « من يتكفل لى بما بين لحيه ورجليه أتكفل له بالجنة »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شرفقيه وذنبه ولقلقه فقد وفى الشركه »^(٦) التقيب هو البطن والذبذب الفرج والتلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج « وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان الفم والفرج »^(٧) فيحتمل أن يكون المراد بالآفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت « يارسول الله أتؤاخذ بما تقول فقال شككتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »^(٨) وقال عبد الله الثقفى قلت « يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا »^(٩) وروى أن معاذ قال « يارسول الله أى الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

تكون نعمة الحد
أفضل من النعمة التى
حمد عليها فإذا شكروا
النعم الأول يشكرون
الواسطة للنعم من
الناس ويدعون له .
روى أنس رضى الله
عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا أفطر عند قوم
قال « أفطر عندكم
الصائمون وأكل طعامكم
الأبرار ونزلت عليكم
الكتيبة » . أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
قال أنا أحمد بن محمد
ابن أحمد البزار قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
عبد الله بن محمد
البغوى قال أنا عمرو
ابن زرار قال ثنا عيينة
ابن يونس عن موسى
ابن عبيدة عن محمد بن

(١) حديث من صمت نجأت من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن جبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثقفى أخبرنى عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بعدك الحديث ت وصححه ونه وهو عندم دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبه بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال امك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لى بما بين لحيه ورجليه أتوكل له بالجنة رواه بخ (٦) حديث من وفى شرفقيه وذنبه ولقلقه الحديث أبو منصور الديلمى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ فقد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكثر ما يدخل الجنة الحديث ت وصححه وه من حديث أبي هريرة (٨) حديث معاذ قلت يارسول الله أتؤاخذ بما تقول فقال شككتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصححه وه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله الثقفى قال يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه^(١) وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه^(٢)» وقال ﷺ «من سره أن يسلم فليزِم الصمت^(٣)» وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكّر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوجبنا^(٤)» وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه يده فقال له ماتنصع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته^(٥)» وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء؟ قوله أو شيء سمعت؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه^(٦)» وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه صتر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره^(٧)» وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني قال : اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في اللوثي وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه^(٨)» وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق^(٩)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للأخوان والسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعبوب النفس وآفاتهما وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج السلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخاطبهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحسالة عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وعو خطاً والصواب سفيان بن عبد الله التقي كإرواه وصححه . وقد تقدم قبل هذا خمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحرائط في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزِم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكّر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفته ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً وإماماً هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفته ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ماتنصع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله ﷺ قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وم على الدراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه صتر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله تمت وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلها ورجاله تمت ورواه أبو الشيخ وطبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت (١) « وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبداتكم فتم أو سكت فلم (٢) « وقيل ليسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن النكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليقل الله امرؤ علم مايقول « وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلتمن الحكمة (٥) « وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغائم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل (٦) « وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه (٧) « وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من أكثر كلامه أكثر سقطه ومن أكثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به (٨) . الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاووس لسانى صبح إن أرسلته أكلني ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا لسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يضيئه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والنهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

- (١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .
- (٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبداتكم فتم أو سكت فلم ابن أبي الدنيا في الصمت واليهيقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طس من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلتمن الحكمة . من حديث أبي خلد بلطف إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلتمن الحكمة وقد تقدم .
- (٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بلفظ المجالس وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من روايه الحسن البصرى قال كانوا يقولون (٨) حديث من أكثر كلامه أكثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن سمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء واليهيقي في التسبب مؤموقا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتأنه بذلك لقضاء حوج الناس . وقال عطاء لأن يرأى الرجل سنين فيكتسب جاها جيش فيه مؤمن أتم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتن به خلق من الجهال الدعين ولا يصلح هذا إلا لبعيد اطلاع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والسال ولو أن ملوك الأرض وققوا في خدمته ماطنى ولا استطال ولو دخل إلى أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تسكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تسكلم فقال له أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقبصر، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل، وقال الآخر إن إذا تسكلمت بكلمة ملكك ولم أملكها وإذا لم أتكلم به أملكها ولم تعلمكني، وقال الثالث عجبت لعمركم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت، وقيل أقام النصور بن العزم تسكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل ما تسكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواء وقرطاسا وقد افكلم ما تسكلم به كتيبه ثم يحاسب نفسه عند المساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسبه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والحوض في الباطل والحسومة والفضول والتعريف والزيادة والتقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سبابة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والحائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الحوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والتذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو وقع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضيق زمان وهو عين الحسرة فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربيع وهذا الربع فيه خطر إذ يترج بما فيه ثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سئد كره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجما (١) » فلهذا أوتي والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم (٢) ولا يعرف ما نعت أحادكاته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيها سئد كره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئها بأخفها وترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بهون الله تعالى.

(الآفة الأولى : الكلام فيما لا يبيحك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تسكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من صمت نجما تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم م من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(الآفة الأولى الكلام فيما لا يبيحك)

الصادقين يفسلون عن إرادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى برأيه منهم فيدخلون في الأشياء بمراد الله تعالى فإذا علموا أن الحق يريد منهم مخالفة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بنية صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكروا مقام الفناء ثم رفقوا إلى مقام البقاء فيصكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم إرتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد في خفي الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفسك ربما كان يفتح لك من نعمات رحمة الله عند الفسك ما يعظم جدواه ولو هلت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا ينهيه فانه وإن لم يأتهم قد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صحته إلا فكرا ونظرة لإعبرة ونطقه لإذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينهيه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه » (٢) بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطة من الجوع فسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا ينهيه ويمنع ما لا يضره » (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمضى حتى أتاه فلما دخل عليه قال أشبر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأية على الله ؟ قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا ينهيه أو منع ما لا ينهيه » (٤) ومعناه أنه إنما تنهياً الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا ينهيه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنهياً الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينهيه » (٥) وقال أبو ذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينسبك » (٦) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم الموقوفة لانتكلم فيما لا ينسبك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما ينسبك حتى تجده له موضعا فانه رب متكلم في أمر ينهيه

(١) حديث المؤمن لا يكون صحته إلا فكرا ونظرة لإعبرة ونطقه لإذكرا لم أجده له أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمقي فكرا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه وقال غريب و من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا ينهيه ويمنع ما لا يضره ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ الصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قال ما لا ينهيه أو منع ما لا ينهيه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بأسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك ما لا ينهيه ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نعيم اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينسبك ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من الأقطار إلا واحد متحقق بهذا الحال . قال أبو عثمان الجبري لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء للنسب والعطاء والعز والعدل وبمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيها ذكرناه . قال سهل ابن عبد الله لا يستحق الإنسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : بصرف جهه عن الناس ويعتزل جهل الناس ويترك ما في أيديهم ويذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التي زهد فيها وتمين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وإنما هذه

قد وضعه في غير موضعه ففنت ولا عمار حلما ولا سفيا فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذا ذكر أخاك
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه مما تحب أن يفيك منه وطامل أخاك بما تحب أن
يملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك
قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يهينني . وقال موريق العجلي : أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يهينني . وقال عمر رضي الله عنه
لا تعرض لما لا ينسبك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي
الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من مجوره ولا تظلمه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون
الله تعالى . وحد الكلام فيما لا ينسبك أن تكلم بكلام لو سكنت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال .
مثاله أن يجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع
وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت
عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالفت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس
من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآتي تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلتها أن تسأل غيرك
عما لا ينسبك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد أُلجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا
كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا
وإن سكنت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداغمة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه قد
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحغار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر
عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك
فتقول له ماذا تقول وفيم أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرجما بمنع مانع من
ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل
عن مسألة لا حاجة بك إليها والمشول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدرى فيجيب عن غير بصيرة
ولست أعنى بالتكلم فيما لا ينسب هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا ينسب
ما روى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم
فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمئنته حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ
قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا ينسب
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه
أو البساطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك
كله أن يعلم أن اللوت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاه رأس ماله وأن لسانه حبة
يقدر على أن يقتنص بها الجور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصع حصة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما ينسب
حتى يتاد اللسان ترك ما لا ينسب ويضبط اللسان في هذا على غير المعتاد شديد جدا .

رياسة أقامها الحق
لصلاح خاتمه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشكر نعمتها لله
تعالى .

[الباب الحادي
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانه من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أدبني ربى
فأحسن تأديبي »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فإذا تهذب
ظاهر العبد وباطنه
صار صوفيا أديبا وإنما
سميت للأدب مادة
لاجتماعها على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
العبد إلا بتكامل مكارم
الأخلاق ومكارم
الأخلاق مجموعها من
تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يبنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يرضيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا معروف أو نهيًا عن منكر أو أن تنطق بمحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أنتكروا أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن العيين وعن النعمان قعيد ما يلفظ من قول الإلديه رقيب عتيد ، أما يستحي أحدكم إذا نشرته صحيفة التي أملاها صدر نهاره كان أكثر . فيها ليس من أمر دينه ولادنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلي من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف لعظيم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله (١) » فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر قالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهويكم الشيطان (٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخفى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما يباغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ماسكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريتيه وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هجيت من اللاتكة على رهوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن ينكلم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه أكثر كذبه ومن أكثر ماله أكثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله البخوي وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب امرئ وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البخوي لأدري صحح من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن مندة مجهول لا نعرف له حجة ورواه البراز من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر قالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث دن في اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ الصنف

صورة الانسان
والخلق معناه فقال
بعضهم الخلق لاسبيل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد « فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل » وقد قال تعالى
- لا تبديل لخلق الله -
والأصح أن تبديل
الأخلاق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الانسان
وهيأ لقبول الصلاح
والفساد وجعله أهلا
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
ألم الانسان ومكنه

« كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسنانى قال أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك (١) »
 وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستتر في الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل في لسانه
 وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه إنه ليمنى من كثير من الكلام خوف للباهة . وقال بعض
 الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ما كتنا فأعجبه السكوت فليتكلم
 وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من
 يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وتقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما ظهر الرجل
 لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك
 الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه
 وعلاجه ماسبق في الكلام فيما لا يبنى .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتتم الأغنياء وتبجير
 الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الحوض فيه وهو حرام
 وأما الكلام فيما لا يبنى أو أكثر مما يبنى فهو ترك الأولى ولا تخريم فيه ثم من يكثر الكلام فيما
 لا يبنى لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفريج بالحديث ولا يعدو كلامهم
 التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنيها فلذلك
 لا يخلص منها إلا بالاعتصام على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجفست تقع كلمات يهلك
 بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل
 ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم
 القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها
 سخطه إلى يوم القيامة (٢) » وكان علقمة يقول كم من كلام منعه حديث بلال بن الحرث وقال
 النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا (٣) »
 وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بال يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم
 بالكلمة ما يلقى لها بال يرفعه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم « أعظم الناس خطايا
 يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل (٤) » وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخائضين -
 وبقوله تعالى - فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر
 الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في عصية الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر
 بمجلس لهم فيقول لهم توضحوا فان بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك
 من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث هـ ت وقال حسن
 صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي
 الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين وت إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا
 يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة
 أكثرهم خوضا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني
 موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالترية
 إلى أن يصير النوى
 غخلا والزناد بالعلاج
 حتى يخرج منه نار وكما
 جعل في نفس الانسان
 صلاحية الخير جعل فيها
 صلاحية الشر حال
 الاصلاح والإفساد
 فقال سبحانه وتعالى
 - ونفس وما سواها
 فألهمها فجورها
 وتقواها - فتسويتها
 بصلاحتها للشيئين
 جميعا ثم قال عز
 وجل - قد أفلح من
 زكاهما وقد خاب من
 دساها - فإذا تزكت
 النفس تدرت بالمقل
 واستقامت أحوالها
 الظاهرة والباطنة
 وتهدت الأخلاق
 وسكونت الآداب
 فالأدب استخراج ما في
 القوة إلى الفعل وهذا

وراء ماسياتى من النية والنية والفحش وغيرها بل هو الحوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الحوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطمن في بعضهم وكل ذلك باطل والحوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون باطفه وكرمه .

(الآفة الرابعة الرءاء والجدال)

وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه (١) » وقال عليه السلام « ذروا الرءاء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فنتته (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الرءاء وهو مبطل بنى له بيت في ررض الجنة (٣) » وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال (٤) » وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدام الله إلا أوتوا الجدل (٥) » وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للرءاء وإن كان محقا (٦) » وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتجميل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصبات وإسباغ الوضوء على المكاره وترك الرءاء وهو صادق (٧) » وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التثقل . وقال مسلم بن يسار يا كم والرءاء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يتنقى الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد إذ هدام الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا المرء يقسى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا محاربا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخى في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسمي بي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمرء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبي فيما أن أكذبه وإنما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثمًا أن لا تزال محاربا

(الآفة الرابعة الرءاء والمجادلة)

(١) حديث لا تمارأخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم
(٢) حديث ذروا الرءاء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فنتته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع باسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك الرءاء وهو محقق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في اللراسيل من حديث عروة بن رويم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل ت من حديث أبي أمامة ومحمه وزاد بعد هدى كأنوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره الصنف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يندر للرءاء وإن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن بالله حتى يترك الكذب في الزواجة والرءاء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك الرءاء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخبر الحديث .

يكون لمن ركب
السجية الصالحة فيه
والسجية فصل الحق
لا قدرة للبشر على
تكوينها كتكون
النار في الزناد إذ هو
فصل الله المحض
واستخراجه بكسب
الآدمي فهكذا الآداب
منبها السجيا الصالحة
والتسح الإلهية ولماها
الله تعالى بواطن
الصوفية بتكميل
السجيا فيها تواصلوا
بحسن الممارسة والرياضة
إلى استخراج مالى
النفوس وهو مركوز
بخلق الله تعالى إلى
الفعل فصاروا مؤدبين
مهذبين والآداب تقع
في حق بعض الأشخاص
من غير زيادة ممارسة
وربابة القوة ما أودع
الله تعالى في غرائزهم كما

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان (١) » وقال عمر رضی الله عنه لا تعلم العلم ثلاث ولا تتركه ثلاث لا تعلمه لتمازى به ولا لتباهى به ولا لتترأى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثرهمه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل ليمون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قتي قال لأنى لا أشار به ولا أمار به وما ورد في ذم للراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحده المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد التكميم وترك المراء بترك الانسكار والاعتراض فكل كلام صمته فان كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطمئن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العريية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت والسؤال في معرض الاستفادة لا طي وجه العناد والتمسك أو التلطف في التعريف لافي مرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إغغام الغير وتمجيذه وتقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو المظهر له خطيئين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به ولو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهمج على الغير باظهار قصه وهما شهورتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوية وأما تقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء والجدال فالمواطب على المراء والجدال مقوله هذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو مصيبة مما حصل فيه إيذاء الغير ولا تفك الممارسة عن الإيذاء وتهميج الغضب وحمل العترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدم في قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين التمارين كما يثور الهراش بين السكبين يقصد كل واحد منهما أن يعرض صاحبه بما هو أعلم نكابة وأقوى في إغغامه وإجامة وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تقيص غيره كما سيأتى ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة بما طاعت سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم الواظبة عليه نجمله عادة وطبعها حتى يتمكن من النفس ويصبر الصبر عنه . روى أن أباحنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى لم آثرت الأزواء قال لأجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال ففعلت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد على منها وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تصبر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يضل ذلك في اللذاهب والعقائد فان للراء طبع فاذا ظن أن له عليه فوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلتطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفي بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها في العريية فلهذا احتاج للريدون إلى محبة للشيخ لتكون الصحبة والتعلم عوناً على استخراج ما في الطبيعة إلى الفضل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضی الله عنهما قهوهوم وأدبوهوم وفي لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال - خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

(١) حديث تكفير كل لحاء ركتان الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتؤكد فاذا عرف، أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا فويت فيه هذه اللهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

وهي أيضا مدمومة وهي وراء الجدال وللراء فالمرء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار اللذاهب وتقريرها والحصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضی الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبيض الرجال إلى الله الألد الحميم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تحق الدين ويقال ماخاصم وروع قط في الدين وقال ابن قتيبة مربي بشر بن عبد الله ابن أبي بكره فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أتقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل لقلب من الحصومة قال قمت لأنصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخاصمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فإني لأطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الحصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تندم خصومته ، فاعلم أن هذا الدم يتناول الذي يخاصم بالباطل والبدى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الحصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الحصومة على قصد التسلط أو على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزح بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الحصومة - محض العناد لتهرا الخصم وكسره مع أنه قد يستحق ذلك القدر من اللال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدى عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا اللال ربحا ربيت به في بر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والحصومة واللجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلنظر رحم الله امرأ كلف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

(٢) حديث عائشة إن أبيض الرجال إلى الله الألد الحميم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصمعي في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضمنه الجمهور .

بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة والحكمة يقوم الزهد وبالزهد تترك الدنيا وتترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى . قيل لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطئ . أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب للسلوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها

وإيذاء فقله ليس بمحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الحصومة على حد الاعتدال متعذر والحصومة توغر الصدر وتسهج الغضب وإذا هاج الغضب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرة ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالحصومة فقد تعرض لهذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلواته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يتيق الأمر على حد الواجب فالحصومة مبدأ كل شر وكذا للراء والجدال فينبغي أن لا يفتح بابه إلا للضرورة وعند الضرورة يفتنى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الحصومة وذلك متعذرا جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولا تدم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الحصومة فيها خصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما، ثم أقل ما يفوته في الحصومة والراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الواقفة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي أحاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم « يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام ^(١) » وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا حبيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لعرفاء يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدما الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام ^(٢) » وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام « الكلمة الطيبة صدقة ^(٣) » وقال « اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة ^(٤) » وقال عمر رضي الله عنه البرئى هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام اللين يفسل الضغائن للستكة في الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جالسك فلا تكن به عليه بخيلا فإنه لعله يحوضك منه ثواب الحسين وهذا كله في فضل الكلام العليب وتضاده الحصومة والراء والجدال واللاجاج فإنه الكلام المستكره الوحشى المؤذى للقلب النقص للعيش تلهيج للغضب الوغر لا صدر نساء الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالتشويق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والتقدمات وما جرت به عادة المتفاسحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف المقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا وأتقياء أمق برآء من التكلف » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أنفضكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفهيمون المتشدقون في الكلام ^(٥) » وقالت فاطمة رضي الله عنها (١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن في الجنة لعرفاء يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمره الحديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام والتشويق)

(٥) حديث إن أنفضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفهيمون المتشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة . أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بمخاء الكعبة وربما كنت أستلقي وأمد رجلي فجاءتني عائشة الكعبة فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحي اسمك من ديوان القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أممى الذين غدوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ألهلك للتطهون ثلاث مرات (٢)» والتطع هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن شقشق الكلام من شقشاق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاب بالسنتها (٣) » وكأنه أنكسر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب وللقدمة للصنوعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات « إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرة في الجنين قال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل قال أسجما كسجج الأعراب (٤) » وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مضموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن القصد منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به ، فأما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المضموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتعيز بالبراعة وكل ذلك مضموم يكرهه الشرع ويجزع عنه .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مضموم ومنه عنه ومصدره الحث والاثم . قال صلى الله عليه وسلم « إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش (٥) » ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال « لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء إلا إن البذاء لؤم (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس للؤمن بالطمان ولا للامان ولا للفاحش ولا البذي (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه بانظ إن أفضنكم إلى (١) حديث فاطمة شرار أممى الذين غدوا بالنعيم الحديث وفيه ويتشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتطهون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي عيسى على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاب بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الثيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصاهما عندخ أيضا .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في السكبري في التفسير والحاكم ومحمه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث التهي عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في أب للعباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤمن بالطمان ولا للامان ولا للفاحش ولا البذي ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومحمه وروى موقوفًا قال الدارقطني في العلل والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبد
 أمور بملازمة الأدب
 والنفس تجرى بطباعها
 في ميدان المخالفة
 والعبد يردها بجهد
 إلى حسن اللطالية
 فمن أعرض عن
 الجهد قد أطاق
 عنان النفس وغفل
 عن الرعاية ومهما
 أعانها فهو شريكها وقال
 الجنيد من أعان نفسه
 على هواها قد أشرك
 في قتل نفسه لأن
 العبودية ملازمة الأدب
 والطفيان سوء الأدب
 أخبرنا الشيخ العالم
 ضياء الدين عبد الوهاب
 ابن علي قال أنا أبو الفتح
 المصروي قال أنا
 أبو النصر الترياقى قال
 أنا أبو محمد الجراحي قال
 أنا أبو العباس الهبوبي
 قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار طي ما بهم من الأذى يسمون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والتبور : رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا طي ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلها كما يستلذ الرفث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال عليه السلام « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك جملا إلى أسماع العوام أولى من البالغة في بيانه إذ قد يثور من غاية البيان فيه عكوك ووساوس فاذا أجلت بآذت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للراد به المجهرة بما يستحي الإنسان من بيانه فان الأولى في مثله الإغماض والتخافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش التفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامي قال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس الأخرم بأدوا الداء اللسان البذي والخلق الدني ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور للمستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجرى في ألفاظ الواقع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتعاشون عنها بل يكون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقارنها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حيي كريم ينفو ويكنو كفى بالفس من الجماع فالسيس والسس والدخول والصحة كناية عن الواقع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستحب ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أخفى من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها معظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالكتابة بقضاء الحاجة عن البول والمائط أولى من لفظ التفوط والحراء وغيرها فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه غش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجر أومن وراء الستر أوقالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصریح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن يبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجرى

من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار طي ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستلذ الرفث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مائع واختلف في صحته فذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره مع حب في التابئين (٢) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجلا سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه وك صححه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا التفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش التفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا قتية قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولله خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما عمل والدولد من نعمة أفضل من أدب حسن » وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو طي الدقاق البغدادي يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

عجراه فاتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلاء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يحفظ في منطقته غفرج تحت إبطه خراج فأثبتناه نسأله لئرى مايقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الحبث واللؤم ومن عاداتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء بعله فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وبال الله عليه وأجره لك ولا تسبني شيئاً قال فما سببت شيئاً بعده (١) » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل طي من بأس أن أتصر منه فقال اللسان شيطانان يتعاونان ويتهاجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه (٤) » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه . »

(الآفة الثامنة اللعن)

إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تلعنوا بجنة الله ولا بنضبه ولا بجهنم (٦) » وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طي ناقة لها فضجرت منها فلمنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فاتها ملعونة (٨) » قال فكأنني أنظر إلى تلك الناقة تمتي بين الناس لا يتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : مالعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانها . وقالت عائشة رضي الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولما نين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثاً (٩) » فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء بعله فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبراني باسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل طي من بأس أن أتصر منه فقال اللسان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان د الطيالى وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث اللسان ما قاله صلى الله عليه وسلم ، م من حديث أبي هريرة وقال مالك بعد (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول باسناد جيد وانفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو (الآفة الثامنة اللعن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثاً وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعاناً (٧) حديث لا تلعنوا بجنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طي ناقة لها فضجرت منها فلمنتها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه قال يا أبا بكر لعانين وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضمه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو طي لا يستند إلى شيء فكان يوماً في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنني رأيت غير مستند فتحتي عن الوسادة قليلاً فتوجهت أنه توقي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لأريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فملت أنه لا يستند إلى شيء أبداً . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعانيين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة (١) » وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلمن ببيره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لاتسر معنا على بئر ملعون (٢) » وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ التبرع فان في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبدى للملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلعه الله عليه والصفات التي تقتضي اللعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتدعي والفسق. الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والحوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويشير نزاعا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص العيين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء مأنوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه مأمونا . فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر وللعنة الله إن مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة (٣) » وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فتهنى عنه إذ روى « أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (٤) - يعني أنهم بما أسلموا فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن اللعانيين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلمن ببيره فقال يا عبد الله لاتسر معنا على بئر ملعون ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذ كوان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعاه الحديث

ظاهرا وباطنا فإساءة
أحد الأدب ظاهرا
إلا عوقب ظاهرا وما
إساءة أحد الأدب باطنا
إلا عوقب باطنا . قال
بضمهم هو غلام الدقاق
نظرت إلى غلام أمرد
فنظر إلى الدقاق وأنا
أنظر إليه فقال لتجدن
غيبا ولو بعد سنين
قال فوجدت غيبا بعد
عشرين سنة أن
أنسيت القرآن . وقال
سرى صليت وردى
ليلعن الليالي ومددت
رجلي في المهراب
فوديت ياسرى هكذا
نجالس النواك فضممت
رجلي ثم قلت وعزتك
لامدت رجلي أبدا
وقال الجنيد فبقى ستين
سنة مامد رجله ليلا
ولا نهارا . قال عبد الله
ابن المبارك من تهاون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه و جاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فضرب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي تحافة فقال أبو بكر يكلفني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فعمموا فانكم إذا خصتم غضب الأبناء للأباء فكف الناس عن ذلك (١)» وشرب نيمان الخمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله قهاه عن ذلك وهذا يدل على أن لمن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في الكوت عن لمن إبليس مثلاً فضلا عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن يزيد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز أن يرمى مسلم بنفسه أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه (٤)» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر فريضة أو غيرها كان محظنا لا كافرا وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله - ليس لك من الأمر شيء - لفظ م (١) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فضرب ابنه الحديث في الرسائل من رواية علي بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابن سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورثوله الحديث وفيه فاذا سببت المشركين فسبوم جميعا (٢) حديث شرب نيمان الخمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم ومرسلا ومحمد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمدا وكناه عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلدته في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلده فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلذوه فواقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة . وسئل السري عن مسألة في الصبر فجعل يتكلم فيها فذهب على رجله عقرب فجعلت تضربه بإبرتها فقيل له ألا تدفعها عن نفسك قال أستحي من الله أن أتكلم في حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «زويت لي الأرض فأريت مشارقتها ومغاربتها» ولم يقل رأيت . وقال أنس ابن مالك الأدب في الصل علامة قبول

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى إماما عادلا والتعرض للاموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفى قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولاتسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بسد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتل وهو كافر ثم تاب عن الكفر وقتل جميعا ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولاتنتهى إلى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطاق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص العيين فلاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكى بن إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجمعوا يلغونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما نذكرك لما ارتكب منك فقال إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتى لا إله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال «أوصيك أن لاتكون لعانا» (٥) وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتلته وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لاصحح الله جسمه ولا مله الله وما يجرى مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر «إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى إماما عادلا أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وخ ذكر الصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في رهد ولرقائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذى من حديث المغيرة بن شعبه ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين الغيرة وبين زياد بن علاقة رجلا لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصارى احفظوني في أصحابي وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبى سعيد وأبى هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائى من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصنى قال أوصيك أن لاتكون لعانا أحمد والطبرانى وابن أبى عاصم في الآحاد والثانى من حديث جرهموز الهجيمى وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبى عاصم (٦) حديث لعن المؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أتف له على أصل وللترمذى من حديث عائشة بسد ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انصر .

المعمل . وقال ابن
عطاء الأدب الوقوف
مع المستحسنات
قبل مامنه قال أن
تعامل الله سرا وعلنا
بالأدب فاذا كنت
كذلك كنت أديبا
وإن كنت أهجيا ثم
أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل
مليحة

وإن سكنت جاءت
بكل مليح

وقال الجريري منذ
عشرين سنة مامدوت

رجلى في الخلوة فان
حسن الأدب مع الله

أحسن وأولى . وقال
أبو على ترك الأدب

موجب للطرد فمن أساء
الأدب على البساطرد

إلى الباب ومن أساء
الأدب على الباب رد

(الآفة التاسعة التناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من التناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يتلى جوف أحدكم قبيحا حتى يريه خير له من أن يتلى شعرا »^(١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك قال أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر قال اجل مكان هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وطى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة »^(٢) نعم مقصود الشعر للدح والدم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في اللدح^(٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليقت الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يمتد صورته وقد أنشدت آيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضی الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يبرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر إلى فقال مالك بهت قلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يبرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأك أبو كبير الهدلى لعم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهدلى قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان يده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسرورى منك^(٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضی الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة التناء والشعر)

(١) حديث لأن يتلى جوف أحدكم قبيحا حتى يريه خير من أن يتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص وانفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر، ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السماع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان أهجمم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يبرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهدلى :

ومبرا من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

فاذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سيطرة الدواب .
[الباب الثاني
والثلاثون في آداب
الحضرة الالهية لأهل
القرب]

كل الآداب تتلقى من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه عليه
السلام مجمع الآداب
ظاهرا وباطنا وأخبر
الله تعالى عن حسن
أدبه في الحضرة بقوله
تعالى - مازاغ البصر
وما طفى - وهنـه
غامضة من غوامض
الآداب اختص بها
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخبر الله
تعالى عن اعتدال
قلبه القدس في
الاعراض والاقبال
أعرض عما سوى الله
وتوجه إلى الله وترك
وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أرضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أتقول في الشعر فجعل يتنذر إليه ويقول باني أنت وأمي إني لأجد للشعر ديبا على لساني كديب النمل ثم قرصني كما قرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين (١).

(الآفة العاشرة الزناح)

وأصله مذموم منهى عنه إلا قدر إيسير استثنى منه قال صلى الله عليه وسلم « لا عمار أخاك ولا تمازحه (٢) » فان قلت المارة فيها إيداء لأن فيها تكديبا للأخ والصديق أو تجهيلا له ، وأما الزناح فطائفة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أن النهي عنه الإفراط فيه أو اللدومة عليه أما اللدومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن اللواطة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك نيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط الهابة والوقار فما انحوا عن هذه الأمور فلا يذم كما روى النبي ﷺ أنه قال « إني لأمزح ولا أقول إلا حقا (٣) » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا ضحك باب الزناح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من الثريا (٤) » وقال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الفلحة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكينم كثيرا ولضحكنم قليلا (٥) » وقال رجل لأخيه يا أخى هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فمارؤى ضاحكا حتى مات . وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم ينفر لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول أتضحك ولعل أ كفا نك

والله الماجة محطوطها
والسموات والهمار
الآخرة محطوطها فما
الضغ إلى ما عرض
عنه ولا ليقه الأسف
على الغائب في إعراضه
قال الله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للموم
وما زانغ البصر إخبار
عن حال النبي عليه
السلام بوصف لخمس
من معنى ما خاطب به
الموم فكان ما زانغ
البصر حاله في طرف
الاعراض وفي طرف
الاقبال تلقى ما ورد
عليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهية
وإجلالا وطوى نفسه
بفراره في مطاوى
انكساره وانقاره

(١) حديث لنا قسم الفانم أمر للعباس بن مرداس بأربع فلائص وفي آخره شعره :

وما مكان بدم ولا حابس يسودان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرى منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم إقطعوا عن لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهبي ونهب العيب د بين عينة والأقرع
وما مكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرى منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علفمة بن علاثة مائة وأما زيادة إقطعوا عن لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة الزناح)

(٢) حديث لا عمار أخاك ولا تمازحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني لأمزح ولا أقول إلا حقا

تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا تقدم .

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكينم كثيرا . تنفق عليه من حديث أنس وهاشمة .

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبيكي وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلاً يبيكي ألمت تعجب من بكائه؟ قيل بلى قل فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوب له صعب فلم يجعل كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مراراً ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه وقد هلك فقال نعم وأفواهم ملامى من دمه (٢) وأما أداء المزاح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن الأشكر قالت لى أمى يابني لا تمازح الصبيان قهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يابني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيا فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح تعدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن تقل عليكم حديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمى المزاح مزاحاً؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور العداوة المزاح ويقال الزاح سلبه للنهي مقلعة للأصدقاء . فإن قلت قد تقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذي قلباً ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على التدور فلا خرج عليك فيه ولكن من التلطف العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالأصرار ومن اللباحات ما يصير صغيرة بالأصرار فلا ينبغي أن يغفل عن هذا (٣) نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا «يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن دأبتكم لا أقول إلا حقاً» (٤) وقال عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كما ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذبلاً كذيل العروس (٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكك الناس مع نسائه (٦) وروى أنه كان كثير التبسم (٧) وعن الحسن قال أنت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست بعجوز يوماً قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً - (٨)» وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوب له صعب فلم يجعل كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه فهلك قال نعم وأفواهم ملامى من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو محصل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن دأبتكم فلا أقول إلا حقاً الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث قد ذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحمدى وجرى منه ذبلاً كذيل العروس لم أفكك عليه (٦) حديث أنس قال من أفكك الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز

لكيلاً تنبسط النفس
تظنى فان الطغيان
عند الاستثناء وصف
النفس قال الله تعالى
- كلا إن الإنسان
ليظنى أن رآه استغنى-
والنفس عند المواهب
الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع
ومنى نالت قسطاً من
المنح استغنت وطفنت
والطغيان يظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يستد باب
الزيد وطفيان النفس
لضيق وعائها عن
المواهب فوسى عليه
السلام صح له في
الحضرة أحد طرفي
ما زاغ البصر وما التفت
إلى ما فاتته وما ظنى
متأسفاً لحسن أدبه
ولكن امتلاً من المنح
واسترقت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم « فقالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه يباح
 قالت والله ما بعينه يباح فقال بل إن بعينه يباح فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد
 إلا بعينه يباح وأراد به البياض المحيط بالحدقة (١) » وجاءت امرأة أخرى فقالت « يا رسول الله احملني
 على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال ﷺ : ما من بعير إلا وهو ابن
 بعير (٢) » فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يأتيهم ويقول « يا أبا عمير ما نمل النخير (٣) » لنخير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة
 رضى الله عنها « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشددت
 درعى على بطني ثم خططنا خطا قمعنا عليه واستبقنا فسبقني وقال هذه مكان ذى المجاز (٤) » وذلك أنه
 جاء يوما ونحن بنى المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطينيه فأبيت وسعيت ونسيت في أترى
 فلم يدركني وقالت أيضا « سابقني رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال هذه
 بتلك (٥) » وقالت أيضا رضى الله عنها « كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة
 فصنعت حريرة وجثت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطنخن به وجهك
 فقالت ما أنا بذاتته فأخذت يدي من الصحيفة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم جالس بيني وبينها خفيض لها رسول الله ركبته لتستقيد منى فتناولت من الصحيفة شيئا فمسحت
 به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك (٥) » وروى « أن الضحاك بن سفيان الكلابي
 كان رجلا دميما قبيحا فلما باعه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء
 وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أمي
 أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه
 لأنه كان دميما (٧) » . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن
 ابن على عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيرش له فقال له عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن

الترمذى في الشئائل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزى في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف
 (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذى بعينه
 يباح الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن
 سهم الفهري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استحملته نحملك على ابن البعير الحديث أبو داود
 والترمذى وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الناقة (٣) حديث أنس بأبعمير ماضل
 النخير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقتها صلى الله عليه وسلم في غزوة
 بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجده أصلًا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث
 عائشة سابقني فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في السكاح (٦) حديث عائشة في لطنخ وجه سودة
 بحريرة ولطنخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة
 وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلابي قال عندى امرأتان أحسن من
 هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت
 أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما
 الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلا وللدارقطنى نحو هذه
 القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطلعت إلى القسط
 والحظ فلما حظيت
 الشمس استغنت وطفعت
 عليها ما وصل إليها
 وضاق نطاقها فتجاوز
 الحد من فرط البسط
 وقال أرني أنظر إليك
 فتح ولم يطلق في قضاء
 للزيد وظهر الفرق
 بين الحبيب والكليم
 عليهما السلام وهذه
 دقيقة لأرباب القرب
 والأحوال السنية فكل
 قبض يوجب عقوبة
 لأن كل قبض سد في
 وجه باب الفتوح
 والعقوبة بالقبض
 أوجبت الإفراط في
 البسط ولو حصل
 الاعتدال في البسط
 ما وجبت العقوبة
 بالقبض والاعتدال في
 البسط بايقاف النازل
 من المنح على الخروح

لى الابن قد زروح وبقل وجهه وماقبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم (١) »
 فأكثر هذه الطائيات منقولة مع النساء والاصيدان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف
 قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا
 «أنا أكل التمر وأنت رمد قال إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم (٢) »
 قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى « أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسًا إلى نسوة
 من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا
 لجل لى شرود قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل
 الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أنظر منه كلما رأيت حياء منه حتى قدمت للمدينة
 وبعد ما قدمت المدينة قال فرأى فى المسجد يوما أصلى فجالس إلى فطولت فقال لا تطول فأتى أنتظرك
 فلما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك
 أنظر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال أبا عبد الله أمارك ذلك
 الجل الشراد بعد قلت والذى بئسك بالحق ما شرود منذ أسلت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد
 أبا عبد الله قال حسن إسلامه وهداه الله (٣) » وكان نعيان الأنصارى رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر
 فى المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بهله ويأمر أصحابه فيضربونه بهلهم فلما كثر
 ذلك منه قال له رجل من الصحابة لئنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله
 وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يا رسول الله هذا قد
 اشترته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول
 الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله إنه لم يكن عندى
 ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه (٤) فهذه مطايات

والقلب والإيقاف على
 الروح والقلب بما
 ذكرناه من حال النبي
 عليه السلام من تغييب
 النفس فى مطاوى
 الانكسار فذلك الفرار
 من الله إلى الله وهو غاية
 الأدب حظى به رسول
 الله عليه الصلاة
 والسلام فما قوبل
 بالقبض فدام مريده
 وكان قاب قوسين
 أو أدنى ويشاكل
 الشرح الذى شرحناه
 قول أبي العباس بن
 عطاء فى قوله تعالى
 - مازاغ البصر
 وما طفى - قال لم يره
 بطغيان عييل بل رآه على
 شرط انتدال القوى
 وقال سهل بن عبد الله
 التستري لم يرجع
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى شاهد نفسه

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلج لسانه للحسن بن علي فيرى
 الصبي لسانه فيرش إليه فقال عيينة بن بدر الفزارى والله ليكون لى الابن رجلا قد خرج وجهه
 وماقبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما فى آخره من قول عيينة
 ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب فى اللبهمات قولين فى قائل
 ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثانى أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن
 أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال
 إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث
 قال لصهيب وبه رمد أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل على الشق الآخر فتبسم صلى الله
 عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان
 جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله
 مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجل لى شرود الحديث الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن
 أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة
 ابن عمرو (٤) حديث كان نعيان رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشترى الشئ ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم
 يجىء بصاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى الفكاهة ومن طريقه ابن
 عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله .

يباح مثلها على التدور لاطى الدوام والواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتثنية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قلت عائشة رضى الله عنها حاكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا »^(١) وقال ابن عباس في قوله تعالى - ياويلتنا لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة التسمم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة التفهيم بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال لهم لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له لهم لهم فلا يأتيه »^(٣) وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله »^(٤) وكل هذا يرجع إلى اسحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغار له وعليه به قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا تستحقروه استصغارا فقله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخط في ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعه أو على صورته وخلقه إذا كان قصيرا أو ناقصا لعيبا من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسل لا ورويناه فى ثمانيات النجيب من رواية أبي هذبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده متصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه رمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن على

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة (١) » وقاله طلقاً « الحديث بينكم أمانة (٢) » وقال الحسن إن من الحيانة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال لأبيه يأبت إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثاً وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تمدني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاء كان الخيار عليه قال فقلت يأبت وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتقك أبوك من رقي الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتان السرفى كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فإن اللسان ساق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمع بالوفاء فيصير الوعد خلفاً وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل (٤) » والوأي الوعد وقد أنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد - قيل إنه وعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره . ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد فوالله لآلئى الله بثلاث اتفاق أشهدكم أنى قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحنساء قال « بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والعد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر ك (٥) » وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء . قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعداً قال عسى (٦) وكان ابن مسعود لا يبعد وعداً إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يني فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتعمن خان (٧) » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث

جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل -

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبرانى في الأوسط من حديث قبات بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسل (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسل وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والعد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر ك رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعداً قال عسى لم أجد له أصلاً (٧) حديث أنى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا
أبو الطيب السكى عن
أبي محمد الجريرى قال
التسرع إلى استدراك
علم الاقطاع وسيلة
والوقوف على حسد
الانحسار نجاة واللباذ
بالهرب من علم الدنو
وصلة واستبجاء ترك
الجواب ذخيرة
والاعتصام من قبول
دواعى استماع الخطاب
تكلف وخوف فوت
علم ما انطوى من
فصاحة الفهم في حيز
الإقبال مساءة والإصغاء
إلى تلقى ما ينفصل عن
معدته بمد والامتثال
عند التلاقى جراءة
والانسياط في محل
الأنس غرة وهذه
الكلمات كلها من
آداب الحضرة لأربابها
وفى قوله تعالى - ما زانغ

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) « وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن مناققا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاضرة فقد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فأعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يدي فقد ذكر مواعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم (٢) « فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من مواعده له مع أنها كانت تدير الرحي بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بمخين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيا قال هي لك وقال احتكمت يسيرا (٣) « واصحابة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكها موسى عليه السلام قالت : حكى أن تردني شابة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا قبيلا أشع من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) « وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا يثم عليه .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسميل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بسد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار (٥) « وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) « وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلاية والقول والعمل والدخل والمخرج وإن الأصل الذى بنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن في كذب فيه كان مناققا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة فتقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهى عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بمخين فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم فى المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا يثم عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى إلا أنهما قالا فلم يث .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإعما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طنى -
وجه آخر أظف -
سبق : مازاغ البصر
حيث لم يتخاف عن
البصيرة ولم يتقاصر
وما طنى لم يسبق البصر
البصيرة فيتجاوز حده
ويتعدى مقامه بل
استقام البصر مع
البصيرة والظاهر
مع الباطن والقلب مع
القالب والنظر مع القدم
ففى تقدم النظر على القدم
ظنيان والمعنى بالنظر
علم وبالقدم حال القالب
فلم يتقدم النظر على
القدم فيكون ظنيانا
ولم يتخلف القدم عن
النظر فيكون تقصيرا
فلما اعتدلت الأحوال
وصار قلبه كقالبه
وقالبه كقلبه وظاهره
كباطنه وباطنه
كظاهره وبصره
كبصيرته وبصيرته

النفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق و نلت به كاذب»^(١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»^(٢). «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لأنتصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لأزيدك على كذا وكذا فرب الشاة وقد اشترها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة»^(٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار هم الفجار قليل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع؟ قال نعم ولكنهم يخلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : المنان بعظيته والنفق سلعته بالخلف الفاجر والسبل إزاره»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكته في قلبه إلى يوم القيامة»^(٧) وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فقة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وطلأ أصحابه ورجل كان له جارسوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظمن ورجل كان معه قوم في سفر أو سريه فأطالوا السرى حتى أعجمهم أن يمسوا الأرض فقتلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلاف والفقر المحتال والبخيل للنان»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقممت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يمسك كؤوب من حديد يلقمه في شق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضعيف جدا ويقضى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق وأنت له كاذب البخري في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضمه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث من رجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصهبانيين من حديث أبي هريرة وروينا كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويحدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان بعظيته والنفق سلعته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكته في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر باسناد جيد وللنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البيع الخلاف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبصره غيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وآتى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث العراج فكان البراق يقاله مشا كلال معناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث العراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل سماه بعض الأنبياء إشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فن هو في بعض السموات يكون قوله - أرأى أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يحذبه ويلقعه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا؟ فقال هذا رجل كذاب يمدب في قبره إلى يوم القيامة (١) وعن عبد الله بن جراد قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يكذب المؤمن؟ قال قد يكون ذلك قال يابني الله هل يكذب المؤمن؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجى من الزنا ولساني من الكذب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر (٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال أما إنك لو لم تضل لكنت عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال: ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من تنن ماجاء به (٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا اتمن فلا يغن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي قم فقممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقعه في شدة الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجى من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجى من الزنا وزاد وعملي من الزنا وعيني من الحيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال إن لم تضل لكنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من تنن ماجاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحرايطى فى مكارم الأخلاق وفيه معدن سنان ضعفه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

القدم وتحافاً للقدم عن النظر وهذا هو الاخلاص بأحد الوصفين من قوله تعالى - ما زاغ البصر وما طغى - فرسول الله حمل مقترنا قدمه ونظره في حبال الحياء والتواضع ناظراً إلى قدمه قادمًا على نظره ولو خرج عن حبال الحياء والتواضع وتناول بالنظر متمدياً حد القدم تعوق في بعض السموات كتعوق غيره من الأنبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم متجالس حجاله في خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصباباً واتشمت عنه صحاب الحجب حجاباً حجاباً حتى استقام حتى

« إن للشيطان كلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم (١) »
 وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقياي هذا فيكم فقال
 « أحسنوا إلى أمهاني ثم الدين يلونهم ثم يفسو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف
 ويشهد ولم يستشهد (٢) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يأتى ليقطع بها مال امرئ
 مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان (٤) » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها
 المسلم إلا الحيانة والكذب (٦) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أمهات
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل
 من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها (٧) »
 وقال موسى عليه السلام : يارب أى عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه
 ولا يزنى فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شهيء كلحم الصغور عما قيل يقلاه
 صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرّك ما فاتك من الدنيا
 صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه (٨) » وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة
 بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى
 وقال « عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة (٩) » وقال معاذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح (١٠) »

صراط - مازاغ البصر
 وما طنى - فمر كالبرق
 الحافظ إلى مخدع
 الوصل واللطائف وهذا
 غاية في الأدب ونهاية في
 الأرب . قال أبو محمد
 ابن رويم حين سئل
 عن أدب المسافر فقال
 لا يجاوزهم قدمه حيث
 وقف قلبه يكون مقرة
 أخبرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب إجازة
 قال أنا عمر بن أحمد قال
 أنا أبو بكر بن خلف
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 السلى قال ثنا القاضي
 أبو محمد يحيى بن
 منصور قال حدثنا
 أبو عبد الله محمد بن
 علي الترمذى قال حدثنا
 محمد بن رزام الأيلي قال
 حدثنا محمد بن عطاء
 الهجيمي قال حدثنا
 محمد بن نصير عن عطاء

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند
 ضعيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجاية الحديث وفيه ثم يفسو الكذب الترمذى وصححه
 والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على
 يمين يأتى ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل وموسى
 روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن
 إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في اللصف من حديث أبي أمامة وزواه ابن عدى في مقدمة الكامل
 من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من
 حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدار قطنى في الملل (٧) حديث ما كان
 من خلق الله شئ أشدّ عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على
 الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من
 حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات
 فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك
 من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخرايطى في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو
 وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة ابن ماجه والنسائي في
 اليوم والليلة وقد تقدم بضمه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق
 الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة تدامة يوم القيامة ، وقد عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبك إلينا ما لم تركم أحسنكم اصحابا فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأنتيت على حرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكيت ما رأيت أوجر على ترك الكذب لأنى إنما أدعه أئمة ، وقيل لحالف بن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفته بمقاريض من نار كما قرضنا نبتنا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطنين خير من الصدق رأيت لو أن رجلا سمي خاف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فاتهمى إليك فقال رأيت فلانا ما كنت قائلا ألتست تقول لم أراه وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فتقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان القصد واجبا كما أن عصمة دم السلم واجبة ثمها كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها (١) » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نهي خيرا (٢) » وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما (٣) » وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فقتيت أحدهما قتل مالك وقتلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سرب أرنى أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرانى حتى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم . » وبن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكأرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعتهم يحسن عليه الشاء ثم أتيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلاحهم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس (١) «أى ولوبا بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم « أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك (٢) » وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلى وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحد وثمة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لا امرأته أشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تشدني قال فاني أشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أنى أظلم النساء وأخلمهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت بئى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فخرجت أن أ كذب أفا كذب يأمر المؤمنين قال نعم فا كذبي فان كانت إحدا كن لا تحب أحدنا فلا تحدته بذلك فان أول البيوت الذى بينى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والأحباب ، وعن النواس بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شحنة فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها (٣) » وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا أو قال على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تأن آخر من السماء أحب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فبا بينى وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ماله فمثل أن يأخذ مظلوما ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذ سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زلت وما سرت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٤) » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فالرجل أن يحفظ ماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبان يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيبا لثيابها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحذية أن الكذب محذور ولو صدق في هذه الواضع تولد منه محذور فينبغى أن يقابل أحدها بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذى يحصل

(١) حديث أبى كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبرانى ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في اللوطان عن صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شحنة فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها (٤) حديث ابن عبد البر في قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبرانى وفيه ما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وإسناده حسن .

والحاجات الديسوية
حتى رفته الحق مقاما
في القرب وأذن له في
الانبساط وقال اطلب
منى ولو ملحا لعجبتك
فلما بسط انبسط وقال
- رب إنى لما أنزلت
إلى من خير فقير -
لأنه كان يسأل حوائج
الآخرة ويستعظم
الحضرة أن يسأل
حوائج الدنيا لحقارتها
وهو في حجاب الحشمة
عن سؤال المحقرات
ولهذا مثال في الشاهد
فان الملك العظيم يسأل
العظماة ويحتشم في
طلب المحقرات فلما رفع
بساط حجاب الحشمة
صار في مقام خاص من
القرب يسأل الحقيركا
يسأل الخطير قال
ذو النون المصري أدب
العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقفا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم ثم يرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بفرض غيره فلا يجوز السامحة لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم فهو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما فخر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أتكتر من زوجي بما لم يفعل أضرارها بذلك فهل طي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: التشبع عالم يعطى كلابس ثوب زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوب زور يوم القيامة ويدخل في هذا ثوبى العالم بما لا يتحققه (٢) » وروايته الحديث الذى لا يتبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف من أن يقول لأدرى وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا ، نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعنى عنه لأنه إنما أيسح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذى هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لأجله هل هو أم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصى وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فيها وورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر طي الأسباع وسقط وقمه وما هو جدي فوقه أعظم فهذا هو الس إذ ليس هذا من الأغراض التى تقاوم محذور الكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطى الله تعالى ويؤدى فتح بابيه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا يقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحذر من الكذب بالماريض)

قد نقل عن السلف أن في الماريض مندوحة عن الكذب قال عمر كرضى الله عنه أما في الماريض ما يكفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أراد بذلك إذا اضطرب الانسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل طي زياد فاستبطأ فتعلل بمرض وقال ما رفقت جنبي مذ فارقت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإني أتكتر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوب زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفة مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أظمته القيام مع أسأئى وصفان أظمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتي أظمته العطب . فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأسأئى والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس مع لمعان نور عظمة الذات تتلشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالثناء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقاله أبو على الدقاق في قوله تعالى - وأيوب

الأمير إلا ما رفعني الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند الاستماع وعنده للإبهام. وكان معاذ بن جبل عاملا لعمرو بن عبد الله رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم وما كان قد أتانا شيء فقال كان عندي ضاغظ قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبثت عمر معك ضاغظا وقامت بذلك بين نساءها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بئس معك ضاغظا قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغظا حتى رقيبا وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من بكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبي في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساك أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يابني اتق الكذب وما أحببه قهنا عن ذلك لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض الفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه، نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة مجبور»^(١) وقوله للأخرى «المدى في عين زوجك يياض» وللأخرى «نعملك على ولد البعير» وما أشبهه وأما الكذب الصريح كإفطاره نفيان الأنصارى مع عثمان في قصة الضرب إذ قال له إنه نفيان وكما يتأده الناس من ملاعبة الحق بتفريدهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطابته فلا بوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكفل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه»^(٢) وأما قوله عليه السلام «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من التريا»^(٣) أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح. ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في البالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم البالغة فان لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يتأده مثلها في الكثرة لا يأثم وإن لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب وبما يتأده الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشنيه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس «كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة مجبور وحديث في عين زوجك يياض وحديث نعملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحديث حتى يجتنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة التماري وقال فيه نظر وللشيوخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللدارقطني في المؤلفات والمختلف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يتوك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من التريا تقدم في الآفة الثالثة.

إذ نادى ربه أن
 معنى الضر وأنت
 أرحم الراحمين لم يقل
 أرحمني لأنه حفظ أدب
 الخطاب وقال عيسى
 عليه السلام إن كنت
 قلته فقد علمته - ولم
 يقل لم أقل رعاية لأدب
 الحضرة . وقال
 أبو نصر السراج أدب
 أهل الحوصية من
 أهل الدين في طهارة
 القلوب ومرعاة
 الأسرار والوفاء بالعهود
 وحفظ الوقت وقلة
 الالتفات إلى الخواطر
 والعوارض والبوادي
 والعوائق واستواء
 السر والعلاية وحسن
 الأدب في مواقف
 الطلب ومقامات القرب
 وأوقات الحضور .
 والأدب أدبان أدب
 قول وأدب فعل فمن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قد حامن ابن شرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت الجارية فقلت لأتردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك قلن لا نشتهي فقال لا تجعن من جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحداها كفى تشبيهه لأشبهه أيعد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبية كذبية (١) وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لأنس عينيك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر. وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خيثم عائمة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي صدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والآنم فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام مالم ير أو يقول على ما لم أقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شهيرتين وليس بما قد بينها أبدا (٣) » .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يفتب بهضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام « لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا تاجشوا ولا تداروا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد زنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساته الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث إن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام مالم يريا أو يقول على ما لم أقل البخاري من حديث وثلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أقرى القرى أن يرى عينه مالم يريا (٣) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرة البخاري من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

(٤) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس قوله ولا يفتب بهضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير .

تهرب إلى الله تعالى بأدب فعل منحه محبة القلوب. قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من محامرة الجهل فإذا عرف النفس صادف نور الرفان على ماؤرد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظافرهم قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يتناجون بالناس ويقرعون في أعراضهم (١) » وقال سليم بن جابر « أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أتنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقى وأن تلقى أخاك يمشي بحسن وإن أدبر فلا تتأبه (٢) » وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا المسلمين ولا تتجوا عوراتهم فإنه من تابع عورة أخيه تابع الله عورته ومن تابع الله عورته يفضحه في جوف بيته (٣) » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تابا لمن الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحمى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فائذن لي لأفطر فأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فنانان من أهلك ظلمتا صائمتين وإنيهما يستجيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ^{عليه السلام} ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنيهما يصوما وكيف يصوم من ظلم نهاره يأكل لحم الناس اذهب لفرهما إن كاتتا صائمتين أن تستقيتا فرجح إليهما فأخبرهما فاستقيا فاستقيا كل واحدة منهما علقه من دم فرجح إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار (٤) » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنيهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم لئن توفيتي بهما فبجاءتا فعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لإحدهما قئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قئى فقاءت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس (٥) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة زينها الرجل وأرنب الربا عرض المسلم (٦) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يمدب صاحبهما فقال إنيهما يمدبان وما يمدبان في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستزله من بوله فعدا بمجريدة رطبة وأجر يدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به الحديث أحمد في السنن وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يتأبه وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بأسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث في ذكر المرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقاءت كل واحدة منهما علقه من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث للمرأتين المذكورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرنب الربا عرض الرجل المسلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه قد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة إلا ويحميها بصرح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر .

[الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها]

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأدبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرهما ثم أمر بكل كسرة ففرست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم يبسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخرًا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص الكلب فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يارسول الله نهش جيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه (٢) » وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يختابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة الناقلين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فأكله فينضج ويكبح (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدتين عند باب من أبواب المسجد فرجعا رجل كان عنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا ففصلنا مع الناس خالف في أنفسهما ما قالنا فأتيا عطاء فألأه فأمرهما أن يعيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة الطعان في الناس والهمزة القذى يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من التيبة وثلث من النجاسة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصبر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يصبر الجفيع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فصلاحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ربح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشدّ يابض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونهيم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يفتاب آخر فقال له إياك والغيبة فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكور الناس فانه داء نسال الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى التيبة وحدودها)

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه سواء ذكرته بقص في بدنه أو نسيه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره وودائعه . أما البدن فكذلك كرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به بما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يندب صاحبهما فقال أما إنهما لعذبان وما يندبان في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النجاسة بدل الغيبة . وللطيالني فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكره نحوه باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق للرحوم هذا أقص كما يقص الكلب فر بجيفة فقال انهشا منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوف وفيه محمد بن إسحاق رواه بالنعمة .

النجاسة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما زلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أنهى عليكم في الطهور لها هو ؟ قالوا إنا نستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى زلت الآية في أهل قباء . قيل لسلطان قد علم نبيكم كل شيء حتى الحراة فقال لسلطان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بضائط أو بول أو نستنجى باليمين أو يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجى برجيع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه ينطى أو هندی أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شئ مما يكرهه كنفما كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مرأه شديد الغضب جبان عاجز ضيف القلب متهور وما يجرى مجراه . وأما في أفعاله المتعاقبة بالدين فسكقولك هوسارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترم من التجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يوضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا فسكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ثموم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فسكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال « هي في النار ^(١) » وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن ^(٢) » فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التفتيش ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مقتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به مقتاب عاص لربه وأكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أريد إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته ^(٣) » وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قامت ماليس فيه فقد بهتموه ^(٤) » وعن حذيفة عن عائشة رضی الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتها ^(٥) » وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إني أراني قد اغتبتته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يغتابن أحداًكم أحداً فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي « الفظي الفظي فلفظت مضفة لحم ^(٦) »

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذى جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أمالي ابن شعون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتها ^(٥) » حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحة لابن أبي الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلفظت بضعة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لا أعرفها .

عظم . حدثنا شيخنا
 شياء الدين أبو النجيب
 إسلام قال أنا
 أبو منصور الحريرى
 قال أنا أبو بكر الخطيب
 قال أنا أبو عمر والهاشمى
 قال أنا أبو طي اللؤلؤى
 قال أنا أبو داود قال
 حدثنا عبد الله بن محمد
 قال حدثنا ابن المبارك
 عن ابن عجلان عن
 التميمي عن أبي صالح
 عن أبي هريرة رضى
 الله عنه أنه قال : قال
 صلى الله عليه وسلم
 « إنما أنا لكم بمنزلة
 الوالد أعلمكم فإذا
 أتى أحدكم الغائط
 فلا يستقبل القبلة
 ولا يستديرها ولا

يستطيب يمينه » وكان
 يأمر بثلاثة أحجار
 ويهيى عن الروث
 والرمة . والفرس في

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والعزم والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أو مات يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها (١) » ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعارجا أو كما يمشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسنن أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا (٢) » وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعذار الموحجة إلى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما محي وإماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المهدور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عينه جاز . كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئا قال « مال أقوام يفعلون كذا وكذا (٣) » فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأثبت أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التنفذ عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طاب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نأله أن يصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ومدح نفسه بالتشبه بال صالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن أنه من الصالحين التفتقير عن الغيبة ولذلك يابى الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائده وعمائمهم وينضح عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصفى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في تحقير خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءنى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاعتماد وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاء في خلوة عقيب صلاته ولو كان يتم به لا غتم أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخبث قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاھروا . ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط الغتاب

الاستنجاء شيئا إزالة الخبث وطهارة اللزب وهو أن لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا مرة وهي عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فأما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحبون أن يتطهروا - ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وزابا طاهرا . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قيل

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن محارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وبقهيم ثقات (٢) حديث ما يسنن أنى حكيت ولى كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال مال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعيره ورجاله رجال الصحيح .

في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول يجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالحير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك للمغتاب قال صلى الله عليه وسلم «المتمع أحد الغتابين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لشوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ لئلا يلا به الحيز فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتمنا؟ فقالا مانله قال بلى إنكما أكلتما من لحم أخيكما» (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وذل للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص الرجل كما يقمص الكلب «انها من هذه الحيفة» (٣) فجمع بينهما فلمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه وجيبته فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا تطول بإعادتها.

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة يختص بأهل الدين والخاصة . أما الثمانية : فالأول أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشفي بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يتمتع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة . الثاني موافقة الأقران وبجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجالس استقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن العاشرة ويظن أنه

(١) حديث المستمع أحد المغتابين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتمنا؟ فقالا مانله فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مراسلنا نحوه (٣) حديث انهما من هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص الكلب كما يقمص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذلّ عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أدله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة (٥) حديث أبي الدرداء من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة إن أي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلغف رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسهاء بنت يزيد .

ملافة النجاسة ويمره
بالمسح وبدير الحجر
في مره حتى لا يتقل
النجاسة من موضع إلى
موضع يفعل ذلك إلى
أن ينتهي إلى مؤخر
الخرج ويأخذ الثاني
ويضعه على المؤخر
كذلك ويمسح إلى
المقدمة ويأخذ الثالث
ويديره حول السرة
وإن استجمر بحجر
ذو ثلاث شهب جاز
وأما الاستبراء إذا
انقطع البول فيمد
ذكره من أصله ثلاثا
إلى الحشفة بالرفق ثلاثا
يندق بقية البول ثم
يشتره ثلاثا ويحتاط في
الاستبراء بالاستنقاء
وهو أن يتنحج ثلاثا
لأن العروق ممتدة من
الحلق إلى الذكر
وبالتنحج تتحرك

بحاملة في الصفة وقد يضرب رفاقؤه فيحتاج إلى أن يضرب لضربهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوى . الثالث أن يستنصر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محنتهم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يتتدى به ذكر مافيه صادقا ليكذب عليه بصدقه فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن طادنى الصكذب فأن أخبرتكم بكذا وكفا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذى فعله وكان من حق أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعى جنابة من الغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق . السابع اللب والهزل والمطايبة وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المفاخرة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقاقا له فان ذلك قد يجرى في الحضور ويجرى أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أخصها وأدقها لأنها شرور خباياها الشيطان في معرض الحيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبئ من الدين داعية التعجب في إنكار السكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب مارأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من السكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يفتن بسبب ما يتلى به فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الاعتناء ويلهيه التعم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتناء ممكن دون ذكر اسمه فيهبجه الشيطان على ذكر اسمه ليطل به ثواب اغتنامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارقه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغضب دركها على العلماء فضلاء العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عفرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتى ذكره . روى عن عامر بن وثالة « أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إنى لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأثنى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتعذف مافي مجرى
البسول فان متى
خطوات وزاد في
التضح فلا بأس
ولكن براعى حد العلم
ولا يحمل للشيطان
عليه سبيلا بالسوسة
فيضع الوقت ثم يمسح
الذكر ثلاث مسحات
أو أكثر إلى أن لا يرى
الرطوبة . وشبه بعضهم
الذكر بالصرع وقال
لا يزال تظهر منه
الرطوبة مادام يمد
فيراعى الحد في ذلك
ويراعى الوتر في ذلك
أيضا وللحجرات تكون
على الأرض الطاهرة
أو حجر طاهر وإن
احتاج إلى أخذ الحجر
لصفره فلأخذ الحجر
باليدين والذكر اليسار
ويمسح على الحجر
وتصكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خاب والله ما رأيتته يصلي صلاة قط إلا هذه للكتوبة قل فأسأله يارسل الله هل رأيتني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله قل لا فقال والله ما رأيتته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فأسأله يارسل الله هل رأيتني قط أفطرت فيه أو قصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله ما رأيتته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيتته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فأسأله يارسل الله هل رأيتني تصمت منها أو ما كست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن النية)

اعلم أن ساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنفحص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن النية على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بنية هذه الأخبار التي رويها وأن يعلم أنها محببة لحسناته يوم القيامة فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومثبه عنده بأكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد الحاشمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في الييس بأسرع من النية في حسنات العبد (٢) » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتك فلهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في النية لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس (٣) » ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل يبغي أن يتحقق أن يحجز غيره عن نفسه في التزهد عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل للحكيم يا قبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تأم غيره بنية كتأله بنية غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يقتاب فيذنب أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على النية فإن علاج العلة يقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إني إذا أمضيت غضبي عليه فلعن الله تعالى يمضي غضبه على بسبب النية إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

باليسار لابلين ثلاثا
يكون مستنجبا باليمين
وإذا أراد استعمال الماء
انتقل إلى موضع آخر
ويقنع الحجر ما ينتشر
البول على الحشفة وفي
ترك الاستنقاء في
الاستبراء وعيد ورد
فيما رواه عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما
قال « مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
قبرين فقال لهما
ليعذبان وما يعذبان في
كبير أما هذا فكان
لا يسترى أو لا يستره
من البول وأما هذا
فكان يمشي بالنيحة ثم
دعا بعصيب رطب فشقه
اثنتين ثم غرس على
هذا واحدا وعلى هذا
واحدا وقال له يخفف
عنهما ما لم يبسا
والمسبب الجريد وإذا

(١) حديث عامر بن وائلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فقله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في الييس بأسرع من النية في حسنات العبد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقى غيظه بمعصية الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء (٣) » وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا عمحك فيمن أحق . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضا لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفاقك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأغص الدنوب وهي الغيبة . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الحيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لقت الحاق أشد من التعرض لقت المخلوقين وأنت بالنية متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتملك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى قدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخبلان . وأما عندك كقولك إن أكات الحرام فقلان يأكله وإن قلت مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقته لسفه عقلك فيها ذكرت غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجأت مع الجمع بين العصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى تردى نفسها من قلة الجبل فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعدو وصرحت بالعدو وقالت العزى كيس منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لاتعجب ولا تضحك من نفسك . وأما تصدك للباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرت به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعث ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا . وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عداوين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما كتعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصررت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديقه وعدو نفسك إذ لاتضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفك وقد جمعت إلى خبت الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة

(١) حديث إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شقى غيظه بمعصية الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الأربعين البلدانية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يعد
من العيون . روى
جابر رضى الله عنه « أن
النبي عليه السلام كان
إذا أراد البراز انطلق
حتى لا يراه أحد » وروى
للغيرة بن شعبة رضى
الله عنه قال : « كنت
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سرفراتي
النبي عليه السلام
حاجته فأبعدني الذهب »
وروى « أن النبي عليه
السلام كان يتبوأ
لحاجته كابتبأ الرجل
للنزل ، وكان يستر
بهاائط أو نشز من
الأرض أو كوم من
الحجارة » ويجوز أن
يستتر الرجل براحتيه
في الصحراء أو بذيله إذا
حفظ الثوب من الرشاش
ويستحب البول في
أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت في حسرتك وجنابتك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار مستهزأاً بك وفرحاً بخزيتك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن ولكن حمدك إلبس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبواً لإثم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ جبط أجرك وتقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وإنما الشيطان جبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرّضاً لما لقت الله عز وجل بالغيبة . وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فمعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدينه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله سترك كما هتكك بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة قطب والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن الغيبة لا محالة .

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بما سوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وسوء الظن بأخيك ولست أعنى به الاعتقاد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن النهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركز إليه النفس ويميل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يطلعها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك ببيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقى إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوماً بجهالة - فلا يجوز تصديق إلبس وإن كان ثم محتملة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد تغمض بالخمر ومجهاً وما شربها أو حمل عليه قهراً فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء ^(١) » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليه أن حاله عندك مستور كما كان وأن مآرأته منه بمحمل الخير والشر . فان قلت فهذا يعرف عقد الظن والشكوك فختلج والنفس تحدث . فقول : أمانة عقد سوء الظن أن يخبر القلب معه عما كان في نفسه نقوراً ما ويستقله ويفتر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه والاعتظام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :
« كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يبول فأنى دما في أصل جدار فبال ثم قال : إذا أراد أحدكم أن يبول فليترد لبوله » وينبئ أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والأولى اجتنابه للدهاب بعض الفقهاء إلى كراهية ذلك في البنيان أيضاً ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الريح احترازاً من الرشاش قال رجل ل بعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه لأحسبك تحسن المرأة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه^(١)» أي لا يحققه في نفسه بمقدور لافعل لافي القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى عجلة مساءة الناس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق: «نظر بضرور الشيطان وظلمته». وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبت لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعتت فتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو^(٢) فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العداوة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عاداته التعرض للناس وذكروا بهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس يعدل فإن القتاب فاسق وإن كان ذلك من عاداته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر النية ولم يكثرثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالحير فإن ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا تخدعك الشيطان في دعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على قصصه لينظر إليك بعين التعظيم وتظهر إليه بين الاستحقاق وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاسم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه، ومن سمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالنية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

(بيان الأعدار الرخصة في النية)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم النية وهي ستة أمور : الأول الظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والحياطة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما ، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى المظلمين وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن لصاحب الحق مقالا^(٣)» وقال عليه السلام

(١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
(٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضعة لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غم لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولأبي داود وابن ماجه باسناد جيد من روايه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغم على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

بلى وأبيك إني بها
لحاذق قال فصفها لي
قال أبعده البشر وأعد
للدرو استقبل الشيخ
وأستدبر الريح وأقضى
إقضاء الظبي وأجفل
إجفال النعام يعني
استقبل أصول النبات
من الشيخ وغيره
وأستدبر الريح احترازا
من الرشاش والإقماء
هنا أن يستوفى على
صدور قدميه والاجفال
أن يرفع عجزه . ويقول
عند الفراغ من
الاستنجاء : اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
وطهر قلبي من الرياء
وحسن فرجى من
القواحش وبكره . أن
يول الرجل في الفتيل .
روى عبد الله
ابن مغفل أن النبي
عليه السلام : «نهى أن

« مظل النقي ظلم (١) » وقال عليه السلام « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه (٢) » والثاني الاستمانة على
تفسير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على
طاحنة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبي بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء
أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا
جندل قد عاقر الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة إذ كان قصده
أن ينكر عليه ذلك فينفضه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وإنما إباحة هذا بالتصديق الصحيح فإن لم يكن ذلك
هو المقصود كان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمحقق ظلمي أبى أو زوجتى أو أخى فكيف طريقى
في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن
التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم « إن أبا
سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكفيك
ووليك بالمعروف (٣) » فقد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها
الاستفتاء . الرابع تحذير السلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تعدى
إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سرابة
البدعة والفسق لا غيره وذلك موانع الضرر إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك
بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بيب
آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر للشترى وفي ذكره ضرر العبد والشترى أولى
بمراعاة جانبه وكذلك الزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطعنا وكذلك المستشار في
التزويج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لاعلى قصد الوقفة فإن علم أنه
يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالتصريح
ببنيه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه
حتى يعرفه الناس إذ كروه بما فيه حتى يخذره الناس (٤) » وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام
الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يهرب عن عيبه كالأعرج
والأعمش فلائم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يجرى مجراه
قد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن
قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال
للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخنث وصاحب
الساخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستكشف من أن يذكر
له ولا يكرهه أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلائم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مظل النقي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد يحل عقوبته وعرضه
أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الثريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هندا قالت إن
أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر الفاجر
اهتكوه حتى يعرفه الناس إذ كروه بما فيه يخذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى
من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن
أبي الدنيا في الصمت .

يول الرجل في مستحبه
وقال : إن عامة الوسواس
منه وقال ابن المبارك :
يوسع في البول في
الستح إذا جرى فيه
الساء وإذا كان في
البيان يقدم رجه
اليسرى لدخول الخلاء
ويقول قبل الدخول :
باسم الله أعوذ بالله
من الخبث والخبائث .
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي قال أنا
أبو منصور المقرئ قال
أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو
المهاشمي قال أنا أبو طي
اللؤلؤي قال أنا أبو داود
قال حدثنا عمر وهو
ابن مرزوق البصري
قال حدثنا شعبة عن
قنادة عن الضمر
ابن أنس عن زيد

« من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له (١) » وقال عمر رضی الله عنه ليس لأفاجر حرمة وأراد به الماهر بفسقه دون للستر إذ للستر لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة له؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به ووراء يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أنهم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج عن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا لعيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

(بيان كفارة القية)

اعلم أن الواجب على اللغاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله فيخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل للغاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبئ أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرأى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد تآمر معصية أخرى .

وقال الحسن يكفي الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتابه أن تستغفر له (٢) » وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من القية قال أن تثنى إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وثبت للمطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة التذليل قد اغتبت بها فاستحلها فاذا ن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبئ أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فان قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبائع في الثناء عليه والتودد إليه ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حنة محسوبة له يقابل بها سيئة القية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحال . قال سعيد بن المسيب لأحليل من ظلمني وقال ابن سيرين إنى لم أحرمها عليه فأحلها له إن الله حرم القية عليه وما كنت لأحلل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبئ أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فنقول المراد به العفو عن المظلمة لأن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل القية فإنه لا يجوز له أن يحال لعيره القية . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بعرضي على الناس (٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الحث والحباث » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أى يحضرها الشياطين وفي الجفوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتابه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمم والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى تصدقت بعرضي على الناس البزار وابن السني في اليوم والليلة والمعلى في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه ان لا اطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه وإلا فلا نصير النجعة حالاً به ولا تسقط المظلمة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجوع وخصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین** - فقال النبي صلى الله عليه وسلم **« يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك (١) »** . وزوي عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أهديت إلى من حسنتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لأقدر أن أكافئك على التمام .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هازم مشاء بنميم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنيم - قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنجعة دل على أنه ولد زنا استبطا من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنيم - والزنيم هو الدعوى ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لمزة - قيل الهمزة النمام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى - فغاثها فلم يخبا عنهما من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم **« لا يدخل الجنة نمام (٢) »** وفي حديث آخر **« لا يدخل الجنة قتات »** والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطنون أكتافاً الذين يأنفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله للشاؤون بالنجعة النمرقون بين الإخوان اللتسون للبرآء الثرات (٣) »** وقال صلى الله عليه وسلم **« ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاؤون بالنجعة المفسدون بين الأجنة الباغون للبرآء العيب (٤) »** وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة (٥) »** وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ **« أيمسا رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار (٦) »** وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإعساها ورجل من كان قبلنا كما عند البزار والعلقبى (١) حديث نزول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطنون أكتافاً الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصحبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاؤون بالنجعة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأضمرى وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في مكارم الأخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أيمسا رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء ،

عليه وسلم قال **« لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتاهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك »** ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عنى ما يؤذيني وأبقى على ما ينفعنى ولا يستصحب معه شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أني بكرى رضى الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فإني لأدخل الكنيف فأزرق ظهري وأغطي رأسى استحياء من ربى عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره] إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ^(١) » ويقال: إن ثلث عذاب القبر من التهمة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصرّ على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به ^(٢) » وروى كعب الأحبار أن بنى إسرائيل أصابهم حط فاستنق موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لأستجيب لك ولن معك وفيكم نمام قد أصرّ على التهمة فقال موسى يارب من هو دلتى عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن التهمة وأكون نماما فتأبوا جميعا فسقوا. ويقال اتبع رجل حكيا سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال: إنى جشك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقى منه وعن النار وما أحرّ منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أدل منه فقال له الحكيم: البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تتجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقى من الحجر والنمام إذا بان أمره أدل من اليتيم.

(بيان حدّ التهمة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم التهمة إنما يطلق في الأكثر على من يتم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست التهمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثلث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيبا وتقصا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة التهمة إفشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فدكره فهو نعمة وإفشاء للسر فإن كان ما يتم به تقصا وعيبا في المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والتهمة فالباعث على التهمة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه التهمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ملاءة عدوك أو تقييح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدق لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوماً بجهالة - الثاني أن ينهه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعلة قال الله تعالى - وأمر بالمعروف وانه عن النكر - الثالث أن يفضه في الله تعالى فإنه يفيض عند الله تعالى ويجب بغض من يفيضه الله تعالى. الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نيمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وقد تكون

يبتدىء بالسواك .
حدثنا شيخنا
أبو النجيب قال أنا
أبو عبد الله الطائي
قال أنا الحافظ الفراء
قال أنا عبد الواحد بن
أحمد اللادجى قال أنا
أبو منصور محمد بن
أحمد قال أنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن عبد
الجبار قال ثنا حميد بن
زنجويه قال ثنا يعلى
ابن عبيد قال ثنا محمد
بن إسحاق عن محمد بن
إبراهيم عن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن عن
زيد بن خالد الجهني
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لولا
أن أشق على أمتي
لأخرت العشاء إلى ثلث
الليل وأمرتهم بالسواك
عند كل مكتوبة »

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي

قد أتيت ما عنه نهيته . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بذي تقيوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - هاهنا مشاء بنميم - وإن شئت عفونا عنك فقال الفو يأمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا . وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قدأ بطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنابات بغضت أخى إلى وشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسًا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقعت في وقت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون التمام صادقًا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نهم إليك نهم عليك وهذا إشارة إلى أن التمسام ينبغي أن يفيض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يفيض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والعدو والحيانة والغل والحسد والتناق ولإفساد بين الناس والحديمة وهو ممن يسمون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق - والتمسام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشرة (١) » والتمسام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع ، قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس (٢) » وهو التمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضى الله عنه أن رجلا سعى إليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقًا مقتناك وإن كنت كاذبًا عاقبتك وإن شئت أن تقولك أقفلك فقال أقتنى يا أمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرًا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى عما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسبى أى لم أصدق فيما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم محمد الصادق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شئ فأخبر به كمن قبله وأجازة فاتقوا الساعى فلو كان صادقًا في قوله لكان ثيبًا في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هى التهمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة (٣) »

قالت سعد من دخلنى قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولاقتات وهو التمام لم جده هكذا بتممه ولأحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث وللنساء من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا شيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسكمنى تزبى قزيبت فقالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى فقال الله عز وجل لا سكنتك محنت ولا نائمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشرة متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شئ منها وقال له أسانيد هذا أمثها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن جبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس إلا وله بنى - وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبى بردة أبا الوليد القرشى .

وروت عائش رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل لا يسكوت أزم لأن الأسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للأصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعنى ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال إني مكلمك بأمر للؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراه ما أحب إن قبلته فقال قل فقال بإمر المؤمنين إنه قد اكتنفتك رجال اتباعوا دنياك بدنيهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما اتمنك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فاتهم لن يألوا في الأمة حسفا وفي الأمانة تضيمًا والأعراض قطعًا واتهاكا على قريهم النبي والنجمة وأجلّ وسألهم النية والوقعة وأنت مشول عما أجزموه وليسوا للثولين عما أجزمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غنبا من باع آخرته بدنيا غيره ، وصمى رجل زياد الأنجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتمنتك خاليا نختت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والام

وقال رجل لعمر بن عبيد بن الأسوارى ما يزال يدكرك في قصصه جسر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولا أديت حق حين أعلنتني عن أخى ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يمننا والقبر يضحنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يقيم عمله على أخذه لكثرتة فوقع على ظهرها السعاة قبيحة وإن كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن تقبل مهتوكا في مستور ولولا أنك في خفارة شيتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك فتوق بالملعون العيب فان الله أعلم بالغيب ، البت رحمه الله والقيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لئنه الله . وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيدا اسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم والثلثم واحفظ إخوانك وصل أقا ربك وآمنهم من قبول قول ساع أو صماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك . وقال بعضهم النجمة مبنية على الكذب والحسد والتناق وهي أمانى الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والتقول عنه أولى بحملك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النجمة قال قد رضيت فاشتراه فكش الغلام أياما ثم قال لزوجته مولاه إن سيدى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسجره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فسأل الله حسن التوفيق .

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذي اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يواقفه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين التناق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ^(١) » وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذي اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء
ويستاك عرضا وطولا
فان اقتصر فمرضا فاذا
فرغ من السواك فبسه
ويجلس لا وضوء
والأولى أن يكون
مستقبل القبلة ويبتدئ
ببسم الله الرحمن الرحيم
ويقول سرب أعوذ بك
من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن
يحضروني - ويقول عند
غسل اليد : اللهم إني
أسألك الجن والبركة
وأعوذ بك من الشؤم
والهلاكة ويقول عند
الضمضة : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأعني على تلاوة
كتابك وكثرة الذكر
لك ويقول عند
الاستنشاق : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأرحمني برأحة

صلى الله عليه وسلم « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث (١) » وفي لفظ آخر « الذى يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكفرون البغضاء لآخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تعلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاءء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا (٢) » وقال ابن مسعود لا يكونن أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة ؟ قال الذى يجرى مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جعلتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين إنه منهم فقال نصدتكم الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا تؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن مناققا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لانتهى إلى حد الاخوة إذ لو تحققت الصداقة لاقضت معاداة الأعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والأخوة ، نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجيمة إذ يصيرنهما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على المحق من المتعادين ويثنى عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لابن عمر رضى الله عنهما : إننا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا نفاق مهمما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو وقع بالتليل وترك المسال والجاه فدخل لضرورة الجاه والنقى وأثنى فهو مناقق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يبتنان النفاق في القلب كما ينبت الساء البقل (٤) » لأنه يهوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومرا آتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر حاز قال أبو الدرداء رضى الله عنه إننا لنكسر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجدون من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكفرون البغضاء لآخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تعلقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إننا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاه والمسال يبتنان النفاق في القلب كما ينبت الساء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الغناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض
ويقول عند الاستئثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويض
وجهى يوم تبيض
وجوه أوليائك
ولا تسود وجهى يوم
تسود وجوه أعدائك ،
وعند غسل اليمنى :
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وآتى كتابى
يمينى وحاسبى حسابا
يسيرا ، وعند غسل
الشمال : اللهم إنى أعوذ
بك أن تؤتيتى كتابى
بشمالى أو من وراء
ظهري ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضی الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذبنوا له فبئس رجل العشيبة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء شره (١) » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم فأما التباء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا للضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز التباء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

(الآفة الثامنة عشرة للدخ)

وهو منهى عنه في بعض اللواضع ، أما الدم فهو الغيبة والوقية وقد ذكرنا حكمها. والمدح يدخله ست آفات أربع في الساجح وانتان في المدح . فأما للساجح : فالأولى أنه قد يفرط فيتمسب به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا مانقا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دعا أخاه ليقبل أحسب فلانا ولا أزكي على الله أحدا حسبه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) » وهذه الآفة تنطبق على المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقولوه إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراه فأما إذا قال رأيت به صلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . مع عمر رضی الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أحاطته في البايعة والمعاملة قال لا ، قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا ، فقال والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح المدح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يفضب إذا مدح الفاسق (٣) » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يندم ليغتم ولا يمدح ليفرح . وأما المدح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وبها مهلكان قال الحسن رضی الله عنه : كان عمر رضی الله عنه جالسا ومعه الدرّة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن المنذر فقال رجل هذا سيد ريعة فسمعها عمرو بن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرّة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها له قال خشيت أن يخاطب قلبك منها شيء فأجبت أن أطأ طيء منك . الثاني هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وقرور رضی عنه نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذبنوا له فبئس رجل العشيبة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها.

(الآفة الثامنة عشرة للدخ)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بحوه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ الصنف (٣) حديث إن الله يفضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللوصلي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في اللباز منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشني رحمتك وأزل على من ركناك وأظنني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند مسح الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجملني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمى منادى الجنة الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فكّر ربقي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدم المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل

ومن أعجب. بنفسه قلّة تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا (١) » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ما سمعت قط شاء ولا مدحة إلا تصاغر إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراه إلى الشيطان ولكن للؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه (٣) » وقال عمر رضي الله عنه للذبح هو الذبح وذلك لأن للذبح هو الذي يفتن عن العمل وللذبح يوجب الفتور أو لأن للذبح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالتدحج فالتدحج شبه به فإن سلم للذبح من هذه الآفات في حق السادح والمدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح (٤) » وقال في عمر « لو لم أبت لمثت يا عمر (٥) » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦) » أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن انتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقراب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن للتبول عند الملك قبولا عظيما وإنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وتبصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذمّ اللذبح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت (٧) » لما أتوا على بعض اللوثي وقال مجاهد إن لبي آدم جلساء من اللاتسكة فاذا ذكر الرجل للسلّم أخاه للسلّم بغير قالت للاتسكة ولك بئله وإذا ذكره بسوء قالت للاتسكة يا ابن آدم للسنور عورتك اربح على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح .

(بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجومه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الحائجة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه مالا يعرفه للسادح ولو انكشف له جميع أسرارهم وما يجري على خواطره لكف السادح عن مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا ابن المبارك في الزهد والرفائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله. قاله لمن مدح رجلا لم أجد له أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم في المسلم (٥) حديث لو لم أبت لمثت يا عمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان بصدي نبى لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذى وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أتوا على بعض اللوثي متفق عليه من حديث أنس .

قدمي عن الصراط يوم
تزل فيم أقدم للناسين .
وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء
ويقول : أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا
عبد ورسوله سبحانه
اللهم وبمحمدك لا إله
إلا أنت عملت سوءا
وظلمت نفسي أستغفر
وأتوب إليك فاغفر لي
وتب علي إنك أنت
التواب الرحيم ؛ اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلني من
التوابين واجعلني من
المطهرين واجعلني
صبورا شكورا واجعلني
أذكرك كثيرا وأسبحك
بكرة وأصيلا .
وفرأض الوضوء :
النية عند غسل
الوجه . وغسل للوجه

أن يظهر كراهة للدخ بالذلال للمدح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوه المداحين (١) »
وقال سفيان بن عيينة لا يضر للدخ من عرف تسمه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء
لا يعرفوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا اتقرب إلى بعثتك وأنا أشهدك على
مقته . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يملون ولا تؤاخذني بما يقولون
واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه قال أتهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل
على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك .

(الآفة التاسعة عشرة)

الفلة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأموار الدين فلا يقدر على
تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن
الله تعالى يصفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ما شاء الله
وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت (٢) » وذلك لأن في العطف للطلق تسمية وتسمية وهو على
خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه في بعض الأمر
فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله عديلا بل ما شاء الله وحده (٣) » . وخطب
رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبها فقد غوى
فقال لول : ومن يصب الله ورسوله فقد غوى (٤) » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصبها
لأنه تسمية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله
ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعظمنا من النار
وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيبون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم
اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد ﷺ فقال حذيفة إن الله يفتي المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون
شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة
حمارا رأيتني خلقت ، خنزيرا رأيتني خلقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم يشرك حتى
يشرك بكابه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت (٥) » قال عمر
رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسموا العنب كرمائنا
الكرم الرجل المسلم (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم
عبدى ولا أمى كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامى وجاريقى وتأتى ولا يقول
الملك ربى . ولا ربى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوه المداحين التراب مسلم من حديث المقداد .

(الآفة التاسعة عشرة في الفلة عن دقائق الخطأ)

- (٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت
فقال أجعلتني لله عديلا بل ما شاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث
خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبها فقد غوى
الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه
(٦) حديث لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وحد الوجه من مبتدأ
تسطح الوجه إلى
منهى الذقن وما ظهر
من اللحية وما استرسل
منها ومن الأذن إلى
الأذن عرضا ويدخل في
الغسل البياض الذى
بين الأذنين واللحية
وموضع الصلع
وما انحسر عنه الشعر
وهما التزعتان من الرأس
ويستحب غسلهما مع
الوجه ويوصل الماء
إلى شعر التحذيف وهو
القدر الذى يزيله النساء
من الوجه ويوصل
للماء إلى المنقصة
والشارب والحاجب
والغدار وما عدا ذلك
لا يجب ثم اللحية إن
كانت خفيفة يجب
إرسال الماء إلى البشرة
وحد الخفيف أن ترى
البشرة من تحته وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفساق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطم ربكم»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا قلن يرجع إلى الإسلام سالما»^(٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما»^(٣) لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعايب وهي على طريق التكلم فإن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواقع لسان فصيح وعلم عزيز وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فساه بسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا يفتك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فتمن فكن ممن سكت فلم فالسلامة إحدى التقيتين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة وأحدثه ومن حقه الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس والنفوس خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به العقاب من الله عز وجل ويشترطون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعمتم»^(٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ما أكثروا عليه وأغضبوه فصعد النبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به قمام إليه فقال يارسول الله من أبي فقال أبوك حذافة قمام إليه شابان أخوان قتالا يارسول الله من أبونا فقال أبو بكر الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يارسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا قمام إليه عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحك الله إنك ما علمت لمونق»^(٥) وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل، الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ما أكثروا عليه وأغضبوه فصعد النبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، ولسلم من حديث أبي موسى قمام آخر فقال من أبي فقال أبو بكر سالم مولى شيبة . (٦) حديث النهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث القبرة بن شعبة .

كانت كيفية فلا يجب ويجتهد في تفتية مجتمع الكحل من مقدم العين . الواجب الثالث: غسل اليدين إلى المرققين ويجب إدخال المرققين في الصل ويستحب غسلهما إلى أنصاف المضدين ، وان طالت الأظافر حتى خرجت من ردوس الأصابع يجب غسل ما تحتها على الأصح . الواجب الرابع: مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلمس رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدّهما إلى القفا ثم يردّهما إلى الوضع الذي بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك ققولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تختموا السورة ثم لينفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما نزلت آية للتلاعين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على اللع من السؤال قبل أو ان استحقاقه إذ قال - فان ابتمنى فلانسألي عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذني بمناسبت ولا ترهقني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها وضع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاجمالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بمحروفه أهى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

﴿ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد ﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا يتكلم على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سيوه غضبه وسخطوته إلا الخائفون ، الذى استدرج عباده من حيث لا يعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلام بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يفضبون ، ثم حفرهم بالمكاره والذات وأمل لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنحن به جهنم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتنهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسر تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرزيين ، صلاة يوازي عددها عددها كان من خلق الله وما يكون ، ويعطى يركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأئدة ، وإتها المستكنة فى طى الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الذين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب قسد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتنى من نار وخلقته من طين - فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها خائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ، ويعالجه إن رسخ فى قلبه ويداويه ، فان

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال رواه البزار بإسناد جيد

﴿ كتاب الغضب والحقد والحسد ﴾

بلل الكففين مستقبلا
ومستديرا . والواجب
الخامس : غسل القدمين
ويجب إدخال الكعبين
فى التسل ويستحب
غسلهما إلى أنصاف
الساقين ويقنع غسل
القدمين من الكعبين
ويجب تخليل الأصابع
للتنفة فيخلل بمخصر
يده اليسرى من اطن
القدم ويبدأ بمخصر
رجله اليمنى ويختم
بمخصر اليسرى وإن
كان فى الرجل شقوق
يجب إيصال الماء إلى
باطنها وإن ترك فيها
مخينا أو شحما يجب
إزالة عين ذلك الشيء .
الواجب . السادس :
الترتيب على النسق
للدكور فى كلام الله
تعالى . الواجب السابع :
التتابع فى القول القديم

من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمرقة لا تسكنه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه . ونحن نذكر ضم النضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبمجموعها يان ضم النضب ثم يان حقيقة النضب ثم يان أن النضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم يان الأسباب الموجبة للنضب ثم يان علاج النضب بعد هيجانه ثم يان فضيلة كظم النبط ثم يان فضيلة الحلم ثم يان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وشأجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ضم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم يان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقتله في غيرهم وضعفه ثم يان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(يان ضم النضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ضم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن النضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلل لى أعقله فقال لا تنضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تنضب (٢) » وعن عبد الله ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يتقذى من غضب الله قال لا تنضب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى - وسيد او حصورا - قال السيد الذي لا يخلبه الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب (٧) » وقال يحيى لميسى عليهما السلام لا تنضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال لا تقن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم (٩) » وقال له رجل « أى شئ أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب رواه البخارى (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولا وأقلل الحديث نحوه أبو جلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعذني من غضب الله قال لا تنضب الطبراني في مكارم الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وضم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط باسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم البزار وابن عدى من حديث ابن عباس لئلا يدخله إلا من شق غيظه بمصيبة

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء .

[وسن الوضوء ثلاثة

عشر]

التسمية في أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والضمضة والاستنشاق والبالغة فيها فينزع في الضمضة حتى يرد الماء إلى الفاصحة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس إلى الحياشيم ويرفق في ذلك إن كان صائما وتخليل اللحية السكنة وتخليل الأصابع المنفرجة والبسداء بالميا من وإطالة القرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال فما يعدني عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من اللاتكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالثؤدة وإياك والعجلة فانك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومته فأراد الشيطان أن يضلّه فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فمّ يحبه فقال افتح فاني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه فقال إني أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم تقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدبر اقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما قلب الصبيان الكرة وقال خيثة الشيطان يقول كيف يظلمني ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائمه الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يحجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بنزامة فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونميه بما لا يقدر عليه وقيل للحكيم ما أملك فلا لنفسه قال إذا لاندله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبدالله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال طي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بعز السلطان فأنا لك اليوم ماتاله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحمى في التنابير المسجورة فأقول الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاده إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في قوة وإحسان في قدرة وتجمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبدرو ولا يسرف ولا يقترى بغير إذنا ظلم ويففو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبمه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون

والثالث ، وفي القول الجديد التابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلمط وجهه بالماء لطما ، وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء ماتيبر وإلا فمكروه .

[الباب الخامس]
والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أدبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أي شيء أشد على قال غضب الله قال فما يعدني من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشرط الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

معى فى درجتى ويكون بصدى خليفى فقال شاب من القوم انا ثم اعد عليه فقال الشاب انا اوفى به فلما مات كان فى منزلته همد وهو ذوالكفل سمى به لانه تكذل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منه للكفر اربعة اركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والوثنان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم سماه فى كتابه . أما السبب الداخلى فهو انه ركه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخارا يتصاعد منها فلوم يتصل بالرطوبة مند من الغذاء يجبرها انحل وتبخر من أجزاءها لفسد الحيوان خلق الله الغذاء الوافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبعه على تناول الغذاء كالموكل به فى خير ما انكسر وسد ما اثم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية شور من باطنه فتدفع للمهلكات عنه خلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الانسان ومحجها بطيئته فهما صدد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتملت نار الغضب وثار ثورانها يخلى به دم القلب وينشر فى العروق ويرتفع الى أعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وإنما ينسبط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما توجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذبات قبل وقوعها وإلى الدثني والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفریط والافراط والاعتدال . أما التفریط فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه إنه لاحمية له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن قد قوت الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم - جاهد الكفار والنافقين واغلظ عليهم - الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة الضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته فى الفطرة صورة غضبان وبين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما أسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يقبحون بشقى الفيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذى لأصبر على للكر والمحال ولاأحتمل من أحد أمرا ومعناه لاأعقل فى ولاأحلم ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضيف الغضب حمرة فى قلب ابن آدم ولأبى داود من حديث عطية السعدي أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار.

الوسوسة فى الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
الؤمن والجوارح إذا
كانت فى حماية الوضوء
الذى هو أثر شرعى يقل
طروق الشيطان عليها.
قال عدى بن حاتم
ما أقيمت صلاة منذ
أسلمت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك « قدم النبي
عليه الصلاة والسلام
المدينة وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لى : يا بنى إن استطعت
أن لا تزال على الطهارة
فافعل فإنه من أتاه
الموت وهو على الوضوء
أعطى الشهادة فشان
العاقل أن يكون أبدا
مستعدا للموت ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن الحصرى

في معرض الفخر بجعله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب
ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع
بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدِر إذ ينطق بنور العقل وينمحي في الحال
بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم
إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بينه
وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوده وحسب مستقره
وامتلاء بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضئيف فاعمى أو انطفأ نوره فلا ثبت فيه قدم ولا يسمع
فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل وامن خارج بل يفتنى أن يصبر إلى
أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى
الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهب أعاليه على
أسفله وذلك لا بطل النار ما في جوانبه من القوة المسكة الجامعة لأجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب
وبالحقيقة فالسيفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة
من النفس الضطربة غيظا إذ في السفينة من يحال لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب
فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عماء الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير
اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى
يظهر الزبد على الأشداق وتعمر الأحداق وتقلب المناخر وتستحيل الحلقة ولورأى الغضبان في حالة
غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستعالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح
ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما أصبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً فتغير
الظاهر ثمرة تغير الباطن قفس الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالثتم
والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قائله عند تصور الغضب وذلك مع
تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهمج والتمزيق والقتل والجرح عند
التمكن من غير مبالاة فان هرب منه الغضوب عليه أوفاته بسبب وهجز عن التشفي رجح الغضب
على صاحبه فزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو العدو الواله السكران
والدهوش التحير وربما سقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويحتربه مثل
العشبة وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصة مثلا على الأرض وقد يكسر السائفة إذا
غضب عليها ويتماطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول إلى متى منك هذا
يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في
القلب مع الغضوب عليه فالحدق والحمد وإضمار السوء والثناء بالمشآت والحزن بالسرور والعزم
على إنشاء السروتهك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب للفرط وأما
ثمرت الحمية الضعيفة فتلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من
الأخساء وصغر النفس والقماء وهو أيضا مدموم إذ من ثمراته عدم الفيرة على الحرم وهو خونة
قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لغيري وأنا غير من سعد وإن الله أغبر مني (١)» وإنما خلقت
الفيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الفيرة

أنه قال مهما أتتبه من
الليل لا يعملى النوم
إلا بسد ما أقوم
وأجدد الوضوء ثلاثا
يعسود إلى النوم
وأنا على غير طهارة
وصمعت من صحب
الشيخ على بن الهيثمي
أنه كان يقعد الليل
جميعه فان غلبه النوم
يكون قاعدا كذلك
وكما أتتبه يقول
لأكون أسأت الأدب
فيقوم ويجدد الوضوء
ويصلى ركعتين .
وروى أبو هريرة أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لبلال
عند صلاة الفجر «يا بلال
حدثني بأرجى عمل
عملته في الاسلام فانى
سمعت دفن نعليك بين
يدي في الجنة» قال ما
عملت عملا في الاسلام

(١) حديث إن سعدا لغيري الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث المفيرة

في رجالها وضمت الصيانة في نساءها ومن ضعف الغضب الحور والسكوت عند مشاهدة للسكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها (١) » يعني في الدين وقال تعالى - ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله - بل من قد الغضب هجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الخبيثة فتفقد الغضب مذموم وإنما المحمود يغضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها (٢) » فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الصيرة وخسة النفس في احتمال الدل والضيم في غير عمله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحدم من السيف فان هجز عنه فيطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الاتيان بالخير كله ينجي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور عمو الغضب بالكيفية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تصدو ظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالحلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقى الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بكمروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الانسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ماهو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والظمان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لنضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا مزاحم على التصدر في المجالس ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الانسان ومكراهه فأكثرت غضبه وكما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن ربيعة
وزاد الدين إذا غضبوا رجعوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم.

أرجى عندي أن لم
أظهر طهرا في ساعة ليل
أونهار إلا صليت لربى
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لى أن أصلى
ومن أدبهم في الطهارة
ترك الاسراف في الماء
والوقوف على حد العلم.
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح
الهروى قال أنا أبو نصر
الترياقي قال أخبرنا
أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذى قال حدثنا
محمد بن بشار قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن بن عبي
ابن ضمرة السعدى عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخط رتبة وأتقص لأن الحاجة صفة قصص فمهما كثرت كثرت النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى يتسبى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يضطرب لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور والعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن جبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيغضب على من يهرقه ويفرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق للكتيب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق فيها (١) » ومن كان بصيرا بمخائيق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلندكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه ليندم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما مع أصل العيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه الغيظ في الباطن وينتهي ضغفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا ينعمه من الغيظ استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج جبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا مجرد جبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويعجز جها عن قلبه ولو كان للإنسان قلب لا يجبه لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى النع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يرام مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح واللوت من الله عز وجل فيندفع الغضب بضربة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الحيرة وربما تكون الحيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لأنه يرى أن الحيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحول معتظفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الانتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق فيها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذاق فيها قال الترمذي حسن غريب .

صلى الله عليه وسلم أنه قال « للوضوء شيطان يقال له الوهان فاتقوا وسوس الساء » قال أبو عبد الله الروذباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرنبي أنه أصابته جنابة ليله من الليالي وكانت عليه مرقعة فحين غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحزنت نفسه عن الدخول في الساء لشدة البرد فطرح نفسه في الساء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أترعها من بدني حتى تجف على فمكشت

فانه كان يغضب حتى تعمّر وجنتاه (١) حتى قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأبما مسلم سبته أولنته أو ضربته فأجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) » وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالله يبعثي بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه (٣) » فلم يقل إنى لا يغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أى لأعمل بموجب الغضب « وضبت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير (٤) » ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحمانى على الشر ، وقال على رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يتم لتضبه شيء حتى يتصره (٥) » فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضروره قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأنما غضب لله فلا يمكن الاتسكك منه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيها هو ضرورى إذا كان القلب مشغولاً بضرورى أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لا اشتغاله بغيره فان استغرق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بماعدها ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيتى فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيتى لم يضرنى ما تقول فقد كان همهم صروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خيثم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرنى ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولاً بالظن في تقصير نفسه عن أن يتقى الله حتى تفاته ويعرفه حتى معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يا امرأتى فقال ما عرفنى غيرك فكأنه كان مشغولاً بأن ينقى عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقى الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعي فقال إن كنت صادقاً ففقر الله لى وإن كنت كاذباً ففقر الله لك فمذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لا اشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغاب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور قد الفيط إماماً اشتغال القلب بهم أو بظلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يخاطب فيطنى شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تعمّر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما حاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد تقدم ومسلم من حديث أنس إنما أنا بشر أرى كآرى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبى جلى من حديث أبى سعيد أوضرت به (٣) حديث عبدالله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالله يبعثي بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب للدنيا الحديث الترمذى في النجاشى وقد تقدم .

عليه شهراً لخجتها
وغلظها أدب بذلك
نفسه لما حررت عن
الانتهاز لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبد الله كان يحث
أصحابه على كثرة شرب
الماء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
الماء ضعف النفس
وإماتة الشهوات وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفية الاحتياط في
استيقاظ الماء للوضوء
قيل كان إبراهيم
الحواص إذا دخل
البادية لا يحمل معه
إلا ركوة من الماء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ للماء
للوضوء وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
السكوفة ولا يحتاج إلى

محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب الزايع عن القلب مخلص من أكثر أسباب الضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتصفه فيه فيضف الضب بسببه ويهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب للمهجة للضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الضب ، وقد قال يحيى لميسى عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تضب قال فما يبدى الغضب وما يبدته قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب للمهجة للضب هي الزهو والمجب والمزاح والمهزل والمهزء والتعير والمارة والاضادة والعدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن تميمت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمفرك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالاضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما المزاح فتزيله بالتشاغل باللمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المهزل فتزيله بالجد في طيب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملكك إلى سعادة الآخرة . وأما المهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخدر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترضا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يتفكر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلهم الترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم اللواظبة على مباشرة أضرارها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفا هينة على النفس فإذا اعتدت عن النفس فقد زكيت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الضب عند أكثر الجهال تسميتهم الضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الضب عن الأكارب في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكارب فيهرب الضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لضعف النفس وتقصانها وآية أنه لضعف النفس أن الرضا أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من السكران وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى إنه يضرب على أهله وولده وأنحابه بل القوى من يملك نفسه عند الضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الضب » (١) بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والرفق وما استحسن منهم من كظم القبط فان ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والملماء وأكابر الملوك الفضلاء وشد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

التيتم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب . وقيل إذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى . وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه في الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهراني جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فزاراه أحد منهم أنه دخل الخلاء لأنه كان يقضى حاجته إذا خلا الموضوع في وقت يريد تأديب نفسه ، وقيل مات الخواص في جامع الرى في وسط الماء وذلك أنه كان به علة البطن وكما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

(بيان علاج الغضب بمد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فسنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه الذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمجموع العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والغفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام وينظف عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه قلت يا أمير المؤمنين - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان واقفا عند كتاب الله مهماتى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخطى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين الغيظ - فقال لتلامه خل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون إلى الغفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحك فيمن أمحك . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الاممعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسكين واخش اللوت واذا ذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسمي في هدم أغراضه والشتمات بصائبه وهو لا يخلو عن الصائب فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولأنواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تقشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحلیم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء ويغير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عاداتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمتنع من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وضرا النفس والقلة والمهانة وتصبح حقيقا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أمحيتك تأنيبين من الاحتمال الآن ولاتأنيبين من خزي يوم القيامة والانتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغرى في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبى أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فصالحه وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو اتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبى أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

الوضوء والطهارت قول
كان إبراهيم بن آدم به
قيام قمام في ليلة
واحدة نيفا وسبعين
مرة كل مرة يجدد
الوضوء ويصلى ركعتين
وقيل إن بعضهم أدب
نفسه حتى لا يخرج
منه الريح إلا في وقت
البراز يراعى الأدب
في الحلووات واتخاذ
النديل بعد الوضوء
كرهه قوم وقالوا إن
الوضوء يوزن وأجزه
بعضهم ودليلهم
ما أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن على ذل أنا أبو الفتح
الهروى قال أنا أبو نصر
قال أنا أبو محمد قال
أنا أبو العباس قال
أنا أبو عيسى الترمذى
قال حدثنا سفيان بن
وكيع قال حدثنا عبد الله

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأثقابها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جرة توقد في القلب (٣) » ألم تروا إلى اتفاح أو داجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يفضل أن ينقل فان النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء قائماً الغضب من النار (٤) » وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينيه واتفاح أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس القل وتزائل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت طي اليمن قال لي أبي أليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد ابن حباب عن أبي معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقه ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء . وروى معاذ ابن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاه الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة والأخلاق المذمومة لا الاستقصاء في طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصراني لا يحترزون عن الحر وأجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ متفق عليه من حديث سليمان بن سرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يسبقان فأحدهما احمر وجهه واتفتحت أوداجه الحديث وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأثقابها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والدعوات (٣) حديث إن الغضب جرة توقد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليش بن أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحمد باسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والمرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم فقال يا بأذر بلقي أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكئ وإن كنت متكئاً فاضطجع (١) وقال الضعربن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطى هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطى هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطى هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا النضب إنك لست بالله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بضعك بضعاً فكن بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أى لا تهطل الحدود . وغضب المهدي على رجل فقال شيب لا تضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سييله .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلكم من عفا عند القدرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية - ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً (٤) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى (٥) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يا أبا الحمراء في خصومة بينهما فباع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في العفو ومن النضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعمية فعيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات .

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاته الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشر الأول من رواية عبد الرحمن ابن عجلان مرسل باسناد جيد وللبراز والطبراني في كرام الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم أمسككم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمناً وإيماناً بن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه .

على الظاهر وأصل
الطهارة وقد كان
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يصلون على الأرض من
غير سجادة وعشون
حفاة في الطرق وقد
كانوا لا يعملون وقت
النوم بينهم وبين التراب
حائلاً وقد كانوا
يقتصرون على الحجر
في الاستنجاء في بعض
الأوقات وكان أمرهم في
الطهارة الظاهرة على
التساهل واستصاؤم
في الطهارة الباطنة
وهكذا شغل الصوفية
وقد يكون في بعض
الأشخاص تشدد في
الطهارة ويكون مستند
ذلك رعونة النفس فلو
انتسخ ثوبه تهرج ولا
يبالي بما في باطنه من
الغل والحقد والكبر

غِيظُهُ بِمِصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى (١) « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةٍ غِيظَ كَظْمُهَا عَبْدٌ وَمَا كَظْمُهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا (٢) » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رِءُوسِ الْخَلَائِقِ وَيُغَيِّرُهُ مِنْ أَى الْحَوَرِ شَاءَ (٣) » الْآثَارُ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْهُ مِنَ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غِيظُهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَارُونَ . وَقَالَ لِقَمَانِ لَابَنِهِ : يَا بَنِي لَا تَنْهَبِ مَاءَ وَجْهِكَ بِالسَّأَلِ وَلَا تَشْفِ غِيظَكَ بِفَضِيحَتِكَ وَاعْرِفْ قَدْرَكَ تَنْفَعَكَ مَعِيَّتِكَ . وَقَالَ أَيُّوبُ حَلِمٌ سَاعَةَ يَدْفَعُ شَرًّا كَثِيرًا ، وَاجْتَمَعَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو خَزِيمَةَ الْبِرُّ بُوَعَى وَالْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ فَتَدَا كَرُوا الزَّهْدَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْجُرْعِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَا تَقْضَى بِالْعَدْلِ وَلَا تَطْعَى الْجُرْزُلُ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ خُذْ الْعَهْوُ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ - فَهَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ فَكَمَا كَانَتْ نَارًا فَاطْفَأْتَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْمَلُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاهُ فِي الْبَاطِلِ وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَخْرُجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَإِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْسَى قَالَ لَا تَغْضَبْ قَالَ لَا أَقْدَرُ قَالَ فَإِنْ غَضِبْتَ فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ وَيَدَكَ .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائته وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداءه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّمِ وَالْحِلْمُ بِالْتَحْلِمِ وَمَنْ تَغَيَّرَ الْخَيْرُ يَعْطِهْ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْقَهُ (٤) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ اكْتِسَابَ الْحِلْمِ طَرِيقُهُ التَّحْلِمُ أَوَّلًا وَتَكْلِفُهُ كَمَا أَنَّ اكْتِسَابَ الْعِلْمِ طَرِيقُهُ التَّحْلِمُ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ لِيَنْوَالُوا مَنْ تَعْمَلُونَ وَمَنْ تَعْمَلُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَابَةِ الْعُلَمَاءِ فَيُغْلِبُ جَهْلَكُمْ حِلْمَكُمْ (٥) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ التَّكْبُرَ وَالتَّجَبُّرَ هُوَ الَّذِي يَهِيجُ الْغَضَبَ وَيَمْنَعُ مِنَ الْحِلْمِ وَاللَّيْنِ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ ﷺ « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزِينِ بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنِي بِالْمَافِيَةِ (٦) » وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا وَمَاهِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تَصَلُّ مِنْ قَطْعِكَ وَتَمْطِي مِنْ حَرَمِكَ وَتَحْلِمُ عَنْ جَهْلِكَ (٧) »

(١) حديث ابن عباس إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقي غيظه بمصية الله تقدم في آفات اللسان
(٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبدا وما كظمها عبدا إلا مالا الله
قله إيمانا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلف من حديث ابن عمر وحديث
الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعه الله على
رؤوس الخلائق حتى يغيّره من أى الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الهرداء بسند
ضعيف (٥) حديث أبي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة التلمذ
بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم اغنى بالعلم وزين بالحلم وأكرمى بالتقوى وجملى بالمافية لم أجده
أصلا (٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهى؟ قال تصل من قطعك وتمطى من حرمك وتحلم عن جهلك وقد تقدم .

والمعجب والرياء والنفاق
ولمعه ينسكر على
الشخص لو دلس
الأرض حافيا مع وجود
رخصة الشرع ولا
ينكره عليه أن يتكلم
بكلمة غيبة يجرّب بها
دينه وكل ذلك من قلة
العلم وترك التأدب
بصحبة الصادقين من
العلماء الراسخين وكانوا
يكرهون كثرة الدلك
في الاستبراء لأنه ربما
يسترخى المرقق ولا
يمسك البول ويتولد
منه القطر للفرط .
ومن حكايات المتصوفة
في الوضوء والطهارات
أن أبا عمرو الزجاجي
جاور بمكة ثلاثين سنة
وكان لا يتغوط في الحرم
ويخرج إلى الحل وأقل
ذلك فرسخ . وقيل
كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والوالتطير^(١) » وقال على كرام الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه يكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته^(٢) » وقال أبو هريرة « إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مما دعت على ذلك^(٣) » قال صلى الله عليه وسلم « الل يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ إني قد غفرت له^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان إذ أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني^(٥) » وقيل في قوله تعالى - زبائين - أي علماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا - لا ما - قال علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح - يحشون على الأرض هونا - أي حلا وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكهلا - قال الكهل منتهى الحلم. وقال مجاهد - وإذا صرخوا بالنعوم وكراما أي إذا أذوا صرخوا. وروى « أن ابن مسعود مر بلفوم معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما^(٦) » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا يدركني ولا أدرك زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنة العرب^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليليني منكم ذؤاب الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيات الأسواق^(٨) » وروى « أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشعق فأناخ راحلته ثم عقلمها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حنين قلبسهما وذلك بين

(١) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطير أبو بكر بن أبي عاصم في الثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية ملبع بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث على إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني في الأوسط بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عابه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بأسنادين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين لم يسمه وقال أظنه أبو ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علي بن زيد وأبو ضمضم ليس له محبة وإنما هو متقدم (٥) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم الحديث تقدم في آفات اللسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بلفوم معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث ليليني منكم أولو الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فمسي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود .

قرح لم ينسدل اثني عشر سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبضمهم نزل في عينه الماء فحملوا إليه اللداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال اللداوى يحتاج إلى ترك الوضوء أيما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء .

[الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها]

روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أشج خلقين مجبها الله ورسوله قال ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلطان تخلفتهما أو خلطان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين مجبها الله ورسوله (١) وقال **عليه السلام** «إن الله يحب الحلِيمَ الحَمِيَّ النَّفِيَّ التَّعْتَفُفَ أَبَا الْعِيَالِ التَّقِيَّ وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ السَّائِلَ لِللَّحْفِ النَّفِيَّ» (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تمتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفه وخلق يعيش به في الناس» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتاقم الملائكة فيقولون لهم إن اتراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين» (٤) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخبر أن يكثر مالك وولدك ولكن الخبر أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا يتباهى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صيفي دطامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر . وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لاشوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم تهدوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع ؟ قال تعرضهم عن عرضك ليوم قهرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الحلِيم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن أبي العاص أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فظفر الله لك وإن كنت صادقا فظفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعمر بن أبي العاص أي الرجال أشجع قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسخى في حوائجهم فمن فعل فعل فيهم مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتقضيا فنكس الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يعبد من الله عز وجل وحمله على النسم والتوبة

(١) حديث يأنشج إن فيك خصلتين مجبها الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحلِيمَ الحَمِيَّ النَّفِيَّ التَّعْتَفُفَ أَبَا الْعِيَالِ التَّقِيَّ الحَمِيَّ النَّفِيَّ التَّعْتَفُفَ النَّفِيَّ من حديث سعد بن عبد الله التميمي الذي في كتاب الإيجاز بأسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد لين وقد تقدم في آداب الصحبة (٤) حديث إذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البيهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ملا عين رأته ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب جر قال لها تكلمى قالت - قد أفلح للؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن المهيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل لدلولك الشمس حين زالت وصلى بي الظهر» اشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو التنازل والخشبة الموجهة إذا أرادوا تعويها تعرض على النار ثم تقوم وفي الصلح اعوجاج لوجود قسه الأمانة بالسوء وسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصب بها

ودرجوعه إلى مدح بعد القسم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أركه فأخشي أن يقال لي إن تركك له ذك قال جعفر إنما الدليل الظالم وقال الحلبي بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه قد جعل له حاجز من قلبه برده عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بجليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم برحم ومن صمت يلم ومن يجهل يظلم ومن يسجل يخطيء ومن يحرص على الشر لا يلم ومن لا يدع للراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يخذله الله يخذل ومن يستن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من نفسي إنني إذا ضلت ذلك أهديت لك حسنا . وقال بعض العلماء العلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبئك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي ومر السبع ابن مريم عليه الصلاة والسلام قوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا قال كل ينفي مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحلبي إلا عند التضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له قدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرضت للسائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مضيا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطمع فطقت دجاجة على للسائدة فأفسدت ما عليها فلم يضرب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجسه فلم يضرب قبيل له في ذلك فقال أقتنه مقام حجر تثررت به فذبحت العضب وقال محمود الوراق:

سأزم نفسي الصنح عن كل مذنب وإن صكرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لأثم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالعلم حاكم

(بيان التقدير الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ^(١) » وقال « المستبان ما قال فهو على البادي ما لم يمتد المظلوم » وقال « المستبان شيطانان يتهاوران ^(٢) » وشم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتصرمه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكنا لما شتمني فلما تكلمت قلت تال لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان ^(٣) »

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث للمستبان شيطانان يتهاوران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتصرمه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري للرسول أصح .

الصل من وهج
السلوة الإلمية
والعظمة الربانية
ما يزول به اعوجاجه
بل يتحقق به معراجيه
فالمصلى كالمصلى بالنار
ومن اصطفى نار الصلاة
وزال بها اعوجاجه
لا يمرض على نار جهنم
إلا غلة القسم . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أحمد بن إسماعيل
القزويني إجازة قال أنا
أبو سعيد محمد بن أبي
العباس بن محمد بن أبي
العباس الحلبي قال أنا
أبو سعيد الفرخزادى
قال أنا أبو إسحاق أحمد
ابن محمد قال أنا
أبو القاسم الحسن بن
محمد بن الحسن قال أنا
أبو زكريا يحيى بن محمد
العنبري قال ثنا جعفر
ابن أحمد بن الحافظ

وقال قوم يجوز للقبالة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بمثله
 نهى تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يصح به والذي رخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلا من
 بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى
 أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة
 من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
 يا جاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سي الحاق يا صفيق الوجه
 يا ثلأبا للأعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحرقت في عيني بما
 فعلت وأخزك الله واتمم سنك . فأما النجعة والنجية والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى
 أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد ما إن ما يتنا لم يبلغ
 ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس
 بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في
 ابنة أبي نعامة والنبي صلى الله عليه وسلم تأم فقال يا بنات آحيمين ما أحب قالت نعم قال فآحي هذه فرجعت
 إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسامني
 في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني وأنا ما أكنة أتظن أن يأذن لي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) « حتى أنك لا تقاومينها في الكلام قطوق لها سيبتها ليس المراد به الفحش
 بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها باصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « المسببان ما قاله أفضل
 البادي منهما حتى يتدى للظلم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يتدى فهذا القدر هو الذي أباحه
 هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
 تركه فإنه يجره إلى ماوراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أسر
 من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه
 في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يغد على الدوام والناس
 في الغضب أربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضابطي الوقود بطي الخمود
 وهذا هو بطي الوقود سريع الخمود وهو الأهمد ما لم يته إلى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود
 بطي الخمود وهذا هو شرم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه تلك (٤) » وقال
 الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى لم يرض فهو شيطان وقد قال
 أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات حتى
 فمنهم بطي الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى فذلك بتلك ومنهم سريع
 الغضب بطي الرضى ألا وإن خيرهم البطي الغضب السريع الرضى وشرم السريع الغضب البطي الرضى (٥) »

قال أنا أحمد بن نصر
 قال ثنا آدم بن أبي
 إياس عن ابن صمان
 عن الصلاء بن
 عبد الرحمن عن أبيه
 عن أبي هريرة رضي
 الله عنه أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال « يقول
 الله عز وجل قسمت
 الصلاة بيني وبين
 عبدي نصفين فإذا قال
 العبد بسم الله الرحمن
 الرحيم قال الله عز وجل
 محبتي عبدي فإذا
 قال الحمد لله رب العالمين
 قال الله تعالى محبتي
 عبدي فإذا قال
 الرحمن الرحيم قال الله
 تعالى أنبي على عبدي
 فإذا قال مالك يوم
 الدين قال فوض إلى
 عبدي فإذا قال إياك
 نصب وإياك نستعين
 قال هذا بيني وبين

(١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى في ذات الله عز وجل تقدم في العلم
 (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني
 أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي نعامة الحديث رواه مسلم (٣) حديث المسببان ما قاله أفضل
 البادي الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تختم .
 (٥) حديث أبو سعيد الخدري ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يماقب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يتعدى الواجب ولأنه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيًا لغيظه ومرمحا نفسه من أم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذ به وعززه فشمته السكران فرجم عمر قبيل له بأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرتك لكان ذلك لغضبى لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لعاقبتك .

(القول في معنى الحقد وتأنيبه وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لمجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استنماله والبغضة له والنفاق عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم « للؤمن ليس بمحقد » (١) فالحقد ثمرة الغضب والحقد ثمرة الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتفتم بِنعمة إن أصابها وترسمصية إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارًا . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تنصى الله به ولكن تستقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يمرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القربين فللمحقد ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويرى عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمن ليس بمحقد تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

سبدي فاذا قال ساهدنا
الصرراط للستيم
صرراط الدين أنمت
عليهم غير الغضوب
عليهم ولا الضالين -
قال الله تعالى هذا
لجدي ولجدي ما سأل
فالصلاة صلة بين الرب
والعبد وما كان صلة
بينه وبين الله خلق
العبد أن يكون خاشعا
لصلاة الربوية على
العبودية وقد ورد أن
الله تعالى إذا تجلى
لشيء خضع له ومن
يتحقق بالصلاة في الصلاة
تلع له طوابع التجلي
فيخشع والفلاح للذين
هم في صلاتهم خاشعون
وباتقاء الحشوع ينتفى
الفلاح وقال الله تعالى
- وأقم الصلاة لذكري -
وإذا كانت الصلاة
لذكر فكيف يقع

النيظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل بنسوة قال الله تعالى - وأن تعفوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث وأقضى نفسى بيده لو كنت حلاقا لحلفت عليهن مائة من ماله من صدقة فتصدقوا ولاعفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله لإلزامه الله بها عزا يوم القيامة ولانتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يرحمكم الله والصدقة لا تزيد للمال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله (٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم يقهك من محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضبا وما خيرين أمرين إلا اختار أيسرهما. مالم يكن إثمًا (٣) » وقال عقبه « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أوبدني فأخذ بيدي فقال : يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أيّ عبادك أعزّ عليك قال الذي إذا قدر عفا (٥) » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعزّ الناس قال الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يرحمكم الله (٦) » فآبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا مشر للموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض (٧) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى - لا تحربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلى وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء ولا بحضور عقل والنافل يصلى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخضع نفسك إنك بالوادي للقدس طوى - قيل نفسك همك بمرأتك وغمك فالاهتمام بعرف الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذي نفسى بيده إن كنت حاقفا لحلفت عليهن ما نهضت صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ومسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد العبد إلا رفة فتواضعوا يرفعكم الله الأصهباني في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذي في الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبه بن عامر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعزّ عليك قال الذي إذا قدر عفا الخرائطي في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث إن المظلومين هم الفلاحون يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الخنفي مرسل (٧) حديث أنس إذا بعث الله عزّ وجلّ الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا مشر للموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ في كتاب البصرة والنذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة بأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة رحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا المظالم بينكم ومواجكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوحيد ليهب بعضكم عن بعض وعلى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادق الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا قول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تشرى عليكم اليوم بغير الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) « قال فخرجوا كأنما نضروا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سهيل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا مشرك قريش ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله قول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تشرى عليكم اليوم بغير الله لكم - (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله أجر ؟ قال العاقون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألما فيدخلونها بغير حساب (٣) « وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله غفويحب الغزو ثم قرأ - وليمضوا وليصنعوا - الآية (٤) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الجور العين حيث شاء من أذى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعنا عن قتادة قال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٥) « . الآثار: قال ابراهيم التيمي إن الرجل ليلظننى فأرحمه وهذا إحسان وراه الغزو لأنه يشتغل قلبه بعرشه لمصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتحف عبدا قبض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فبجل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنت ظلمته فان شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسمعكما غفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظلمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركك بعمله وقل أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال بلننا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقيم فيقوم أهل الغزو فيكاتفهم الله بما كان من غفوم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن المنذر رجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فصفا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فصاقبه وقال :

غفوا للولك عن العظيم من الذنوب بفضلها
وقد تصاقب في اليسير وليس ذاك لجلهها

(١) حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادق الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزى في الوفاء من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى له على الله أجره على الله قال العاقون عن الناس الحديث الطبرنى في مكارم الأخلاق وفيه النفل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله غفويحب الغزو الحديث أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبرانى في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف .

- الدين هم في صلاحهم
خاشعون - جنوا
وجوههم حيث
يسجدون وما رؤى بعد
ذلك أحد منهم ينة .
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« إن العبد إذا قام إلى
الصلاة فانه بين يدي
الرحمن فاذا التفت قال
له الرب إلى من تلمت
إلى من هو خير لك منى
ابن آدم أقبل إلى فأنا
خير لك ممن تلمت
إليه « وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يبث بلحيته في
الصلاة فقال لو خضع
قلب هذا خضعت
جوارحه « وقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا صليت

إلا يعرف حلها ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وقد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله قتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقامت بأمر المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليتم فلا يقوم إلا من عفا قال والله لقد سمعته من الحسن قلت والله لسمعته منه قال خلتنا عنه. وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنكم فليكنم بالصفح والإيصال. وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرايت ذا القرنين؟ كان نبيا؟ فقال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كفي فيه: كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لعد. وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر اتقى ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا. وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بمنى الحقد والغضب. وأتى هشام رجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بمحبته فقال له هشام وتكلم أيضا؟ فقال الرجل بأمر المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفجادل الله تعالى ولا تسكلم بين يديك كلاما. قال هشام بلى ويحك تكلم. وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين ثقيل لهما فاقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة. وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدرهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد حلت وإنها لم يفتحها فاجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فيبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه. وقال الفضيل ما رأيت أزهدهم من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام ليظوف فسرق دينار كانت معه فجعل يبكي فقلت ألقى الدينارين تبكي؟ فقال لا ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجة فبكتي رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من يهيم إياه وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالم يلقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أيها الأمير ماذا صنع الله به؟ أذاله منهم ورفع ذكره وأعلى كفته وجعله على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكل له أمره وجمع له أهله - قال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - مرض للحكم بالفوف عن أصحابه قال الحكم فأننا أقول لا تريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبى هذا لو أريتمكم تحته وكتب ابن القفيع إلى صديق له يسأله الفوف عن بعض إخوانه فلان هارب من زله إلى غفوك لائمذ منك بك. واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد الفوف فضلا. وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من الفوف فضا عنهم. وروى أن زيادا أخذ رجلا من الحوارج فأقلت منه فأخذ أخا له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرايت إن جئت بك كتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فأننا آتيتك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يقبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزروا زورا زورا أخرى - فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد أهن حجه. وقيل مكتوب في الإنجيل من استعصر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

فصل صلاة مودع
فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودينه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان الصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها السنة يدعوها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والهيئات في تملقات يتضرع سائل محتاج فإذا دعا بكليته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادع - ونى استجب لكم - كان خالد الرامي يقول عجبت لهذه الآية - ادعوني استجب لكم - أمرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة

(فضيلة الرفق)

اعلم أن الرفق محمود ويضادّه العنف والحدّة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدّة الغضب وقد يكون سببها شدّة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من الثبوت فالرفق في الأمور ممرّة لا يشرها إلا حسن الخلق ولا يمن الخلق إلا بسبط قوّة الغضب وقوّة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة (١)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على الحرق وإذا أحبّ الله عبداً أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى (٣)» وقالت عائشة رضی الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف (٤)» وقال ﷺ «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دهم على باب الرفق (٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «من يحرم الرفق يحرم الخير كله (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «أبما والى فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل حين سهل قريب (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بمن والحرق شؤم (٩)» وقال ﷺ «التأني من الله والمعجلة من الشيطان (١٠)» وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان سوى ذلك فاته (١١)»

(فضيلة الرفق)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والعتيلي في الضعفاء في ترجمة عيد الرحمن بن أبي بكر اللبكي وضمه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (٢) حديث إذا أحبّ الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دهم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أيما زال ولي فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولي من أمر أمّتي شيئاً فرفق بهم فرفق به (٨) حديث تدرون على من يحرم النار على كل حين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في آداب الصحبة (٩) حديث الرفق بمن والحرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلامها ضعيف (١٠) حديث التأني من الله والمعجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد لفظ الأمانة من الله وقد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فاذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرفاق من حديث أبي جعفر

هي تؤذ دعاء العبد
فإن الداعي الصادق
الما لم يمن بدعوه بنور
يقينه فتخرق الحجب
وتقف الدعوة بين
يدي الله تعالى متقاضية
للحاجة وخص الله
تعالى هذه الأمة بأزوال
فاتحة الكتاب وفيها
تقديم الثناء على الدعاء
ليكون أسرع إلى
الاجابة وهي تعليم الله
تعالى عباده كيفية
الدعاء و فاتحة الكتاب
هي السبع الثاني
والقرآن العظيم قيل
سميت مثنى لأنها نزلت
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
بكل مرة نزلت منها فهم
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضی الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه (١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عمله فأمرهم أن يوافقوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورعته وليس جهل أبغض إلى الله ولا أنعم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه رزق العافية بمن هودونه. وقال وهب بن منبه الرفق نبي الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للمؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينة العلم وما أحسن العلم بزينة العمل وما أحسن العمل بزينة الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله : ما الرفق ؟ قال أن تكون ذأناة فتلاين الولاية . قال فما الحرق ؟ قال معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفیان لأصحابه تدرن ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج اللفظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالملا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت نداء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في عمله حسنا كما أن الرفق في عمله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألد من الزيد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن المشتب مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل عظمى . أو كاد أن يكون عظيما وإن من لا ينفعه الرفق يضره الحرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك العالی ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يهطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا نداء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على التدور وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجاح معه في الأكثر .

هو السمي عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل للمؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب الثواب فضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القاضي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف .

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرأها على التردد مع طول الزمان فهم آخروه هكذا المصلون المهققون من أمته يتكشف لهم عجائب أسرارها وتنفذ لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثاني لأنها استنتجت من الرسل وهي سبع آيات وروت ثم رومان قالت رآني أبو بكر وأنا أميل في الصلاة فزجرني زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود فان تكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الثميمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه وعمراته « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباعدوا ولا تبادروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فلم فلما كان الفد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لآحيت أبي فأقسمت أن لأدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يغم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكردت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ماهو إلا ما رأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجون من أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالهرج من ذلك إذا ظننت فلا تحمقي وإذا تطيرت فامضي وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحاقلة لأقول حاقلة الشعر ولكن حاقلة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تبادروا ولا تباعدوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البرار وصلى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن طيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والظن والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف ولطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع التفاق قيل وما خشوع التفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب ». أما عبد اليهود قيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقلته ما في باطنهم فكان يهين الأمور ويكظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلى التوراة بالذهب ، ووقع لي والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهيب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نجات

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يظلب القدر » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم : إنه سيصيب أمي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشتر والبطر والتكاثروا التنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم المهرج » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم : لا تظهر الشهامة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » (٣) « وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا قنطبه بمكانه فقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يجبره باسمه فلم يجبره وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يعبد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يحق والدبه ولا يمسي بالخميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمى منسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم : أخوف ما أخاف على أمي أن يكثر فيهم للمال فيتحاسدون ويقتلون » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم : استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم : إن نعم الله أعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم : ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصية والدهاقين بالتكبر والتجار بالحيانة وأهل الرستاق بالجهالة والطاء بالحسد » (٧) « الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على ربيته فأبى أن يسجد له فعمله الحسد على العصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إيالك والسكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإيالك والحرس فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإيالك والحسد ثامن ما قتل

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية قهم بالاستملاء وللقلب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره قهايلوا من غير حظ لبواظهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل اليوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وقابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهيا » واعلم أن الله تعالى

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يظلب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه سيصيب أمي داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الأشتر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الشهامة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك الترمذي من حديث وثالث بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي طاهر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد إن محمدا أخاف عليكم من بدعي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البدرى والله ما الفقرا أختى عليكم ولكني أختى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ولسلم من حديث عبد الله بن عمرو وإدافتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدبرون الحديث ولأحمد والبراز من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث إن نعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل الم حسادا فأحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور الحديث وفيه والطاء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكرت النجوم فاسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يضئ بعض اللوك فيقوم بمخذاء الملك فيقول أحسن إلى الحسن باحسانه فإن السوء سيكفيك إساءته حسده رجل على ذلك للتمام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بمخذاك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نادى منك وضع يده على أذنه لئلا يسم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه نوم فخرج الرجل من عنده وقام بمخذاء الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن باحسانه فإن السوء سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يسم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذهب واسلخه واحش جلده تبنا وابتس به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقية الرجل الذي سمي به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فأنه الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذهب وسلخه وحشا جلده تبنا وابتس به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فغضب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقمي فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يديك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه نوم فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفي السوء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بن يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا . وقال أبو الدرداء ما أكثر عبيد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمته فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إمامتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق . وقال أعرابي ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك تقمة عليه . وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا منمة وذلا ولا ينال من اللاتسكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا .

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداهما أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخلص باسم اللاناسة وقد تسمى للنافسة حسدا والحسد منافسة وبوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بمد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يقيظ

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الخمس
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد
كفر » بالصلاة تحقيق
العبودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائر إلى
تحقيق سر الصلاة .
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتكميل
الفرائض ويحتاج إلى
النوافل لتكميل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتكميل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والذي ذكره
سهل هو معنى ما قال
عمر على المنبر إن
الرجل ليشيب عارضاه
في الإسلام وما أكل
له صلاة قيل وكيف

والنافق يحسد^(١) فاما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستمين بها على تهيج الفتنة وافساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراحتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد لو أمنت فسادها لم يضر بك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عندر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراحتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسكتم حسنة نسوّم وإن تصبكم سيئة يفرّحوها - وهذا الفرح ثماتة والحسد والثماتة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن حبيهم زوال نعمة الايمان حسداً وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فكفروا نساء - وكره الله تعالى حسداً إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اتقوا يوسف وأطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أيكم - فلما كرهوا أحب أيهم له وساءم ذلك وأجوا زواله عنه فقبوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا تضيق صدورهم به ولا يفتنون فأتى عليهم بدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يجدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أوتوا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نساءك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله الامانصرتنا^(٢) . فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله بغياً - أى حسداً . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمي ماتقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة^(٣) فهذا حكم الحسد في التحريم . وأما المناقصة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المناقصة والناقصة بدل الحسد

ذالك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واتباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن الصلي ليشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم الصلي من يتاجى ما التفت أو ما انقل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات لله ملائكة في الركوع منذ خلقهم لله لا يرضون من

(١) حديث المؤمن يضبط والنافق يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نساءك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن اسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمي ماتقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً

دل ثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرها على الصدقة قال لعل حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمر كما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تقسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإعمال السابقة عند خوف الموت وهو كالمبدئين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يعطى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلّم الناس (٢)» ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال «مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعله في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذامنه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتفقه في مثل ما أتفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمني للنصبة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاجرج على من يضبط غيره في نعمة ويشئى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنفعة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالنصبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالنفاق الأموال في السكارم والصدقات فالمنفعة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنفعة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في اللبايات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا يحل له أن يحب زوال النقصان وإتمام زوال نقصانها إما أن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

(١) حديث قال ثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرها على الصدقة قال لعل حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمر كما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تقسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإعمال السابقة عند خوف الموت وهو كالمبدئين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يعطى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلّم الناس (٢)» ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال «مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعله في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذامنه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتفقه في مثل ما أتفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمني للنصبة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاجرج على من يضبط غيره في نعمة ويشئى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنفعة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالنصبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالنفاق الأموال في السكارم والصدقات فالمنفعة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنفعة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في اللبايات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا يحل له أن يحب زوال النقصان وإتمام زوال نقصانها إما أن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والتعود والعباد للتيقظ بتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلى أن يمكث في ركوعه متلذذا بالركوع غير مهم بالرفع منه فإن طرقة سامة بحكم الجيلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الحشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يترامى للراكع الحق أنه إن سبق همه في حال الركوع أو السجود إلى

إلى اختياره لسمى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيحسب عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بقوله ودينه والله للذي بقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يفتك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة (١) » ثم قال « وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ » أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تسلم به مبيد أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيجوز عنها ثم يفتك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجادل بحالة ترجيحها له على دوامها فهذا الحد من النافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن محتاط فيه فانه موضع الخطر وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المخطور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان محرکه خوف التفاوت وظهور قصائه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لارخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعني عنه في ذلك ما لم يسلم به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه . وأما امرأته فأربع : الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الحب . الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لانتم غيره بها . الثالثة : أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما . الرابعة : أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المفهوم عنه إن كان في الدنيا والندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فتمنيه مثل ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم .

(بيان أسباب الحسد والنافسة)

أما النافسة فسيبها حب ما فيه النافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسيبه حب مباحات الدنيا والتتم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومداخله كثيرة جدا ولكنه يحصر حملتها سبعة أبواب : العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من قوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وغفلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل بحسد الحسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعمرة نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب . السبب الأول : العداوة والبغضاء وهذا أحد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي الهيئة حقا فيكون همه الهيئة مستغراقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيات فذلك يتوفر حفظه من بركة كل هيئة فان السرعة التي يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف في مهاب النفحات الإلهية حتى يتكامل حظ العبد فتحمي آثاره بحسن الاسترسال ويستقر في مقعد الوصال . وقيل في الصلاة أربع هيات وستة أذكار فالهيات الأربع القيام والقعود والرکوع والسجود والأذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا يفتك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة .

(بيان أسباب الحسد والنافسة)

فان من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشنى والاستقام فان حيز البغض عن أن يتشنى بنفسه أحب أن يتشنى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بنية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بفضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مرادهم وربما يحظر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنتم عليه. وبالجملة فالحسد يلزم البغض والملاوة ولا يفارقهما وإنما غاية التقى أن لا يفي وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنساناً ثم يستوى عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصفه الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور - إن تمسكتم حنة تؤم - الآية ، وكذلك قال تعالى - سودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يغضى إلى التنازع والتقاتل واستتراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزز وهو أن يتقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله أو ولاية أو علماً أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطبق تكبره ولا تسمح نفسه باحتيال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلاً ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الاتقياد له وللناجبة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويرتفع عن متابته أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه من التكبر والتعزز كان حسداً أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأ على رؤسنا فقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يتقل علينا أن نتواضع له وتتبعه إذا كان عظيماً وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كالاتقار لهم والألفة منهم. السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا - وقالوا - أنؤمن لبشرين مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - فتهجوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم لحسدوم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الحلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين - أبش الله بشرا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى - أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية . السبب الخامس : الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتراحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الافراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التراحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في التراحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمسال وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى اللال

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن النخيرة قال أنزل على محمد وأرك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن همير الثقفي سيد قيف فحس عظماء القريتين فأزل الله فيها بغض هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنها قالوا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن همير الثقفي وهو صيف .

عشرة كلمة تحرق هذه العشرة على عشرة صفوف من اللاتكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركبتين ما يفرق على مائة ألف من اللاتكة .

[السبب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب]
ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بها وأدابها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلينا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال في كل شيء من ذلك إذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والابحاز القصود فتقول وبالله التوفيق : ينبغي لعبد أن يستعمل الصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بيلة واحدة إذا كان غرضهما نيل اللال بالقبول
عندهم وكذلك تحاسد العالمين المزاحمين على طائفة من للتفقه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة
في قلوبهم لتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير
توصل به إلى القصد وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظر في فن من الفنون إذا غلب
عليه حب التناء واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد المهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير
له فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه
في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو روية أو غير ذلك مما يتفرد به ويفرح
بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات القصد
سوى محض الرياسة بدعوى الافراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب
الناس لتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم . السبب السابع :
خبث النفس وشحها بالحير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا
وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبدأ يحب الإدبار لغيره
ويشغل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يشغل بمال
نفسه والشحيح هو الذي يشغل بمال غيره فهذا يشغل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس وذالة في الطبع عليه وقعت
الجبلة ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة تصور زوالها فيقطع في
إزالتها وهذا خبث في الجبلة لاعتن سبب عارض فتصير إزالته إذ يستحيل في العبادة إزالته فهذه هي
أسباب الحسد وقد مجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد
بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة بل ينهك حجاب المجاملة وتظهر العداوة
بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلا يتجرد سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب)

وتأكد وقلة في غيرهم وضغه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تسكر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإنما يقوى بين قوم مجتمع
جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يتمتع عن قبول
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولنير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تسكر بين أقوام تجتمعهم
روابط مجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه
في غرض من الأغراض تفرطه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فند ذلك يريد أن يستحقه
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وترادف
جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنايتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك
في محلتين ، ثم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد توارد على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثار به أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد
البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

تقبل دخول وقتها
بالوضوء ولا بوقع
الوضوء في وقت الصلاة
فذلك من المحافظة
عليها ويحتاج في معرفة
الوقت إلى معرفة الزوال
وتفاوت الأقدام لطول
النهار وقصره ويصير
الزوال بأن الظل مادام
في الاتصاف فهو
النصف الأول من النهار
فاذا أخذ الظل في
الازدياد فهو النصف
الأخر وقد زالت الشمس
وإذا عرف الزوال وأن
الشمس على كم قدم
تزل يعرف أول الوقت
وأخره ووقت العصر
ويحتاج إلى معرفة
للنازل ليعلم طلوع الفجر
ويعلم أوقات الليل
وشرح ذلك بطول
ويحتاج أن يعرفه باب
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأة تحسد ضرمتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يتراحمون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزيون وإنما يتراحمه فيه بزاز آخر إذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها ويتفرد بهذه الحصلة ولا يتراحمه العالم على هذا الفرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التراحم بينهما على مقصود واحد أحسن فأصل هذه المحاسنات العداوة وأصل العداوة التراحم بينهما على غرض واحد والتفرغ الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسلين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يساهمه في الحصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على التراحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل العلوم الواحد يله ألف عالم ويفرح بمعرفة ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ونعمة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم النزلة عند الله ولا تضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة لقاءه وليس فيها محاسنة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم ، نعم إذا قصد العلماء بالعلم للمال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لاحتماله فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يعتلى قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يعمل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلوملك الانسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه لمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسأته صار ذلك ألد عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحميا فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من قدرته بل زادت قدرته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة محاسن الملوك على الهدوم أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجمته معرفته التي هي صفة ذاته بأمن زوالها وهو أبدا يبقى تمارها فهو بروحه وقلبه مفتد بما كنه علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطفها ثانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من خلق إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا لماذا يظن بهم عند انكشاف النطاء ومشاهدة المحبوب في العقب فأذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مصايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الراتبية في ذلك سر و حكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشمت باطنه وتفرق همه لما يلج به من الخالطة من الناس وقيامه بهم للمعاش أو سهو جري بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينحذب باطنه إلى الصلاة ويتشأ للداجاة ويذهب بالسنة الراتبية أثر الغفلة والسكندورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطسرق النفحات ثم يجود التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة السكبار

صفات للبعدين عن سمة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتناء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرد وعصى فقد عرفت أنه لاحد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لازمة فيها ولتة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله ومحامد ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقر عينك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العنين لا يشاق إلى لذة الوقاع والعبي لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يخلص بآدابها أكهار الرجال دون الصبيان والهنئين فكذلك لذة المعرفة يخلص بآدابها الرجال - رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يشاق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذى ينقى مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تدوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينفع به فيها ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوً ونفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بحق حكته فاستكرت ذلك واستبشمته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غشيت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا ووال نعم وهذه خباثت في القلب تأكل حسنة القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تعذب به ولا تزال في كد وغم إذ أعداؤك لا يخلهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تتصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً منتعاب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبه الأعداء لك ونشبهه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجرت في الحال محتك وغمك تقداً ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءمته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير تقع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلاحية في دفعه بل كل تى عند بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكاني من الأنبياء من امرأة ظالمة مسئولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تقضى أيامها أى ما قدرناه في الأزل

والصائر مما أوماً إليه
الشرع ونطق به
الكتاب والسنة
والخاصة ذنوب حال
الشخص فكل عبد
على قدر صفاء حاله له
ذنوب تلائم حاله ويعرفها
صاحبها وقيل حسنة
الأبرار سيئات المقربين.
ثم لا يبلى الإجماع قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « تفضل
صلاة الجماعة صلاة
الغد بسبع وعشرين
درجة » ثم يستقبل
القبلة بظاهره والخصرة
الإلهية يباطنه ويقرأ
- قل أعوذ برب
الذاس - ويقرأ في نفسه
آية التوجه وهذا
التوجه قبل الصلاة
والاستفتاح قبل الصلاة
لوجه الظاهر بانصرافه
إلى القبلة وتخصيص

لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقباله فيها ومهما نزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بمحسدي ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء تستفيه أولا لنفسك فانك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - وذكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد به الحسود لا يكون ، نعم هو يشل بارادته الضلال لغيره فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بمحسودك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباطة لكل واحد من حمق الحساد أيضا يشتهي أن ينص بهذه الخاصة ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تنزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها . وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاشبه إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنية والتدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه : أعنى أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تنزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وقفت للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أم أغراض الخلق مساواة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فلتت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد
لازلت محسودا على نعمة فأنما الكامل من يحسد

فرض عدوك بضمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده لما أنت فيها تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصدیق عدوك إذا تطايت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع مع عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مضموما عند الخالق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب الهبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك بخلاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب بفرضه إليك حتى لاتلحقه بحبك كما لم تلحقه بملك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ^(١) » وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم رفع
يديه حذو منكبيه
بمخيت تكون كفاه
حذو منكبيه وإبهاماه
عند شحمة أذنيه
ورءوس الأصابع مع
الأذنين ويضم الأصابع
وان نشرها جازواضم
أولى فانه قبل النشر
نشر الكف لاشتر
الأصابع ويكبر ولا
يدخل بين باء أكبر
ورائه ألفا ويجزم أكبر
ويجعل اللد في الله ولا
يبالغ في ضم الهاء من
الله ولا يتسدى
بالتكبير إلا إذا
استقرت اليدان حذو
اللكبين ويرسلهما مع
التكبير من غير تقص
فالوقار إذا سكن القلب
تشكلت به الجوارح
وتأيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنتم من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بختهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يا رسول الله الرجل يحب الصلبيين ولا يصل ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) » وقال رجل لمعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فإن لم تستطع فلا تفضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قوت عليك ثواب الحب ثم لم يفتح به حتى بنض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى آتعت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم ونحب أن يخطى في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتجب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يعرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الأثم وعذب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه (٣) » أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع الداخر الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبنة قد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بمالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقه اليمنى فيقامها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعمها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حاله في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم نفوت إلا العينين ولو بقيتا لقاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالآثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عنه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقطع المهيب النار فانظر كيف اتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الآثم نعمة والسلامة من التهم والكمد نعمة قد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى - ولا يحق للمكر السبي - إلا بأهله - وربما يتلى بين ما يشتهي لعدوه وقلما يشمت بشامت بمساءة إلا ويتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضی الله عنها : ما عنيت له ثمان شيئا إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقواحيش في التشفى من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة ، فهذه هي الأدوية العلوية لهما تنفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفاة نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه . وأما العمل الدافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فيبغى أن يكلف نفسه تقيضه فان بثه الحسد على القدرح في محسوده كلف لسانه اللدح له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بثه على كفى الإنعام

والأسوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا ييب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلى الصلاة بينها . وحكى عن الجنيد أنه قال لكل شئ صفوة وصفوة الصلاة التكبير الأولى وإنما كانت التكبير صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة . قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو وإن كثرت لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وإنه قل . وسئل أبو سعيد الخراز كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال هو أن تجلس على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
 (٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصلبيين ولا يصل الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال الرمة مع من أحب .
 (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه لم أجد له أصلا .

عليه أئزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه لهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك للواقعة التى تقطع مادة الحسد لأن التواضع والتناء وللدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب للنعم عليه ويستترقه ويستعطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخراً ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأتيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة وهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل الهامة تكلفا كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتمل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد ونغم التباغض فهذه هى أدوية الحسد وهى نافعة جداً إلا إنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع فى الدواء الرقن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون فى العالم شئ على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إذلا مطمع فى أن يكون ما يريد وفوات الرادذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثانى فلهجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكى فأما الدواء الفصلى فهو يتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يفتى وسيأتى تفصيل مداواة هذه الأسباب فى مواضعها إن شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا يتقنع المرض إلا بتقنع السادة فان لم تقنع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى وبطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده فانه مادام محبا للجهاد فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والنزلة فى قلوب الناس دونه وبغمه ذلك لا محالة وإنما غاية أن يهون ألم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكن والله الموفق.

(بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب)

اعلم أن للؤذى ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثب على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالكىة إلا أنك ياطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لاصفة الفعل قال الله تعالى - ولا يجحدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواء - وقال - إن تمسكتم حسنة نسؤم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح ثم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو مصيبة بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأئزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما فى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك فى أغلب الأحوال أكثر من هذا فماتتير الطبع ليستوى عنده للؤذى والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو نصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدى الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدى من أنت واقف فانه الملك العظيم . وقيل لبعض العارفين كيف تكبر التكبير الأولى فقال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك فى الله العظيم مع الألف والهيبة مع اللام والراقبة والتقرب مع الهاء . واعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء وامتلاً باطنه نورا وصار الكون بأسره فى فضاء شرح صدره تكردلة بأرض فلاة

ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواه قد يتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بين واحدة وهي عين الرحمن ويرى الكل عباد الله وأصلهم أفضال الله وبرام مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعنى الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتهم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وثلاثة لا يغلونهن للؤمن وله منهن مخرج فخرج من الحسد أن لا يغنى « والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنع من النسي والإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يعد أن يعنى عن العبدى إرادته إساءة مسلم وإشماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حيك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمت تفكك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثانى أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت انفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعملوا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يبق مرجوها بخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بحماتها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصلها ثم هى فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا قبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيتها خاسرة بآرة وآفاتنا على التوالى لصدور طلابها راشقة ومجاري أحوالها بدل طالبها ناطقة فكل مفرور بها إلى التلصص مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الحرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يغلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن اللغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم وتعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهى خداعة مكاراة طيارة فرارة لا تزال تترزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبائها كثرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشمت لهم عن مكنون محبابها فأذاقتهم قوائم محامها

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

ثم تاتي الحردلة لما يغشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل في الباطن من الكون الذى صار بمثابة الحردلة فألقت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالمة العظمة والغيوبة في ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالمة العظمة والقلب يتحيز بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده التقي يده اليسرى ويجهلها بين السرة والصدر واليمين

ورشقتم بصواب منيها، بينا أصحابها منها في سرور وإناهم إذولت عنهم كأنها أضفأت أحلامهم عكرت عليهم بدواهيها فطحنهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلت عليه للشمس جلتة حصيدا كان لم يخن بالأمس تغي أصحابها سرورا وتقدم فرورا حتى يأملون كثيرا ويبينون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجههم بورا وسعيهم هباء مشورا ودعاؤهم ثورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهير وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أماعداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأماعداوتها لأوليائه الله عز وجل فإنها تزيت لهم بزيتها وعمتهم زهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وأماعداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فتصنم بشيكتها حتى وتقواها وعتولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتوا منها حسرة تقطع دونها الأكداء ثم حرمتهم السعادة أبدا لأباد فهم على فراغها يتحسرون ومن مكابدها يستغيثون ولا يثابون بل يقال لهم - اخسوا فيها ولا تسكعون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشروورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأفعال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو العين على ما يرتضيه .

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها شربة ماء (١) » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٢) » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فميتها (٣) » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضربا آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما يبقى على ما يبقى (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة (٥) »

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال آرون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاموعالم ومتعلم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبخاري والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا .

لكرامتها تجعل فوق اليسرى ويمد للعبة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى - فصل ربك وانحر - قال إنه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك أن تحت الصدر عرفا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحرأى استقبال القبلة بنحرك وفي ذلك سر خفي يكشف به من وراء أستار الغيب وذلك أن الله تعالى بلطف حكته خلق الأدمى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد حبه ونجته ما في أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا ولمسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يتحدرون على مسأته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئا ولم أرعه أحدا قللت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا ثبات لي قلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت منى لم يفلت منى من بعدك ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا هجبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار العرور ^(٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلوا إلى الدنيا وأخذ خرفة قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا ^(٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والياب ^(٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة فلا تتعشوها بعدى فان من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتكها ألقا عبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهاها حزنا طويلا وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا يذعنكم فيها للملوك والنساء فأما للملوك فلا تنازعوهم الدنيا فأنهم إن يرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما للنساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طلبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بئنه . وقال موسى بن يسار قال النبي ^(٥) « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ^(٥) » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال لرب ما بعد من بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال : لتسيح في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسيح في صحيفة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لهاكم التكار يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ^(٦) »

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئا للحديث البراز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث يا هجبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار العرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسل (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمي مرسل وفيه بقية بن الوليد وقد عنقه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بنى إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث لهاكم

وعمائه روحانيا
وجسمانيا أرضيا وسماويا
منتصب القامة مرتفع
الهيئة فصفه الأعلى
من حدائق الاستودع
أسرار السموات ونصفه
الأسفل مستودع
أسرار الأرض فحمل
نفسه ومركزها النصف
الأسفل وحمل روحه
الروحاني والقلب
النصف الأعلى لجواذب
الروح مع جواذب
النفس يتطاردان
ويتحاربان وباغتبار
تطاردهما وتغالبهما
تكون لمة الملك ولمة
الشیطان ووقت الصلاة
يكثر التطارد لوجود
التجاذب بين الإيمان
والطبع فيكشف
للصلى الذى صار قلبه
مماويا مترددا بين
الفناء والبقاء لجواذب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وعليها يمادى من لاعلم له وعليها يحسد من لاقه له ولها يسعى من لايقين له (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال: هالما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وقررا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا (٢) » وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أو دية المدينة فاذا مزبلة فيها رءوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرس كحرسكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي سائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الحرق البالية كانت رياضهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكا على الدنيا فليكن قال فما برحنا حتى اشتد بكأونا (٣) » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يادنا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وترينت لهم إني قذفت في قلوبهم بنضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدوى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا التوريسى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يا لئيم إني لم أرضك لهم في الدنيا وأرضك لهم اليوم (٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهاها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يحاطبه فقال له قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع ماني بطني من الأذى فقيل للملك قل له في أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحيين أنوام يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشيخير (١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لاعقل له دون بقيته وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد (٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبرانى في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أو دية المدينة فاذا مزبلة الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجد باقية

النفس متصاعدة من
مركزها وللبجوارح
وتصرفها وحركتها
مع معاني الباطن
ارتباط وموازنة
فبوضع الحنى على الشمال
حصر النفس ومنع
من صعود جوازبها
وأي ذلك يظهر بدفع
الوسوسة وزوال
حديث النفس في
الصلاة ثم إذا استوت
جوازب الروح
وتعلقت من الفرق
إلى القدم عند كمال
الأنس وتحقق قرة
العين واستيلاء سلطان
الشاهدة تصير النفس
متهورة ذليلة ويستتير
مركزها بنور الروح
وتقطع حينئذ جوازب
النفس وعلى قدر
استنارة مركز النفس
يزول كل العبادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤس بهم إلى النار . قالوا يا رسول الله مصلين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه « للؤمن بين محافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود المبد من نفسه لنفسه ومن دينه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لمومه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي تسمى يده ما بعده للوت من مستحب ولا بعد الدين من دار إلا الجنة أو النار (٢) » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم للماء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لروح عليه السلام بأطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لميسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت (٣) » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمه أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالمثل والتجبر ولا الذق إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا بالاتباع الهوى لأن ذلك الأمان منكم نصبر على الفقر وهو يقدر على الثنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على القتل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا (٤) » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بيدفاتها ذافيا امرأة فنادى عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجك يوم القيامة مائة حوراء خاتمتها يدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتفره ويأمنها ويشقها وتخذله ويل للآخرين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والحطاي عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « يا موسى مالك ولدنا الظالمين إنما ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا العامل يحمل فيها فعمت الدار هي يا موسى إنى مرصد للظالم حتى أخذ منه للمظلوم » . وروى « أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لجيئ أنوم يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤس بهم إلى النار الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضيف أيضا (٢) حديث المؤمن بين محافتين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع (٣) حديث احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي مرسل وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قاله الذهبي لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسل وفيه إبراهيم الأشمث تكلم فيه أبو حاتم .

ويستغنى حينئذ عن متاومة النفس ومنع جوازها بوضع العين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ بوجهه وجبهى - الآية وهذا التوجه إنقالوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قلبه ثم يقول سبحانه اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وعحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن

فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم صمتم أن أبا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتافسوها كما تتافسوها قهلكم كما أهلكتهم (١) « وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قليل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا (٢) « وقال عليه السلام « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا (٣) « فهسى عن ذكرها فضلا عن إصابة عنها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأنفة والطرق فقال يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدانوا فقالوا ياروح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادم يجيوك فلما كان الليل أشرف على نذر ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب ليك ياروح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك ؟ قال بعبنا الدنيا وطاعتنا أهل العاصي قال وكيف كان حكمك للدنيا ؟ قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيوني قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا مطلق على شفيع جهنم لأدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس السوح والنوم على الزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضاء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه (٤) « وقال عيسى عليه السلام من الذي يبني على موج البحر دار تلجم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة (٥) « ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم حرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم وتركتهم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يظنون فبغضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها عفاة مما في عاقبتها مالكم لا تحابون ولا تتاصحون وأنتم إخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بحمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبي سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسل (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضاء لا تسبق الحديث وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبراني دون قوله ولهانت الخوزاد والحرجتم إلى الصعدات الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلذذتم بالنساء على الفراش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى
لأحسنها إلا أنت
واصرف عن سيئها
فانه لا يصرف عن
سيئها إلا أنت ليك
وسمديك فالخير
كله يديك تباركت
وتعاليت أستغفرك
وأثوب إليك ويطرق
رأسه في قيامه ويكون
نظيره إلى موضع
السجود ويكمل القيام
باتصاب القامة ونزع
يسر الانطواء عن
الركبتين والخواصر
ومعاطف البدن
ويقف كأنه ناظر
بجميع جسده إلى
الأرض فهذا من
خشوع سائر الأجزاء
ويتكون الجسد
بتكون القلب من
الخشوع وبراوح بين
القدمين بمقدار أربع
أصابع فان ضم الكعبين

على البر لتحايتهم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه وبينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفقون بخير الآخرة وشرها كما توفقون بالدنيا لآترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للاجل منها تكفون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تندركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأتونا لنبين لكم ولربكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذرکم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها الصائب وتقيمون فيها المآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم بضعكم بعضا بالسرور وكلكم بكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبئت من اعينكم على الدمن وتصافيتهم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصاركم فان كان فيكم خير فقد أسمتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على تسمى وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا مشر الخواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجالا بأدنى الدين قد تنعوا وما أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ^(١) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تر كنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ، وموسى عليه السلام برجل وهو يركب ورجع وهو يركب فقال موسى يارب عبدك يركب من مخاتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فانتفاه وعرف الدنيا فرضاها وعرف الآخرة فظلمها وقال الحسن : رحم الله أرواما كانت الدنيا عندهم ودبعة فأدوها إلى من اتتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نهره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا ، وقال الفضيل طالبت فكرتى في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جزوا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبغ في شئ من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداه يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يغرق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب للنية ويبعد الأمانة . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

(١) حديث لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

هو الصغد للهي عنه ولا يرفع إحدى الرجلين فانه الصفن للهي عنه هي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصغد وإذا كان الصفن منبها عنه ففي زيادة الاعتماد على إحدى الرجلين دون الأخرى معنى من الصفن فالأولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ، ويكره اشتغال الصماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويعتقب السدل وهو أن يرخى أطراف الثوب إلى الأرض فيه معنى الخيلاء وقيل هو الذى ياتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويدجد كذلك وفي معناه ما إذا جعل

ومن بحمد الدنيا لم يهي بسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فان عيشها
نكد وصوفها كدر وأهاها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم :
من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أم ترى
النم كأنها منضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على
الحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يترك حب الدنيا وإنما قال
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتبعه حتى يترجم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ :
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في مطابه فأخذك ، وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب يفتى والآخرة من خرف يبقى لكان يفتى لنا أن نختر خرفا يبقى على ذهب يفتى
فكيف وقد اخترنا خرفا يفتى على ذهب يفتى ، وقال أبو حازم يا كم الدنيا فانه يفتى أنه يوقف العبد
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحدمن
الذئب إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها قالت استكوا عن ذكرها فلو لموقع من قلوبكم
ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لإبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :

زرع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نزرع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعمها
كعبان بنى بيانه فأفامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذلك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابنّ بع دنياك بأخرتك ترجعها جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا .
وقال مطرف بن الشخير لا تنتظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظمهم
وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء
للكافر فالؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا
فليصبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنحّ عن خطبتها تسلّم
إن التي تخطب غدارة قرية العرس من اللأم

وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله أنه لا يصحّ إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وفي ذلك قيل :
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

بيده داخل القميص
ويجئ الكف وهو
أن يرفع ثيابه بيده
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يجعل يده على الحاصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جميعا على
الحصرين وتجافي
العضدين فاذا وقف في
الصلاة على الهيئة التي
ذكرناها يجتنب للسكره
فقد تمّ القيام وكله
فيقرأ آية التوجه
والدعاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم ويقولها
في كل ركعة أمام
القراءة ويقرأ فاتحة
وما بعدها بحضور قلب
وجمع هم وواطأة بين
القلب واللسان بحفظ
وافر من الوصلة والدنو
والهية والخشوع

وقيل أيضا : يرافد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة كرمّ الجديدين إقبالا وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر نقاعا وضاررا
يامن بمائق دنيا لابقاء لها يمسى ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معاقبة حتى تعانق في الفردوس أباكارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فيبغى لك أن لاتأمن السارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضى الله عنه لما ثبت محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبلى أن لا يبعدوا الأوثان
وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ للسال من غير حقه وإتفاته في غير حقه وإمسأكه عن
حقه والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يأمر المؤمنين صف لنا الدنيا قال:
وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن اتقرب فيها حزن ومن استغنى فيها افتن
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها الضباب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم
أقصر قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا الصحارة فانها تسحر
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا ليثة ، وهذا تشديد عظيم وزوجو
أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يهتمان في القلب فأيهما غلب كان
الأخر تبعا له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربان فبقدر ما مرضى إحداهما تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهب
إلى ذا أذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
أحسب له أن يتعشى فيه ؟ يعني يتعم قال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم
ذلك ليوم قره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالها لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت
أتقدرها كما يتقدر أحدكم الجيفة إذا صر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بجمل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفيه إلا سيفه وترسه
ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو أخذت متاعا فقال يأمر المؤمنين إن هذا يلفنا الثقيل وقال سفيان
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجبال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدرت الدنيا
من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص هي النبر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له (١)

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والحشية والتنظيم
والوقار والشاهدة
والناجاة وإن قرأين
الفاتحة وما يقرأ بعدها
إذا كان إماما في
الكنة الثانية : اللهم
باعديني وبين خطاياي
كما باعدت بين الشرق
والغرب وتبني من
الخطايا كما تبني الثوب
الأبيض من الدنس
اللهم اغسل خطاياي
بالماء والتاج والبرد
لحسن ، وإن قلها في
الكنة الأولى لحسن
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال
ذلك وإن كان مفردا
يقولها قبل القراءة
ويعلم العبد أن تلاوته
نطق اللسان ومعناها
نطق القلب وكل
مخاطب لشخص
بتكلم بلسانه ولسانه

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرسكم الحياة الدنيا - من قلة ذاقه من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرمانها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بصيته في دينه ويحزج من مصيته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوث قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن للوث حق كيف يفرح وعيبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وهيبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائة سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيت بلاء وسنيت رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولديها هالك فلولا للولود لباد الخلق ولولا المسالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر قتره قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت بيلوغ أملك وإنما بلفته بانقضاء أجلك ثم سوفت بملكك كأن منفعته لتبرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافى الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطاحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمكها فإذا تعد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا محسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عنى وقال محمد بن النكدر رأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صرفه الله وصرف في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله لمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عندهم ما أقرنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فأنك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فأنك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تتادى ربهما منذ خلقها إلى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكتي بالاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته لقي يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل بشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذاكروا أبو بامن البر قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نفقها ونحن نجحها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها قيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخراب

يسر عما في قلبه ولو
أمكن للتكلم إفهام
من يكلمه من غير
لسان فعل ولكن
حيث تنذر الأفهام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجما نانا قال باللسان
من غير مواطأة القلب
لما اللسان ترجما ناولا
القارى متكلما قاصدا
إسباع الله حاجته
ولا مستمعا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما يخاطبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
قائب عن قصد
ما يقول فينبى أن
يكون متكلما مناجيا
أو مستمعا راعيا فأقل
مراتب أهل الخصوص
في الصلاة الجتمع بين
القلب واللسان في
التلاوة ووراء ذلك
أحوال الخواص يطول

منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمار منها قلب من يطلها. وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من الريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاله في الله وخوفه بالله فقال يا أخي إن الدنيا حوض مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الحراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إفسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتساف من دار فنائك إلى دار بئائك فان عيشك في زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأتصر من أملك . وقال إبراهيم بن آدم لرجل أدرم في اللام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في اللام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة . وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنايا خزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به . وقال كعب لتجيبن إليكم الدنيا حق تبصوه وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضا الدنيا باع من شئها أن تمنك لما يهلك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كقطي النار بالبتن وقال بشار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها حتى الحرس حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفتها نيرانها فصار سبيكة ذهب ينفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقت نيران التوحيد فصار جوهر واحد لقيمه . وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا سائمة مطموم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم فأشرف الظهومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف الثروبوات اللساء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وإن للمرأة لزين أحسن شيء منها وبرد أقبح شيء منها وأشرف المشومات للسك وهو دم .

(بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تنفروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فاتها غدارة خداعة قد تزخرت لكم بفرورها وتنتسك بأمانها وتزينت لحطابها فأصبحت كالمرس الهلالية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها ينفى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يخوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتهبوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان غليل أو مدق قهليل فهل على الدواء من دليل أو هلل إلى الطبيب من سبيل فدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولما له أحصى ثم يقال قد قتل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أئينك وثبت يقينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنبت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتفانك فمسولوك وكفونك فأتقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك . وقال بعضهم لبعض للوكة إن أحق الناس بدم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو

شرحها . قال : بعضهم ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئا من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الأئمة أحب إلى من أن أجد في الصلاة تجدون . وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلته يتحقق بمعنى الإنابة لأن الله تعالى قسم الإنابة وقال - منيين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة - فينبى إلى الله تعالى ويتق الله تعالى بالتبى مما سواه ويقوم الصلاة بسر مشرح

على بابه فتجتاحه أو على حنقه فتفرقه أو تاتي سلطانه فقدمه من القواعد أو تدب إلى جسده فتسقمه أو تضجعه بشيء هو ضنين به بين أحبائه فالله تعالى أحق بالدم هي الآخذة ما تنطى الراجعة منها تهب بيناهي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له إذ أبكت عليه وبيناهي تبسط كفها بالأعطاء إذ بسطها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غدًا سواء عليها ذهاب ما ذهب ويقاه ما بقي تعبد في الباقي من القاهب خلفًا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يأمر للؤمنين فإن الزاد منها تركها والفقى منها فقرها لها في كل حين تليل تذلل من أعزها وتفقر من جمها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حثفه فكن فيها كاللداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فأحذر هذه الدار الندارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وقتت بفرورها وحلت بآمالها وسوتت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهوى والنفس لها شاة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالمساضى معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما مذكر فمأشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترت وطفى ونسى للمعاد فشغل فيها له حتى زلت به قدمه فعضمت زمامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوت وتألمه وحسرات القوت بفضته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بنير زاد ووقدم على غير مهاد فأحذرهما يا أمير المؤمنين وكن أسرا ماتكون فيها حذر ماتكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمان منها إلى سرور أو شخصته إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء ففرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ولا يدري ما هوأت فينتظر ، أما نبيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فدلها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا يتقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما يبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لأعدائه اغترارا فيظن للفرور بها لاقتدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت الفقى مقبلا قفل ذنب هجملت عقوبته وإذا رأيت القمر مقبلا قفل مرحبا بشعار الصالحين وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إدامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابى رجلاى

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن أبى الدنيا هكذا مرسل ورواه أحمد والطبرانى متصل من حديث أبى مويبة فى أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزائن الدنيا والحلدم الجنة الحديث وسنده صحيح وللمزنى من حديث أبى أمامة عرض على ربه ليجعل لى بطعام مكة ذهابا الحديث (٢) حديث الحسن مرسل فى شد الحجر على بطنه ابن أبى الدنيا أيضا هكذا والبخارى من حديث أنس رفنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرتين وقال حديث غريب .

بالاسلام وقلب منفتح
بنور الإنعام فتخرج
الكلمة من القرآن
من لسانه ويسمعا
بقوله فتقع الكلمة
فى فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتماكها القلب
بحسن الفهم وقديده
نعمه الإصغاء
ويتشربها بحلاوة
الاستماع وكال الوهى
ويدرك لطيف معناها
وتشريف خواها معانى
تلطف عن تفصيل
الذكر وتتشكى بحفى
الفكر ويصير الظاهر
من معانى القرآن قوت
النفس فالنفس للطمشة
متعوضة بمعانى القرآن
عن حديثها لكونها
معانى ظاهرة متوجهة
إلى عالم الحكمة
والشهادة تحرب
مناسبتها من النفس

وطمأني وفاكهي ما أنبت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض
أحد أغنى مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون
قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يظرف ولا يتنفس
إلا بأذني ولا يعينكما ما تمتع به منها فأنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزيئكما
بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا لقطت ولكني أرغب مكا
عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفضل بأوليائي إني لأدودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق
غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجنّبهم ملاذها كما يجنّب الراعي الشفيق إله عن منازل الغرّة وما ذاك
لهوهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يتزين لي أوليائي بالذلّ والخوف
والخضوع والتقوى تثبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وديارهم الذي يظهرون
وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي يفتخرون ورجاؤهم الذي يباهون بمجدهم الذي يفتخرون
وسياهم التي بها يعرفون فإذا لقيتهم فأخفض لهم جناحك وذلك لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب على كرم الله وجهه يوم ما خطبة فقال فيها:
انتموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تفرّتمكم
الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالثناء معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين
أهلها دول وسجل لا تندوم أحوالها ولا يسلم من شرّها زوالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور وإذا هم
منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما
أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميمهم بسهامها وتقصيمهم بحمامها وكل حنفة فيها مقدور وحظه فيها
موقوف . واعلموا عباد الله أنكم وما أتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى بمن كان أطول
منكم أعمارا وأشدّ منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامة خادمة من بعد طول
تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالتصور للشيدة والسرور
والتمارق للمهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللطيفة اللطيفة فحلها مقرب وساكنها مقرب
بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغين لا يستأنسون بالمران ولا يتواصلون تواصل الجيران
والإخوان على ما بينهم من قرب السكان والجوار ودنوّ الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم
بكلّ كلة البلاء وأكلتهم الجنادل والترى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نصارة العيش رفاتا فجمعهم
الأحباب وسكنوا تحت التراب وظنّوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنها كلمة هو قائلها ومن
ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون - فسكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار اللثوى
وأرتمتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف يكملوا عيتم الأمور وبمترت القبور وحصل
ما في الصدور وأوقتم لتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب
وهنكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما
كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحق -
وقال تعالى - ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه
متبينين لأوليائهم حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام
سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستفرق جميع
أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت
الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياب عليك واستقلت ممر الساعة بك ولكن تدير الله

للكونة لاقامة رسم
الحكمة ومعنى القرآن
الباطنة التي يكشفها
من اللكوت قوت
القلب وتخلص الروح
للقُدس إلى أوئل
سراقات الجبروت
مطلعة عظمة للتكلم
وبمثل هذه المطالعة
يكون كمال الاستغراق
في ليج الأشواق كما
قل عن مسلم بن يسار
أنه صلى ذات يوم في
مسجد البصرة فوقت
أسطوانة تسمع
بسطها أهل السوق
وهو واقف في الصلاة لم
يلم بذلك ثم إذا أراد
الركوع يفصل بين
القراءة والركوع ثم
يركع منظوي القامة
والنصف الأسفل بحاله
في القيام من غير انطواء
الركبتين ويجافي

فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملقم إذا عجها الحكيم وقد أعييت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بقتلت الجماعات وانحرام الشغل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حتى وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكي إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تتقلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرقي لا تصفولكم نعمة تسرون بها الإبغراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبه : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطروه وأفضوا إلى علم فكانهم بلغوه وهم عسى أن يجري الخبرى حتى ينتهى إلى الغاية وهم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا بالبؤسه واضربوا فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بتعاقبها ونعابتها فانه إلى زوال هيمت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس مغفول عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهداهم الدنيا وأنه لم يرضها لأولياته وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذرا أصحابه من فتنها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب غربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فملوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تمبوا قليلا وتمعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولايم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم .

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قرية الاقضاء تمدد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلم زائل إن اللبيب بمثلها لا يندع

وكان الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظلم زائل حتى

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرايا نزل بقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فاتته قيام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلمة تنية ولا بد يوما أن يظلم زائل

وكذلك قيل : وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمك منها بجمل غرور

مرقبه عن جنبيه
ويعد عنه مع ظهره
ويضع راحته على
رصعته منشورة
الأصابع . روى مصعب
ابن سعد قال حليت إلى
جنب سعد بن مالك
فجلت يدي بين ركبتي
وبين غدي وطبقتهما
فضرب يدي وقال
اضرب بكفك على
ركبتك وقال يا بنى إنا
كنا فعل ذلك فأمرنا
أن نضرب بالأكف
على الركب ، ويقول:
سيحان ربى العظم
ثلاثا وهو أذن الكمال
والكمال أن يقول
إحدى عشرة وما يأتي
به من العدد يكون بعد
التسكن من الركوع
ومن غير أن يزوج آخر
ذلك بالرفع ويرفع يديه
للكوع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقبون» (١) وقال يونس بن عبيد ما شبهت هوى في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فيها هو كذلك إذ اتبته فكذلك الناس ينام فافل ماتوا اتبتهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما كانوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم [مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيتها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كمرأة تزين للخطاب حتى إذا نسكتهم ذمهم وقدرى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة مجوز هتاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لأحبيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يتبرون بأزواجك للساخنين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرار وهي شبه مجوز مزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا التناقض عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاعتراض بظاهرها وقال العلماء ابن زياد رأيت في المنام مجوزا كبيرة متحبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها جثت ونظرت وتمجبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتلت لها وبلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحببت أن تعاذ من شري فابض الدم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم مجوزا مشوهة شمطاء تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بمحذائي أقناب على فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة مجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أنصفون هذه فيقولون نعموذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تاحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الخلى والثياب وإذا بالامر بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس مجوز شمطاء زرقاء عشاء قال قلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يجذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها مشاهد للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها » (٢) ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك ممعى وبصرى وعظمى ومعنى وعصى ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . مع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فإذا استوى قائما يحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقبون لم أجده أصلا (٢) حديث مالي وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يبال كيف انتقضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية بل لا يبنى لينة على لينة «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لينة على لينة ولا قصبه على قصبه (١)» ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص قنطرة فاعبروها ولا تمرروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا مبر إلى الآخرة والهد هو الليل الأول على رأس القنطرة والهد هو الليل الآخر وبينهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهول والخذلان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائف فيها أن حلاوة خففتها كحلاوة الحوض فيها وهيئات فان الحوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب على رضى الله عنه إلى سدان الفارسي بمثلها قال مثل الدنيا مثل الحية ابن مسعود وقتل سمها فأعرض عما يعجبك منها لقله ما يصعبك منها وضع عنك هو معها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها إلى سرور أو شخصه عنه مكروه والسلام [مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعثها بعد الحوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالمشاي في الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء أن لا يتبل قدماه (٢)» وهذا يصفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقتها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا محام فيه لكانوا من أعظم التفتحين بفرأقها فكأن المشى على الماء يقتضى بلالا لعالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر الرضيع إلى الطعام فلا يلتذبه من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تترك وتمتنن تصعب وتتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم ينحرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تحرقها الشهوات أو يدينسها الطمع أو يفسدها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاه وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله (٣)» [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقتله بالإضافة إلى ما سبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (٤)»

(١) حديث ما وضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عنى أوسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشتت صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا أبو داود وأترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنعام صاحب الدنيا كمثل المشاي في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقى في الشعب من رواية الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقى في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاه وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من هي بعد ثم يقول
أهل الثناء والمجد
أحق ما قال الصديق
لك عبد لا مانع لما
أعطيت ولا معطى
لما منعت ولا ينفع
ذا الجدمك الجدقان
أطال في النافلة القيام
بعد الرفع من الركوع
فليقل لربى الحمد
مكررا ذلك مهاشاه
فأما في الفرض فلا
يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة
ويقع في الرفع من
الركوع تمام الاعتدال
بإقامة الصلب ، ورد
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
«لا ينظر الله إلى من
لا يقيم صلبه بين
الركوع والسجود
ثم يهوى ساجدا
ويكون في هويه مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حق الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يهلكه [مثال آخر لخفاة آخر الدنيا وأولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب كدبنة كشهوات الأطمعة في المعدة وسيجد العبد عند اللوت لشهوات الدنيا في قلبه من السكرامة والنون والتبجح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة فآيتها وكما أن الطعام كلما كان أقد طمعا وأكثر دسا وظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد تنافسا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وأدق ففتنها وكراحتها والتأذي بها عند اللوت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نبيت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتوجهه في كل ما فقد بقدر قدرته به وجه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأدق فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للوت إلا فقد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحالك بن سفيان الكلابي : ألسنت توثي بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فيلام بصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١) » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه إلام بصير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قزحه وملحه ^(٣) » وقال الحسن قد رأيتهم يطبونه بالأفاوية والطيب ثم يرمون به حيث رأيتهم وقد قال الله عز وجل - فلينظر الإنسان إلى طعامه - قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إن أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تسحى وأسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته قام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما عملت به انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أرىكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعصاهم وشمهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبغ في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه ^(٤) » [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فأنهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القيام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فقرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف للسان خاليا فأخذ أوسع الأمان وألينا وأوقفها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها للتلذذ ونعمات طيورها الطيبة وألحائها الوزونة الثرية وصار يلاحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة النظر العجيبة النقوش الداللة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحالك بن سفيان الكلابي ألسنت توثي بطعامك وقد ملح وقزح الحديث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن حبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحالك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبغ في اليم فلينظر به يرجع إليه مسلم من حديث المستورد بن شداد .

مستيقظا حاضرا خاشعا
عالمًا بما يهوى فيه
وإليه وله فمن
الساجدين من يكشف
أنه يهوى إلى تخوم
الأرضين متغيا في
أجزاء الملك لامتلاء
قلبه من الحياء
واستثمار روحه عظيم
الكبرياء كما ورد أن
جبرائيل عليه السلام
تستر بخافية من جناحه
حياء من الله تعالى .
ومن الساجدين من
يكشف أنه يطوى
بوجوده بساط
العكون والكان
ويسرح قلبه في فضاء
الكشف والعيان
قهوى دون هويه
أطباق السموات
وتسبح لقوة شهوده
تسائيل الكائنات
ويسجد على طرف

عس زبرجدها ومجانب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا
خرجوا فاستقر فيه وبضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باعمالها
فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار تقيلا عليه
ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رصيه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على
أخذه وليس ينفعه التأسف وبضهم تولى الضياض ونسى المركب وبعد في متفرجه ومتزهبه منه حتى
لم يلبث نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثماز واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا من فك عن شوك يشب بثيابه
وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفرغ منه وعوسج يحرق ثيابه وبهتك
عورته ويمتعه عن الانصراف لو أرادها فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف متقلا بما معه ولم يجد في
الركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبضهم لم يلبث نداء أهل السفينة انصرف متقلا بما معه ولم يجد في
السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات
فتفرقوا كالجيف المنتنة ، وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقت
وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكادت
تلك الألوان والأحجار فظهرت رأتها فصارت مع كونها مضيقا عليه مؤذية له بتقنا ووحشتها فلم يجد
حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلبثته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه
الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاتته إلا سعة المحل فتأذى ضيق المكان مدة
ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا
مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمحظوظهم العاجلة ونسيانهم مودهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم
وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تتركه أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشم التبت وهي زينة
الدنيا وشيء من ذلك لا يصعبه عند اللوت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن
والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا غتر الخلق بالدنيا وضعف
إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلفظي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إنما مثل ومثلكم
ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غرباء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها كثيرا وما بقي أفدوا الزاد
وخسروا الظهر وبقوا بين ظهري المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فيبنيهم كذلك إذ خرج
عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى
إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام أنتم قالوا على ما ترى قال رأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء
ورياض خضر ما تعلمون قالوا لا نصيبك شيئا قال عهدكم وموآئيقكم بالله فأعطوه عهدكم وموآئيقهم
بالله لا يصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فكثت فيهم ماشاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا
يا هذا قالوا الرجيل قال إلى ابن قالوا إلى ما ليس كائكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكرم
والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجده وما نضع جيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم لم تعطوا
هذه الرجل عهدكم وموآئيقكم بالله أن لا تصوه شيئا وقد صدقتم في أول حديثه فوآله لا يصدقتم
في آخره فراح فيمن اتبوه وتخلف بينهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل (١) [مثال آخر لنتم

رداء العظمة وذلك
أقصى ما ينتهي إليه
طائر الهمة البشرية
وقفي بالوصول إليه
القوى الانسانية
ويتفاوت الأنبياء
والأولياء في مراتب
العظمة واستشعار
كنها لكل منهم على
قدره حظ من ذلك
وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من
يتسع عاؤه وينتشر
ضياؤه ويعطي
بالصنفين ويبسط
الجناحين فيتواضع
بقوله إجلالا ورفيع
بروحه إكراما وإفضالا
فيجتمع له الأوس
والهنية والحضور
والغنية والقرار والقرار
والإسرار والجهار
فيكون في سجوده
ساجدا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلفظي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إنما مثل ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غرباء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراز والطبراني من
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فبا يرى الناس ملكان الحديث وفيه قال

الناس بالدنيا ثم تفجهم على فراقها [اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب يوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا يملكه ويأخذه فجهل رحمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فطلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتضجع ومن كان عالم برحمته انتفع به وعسكره ورده بطيب قلب وانسراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة طبلت على المجتازين لا على المقيمين ليزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالمواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تحرف الدنيا الذمومة ما هي؟ وما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن نبين الدنيا للذمومة للأمر باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخرة وهو ما جدد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إلي الميل وفيه نصيب وحظ فليس بدموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك عمرته بعد الموت وهو عيشان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وسمائه والعلم بدمية نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألد الأشياء عنده فيهجر النوم والطعم والتسكع في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حقا عاجلا في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العتوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخره يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حب إلى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة^(١) » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والشهادة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أن السناق في هذا الكتاب تعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولائمة له في الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والعونات كالتنعم بالناطير المقطرة من الذهب والفضة والحيل السومة والأنعام والحراث والفلدان والجواري والحيل والواشي والقصور والدور ورفع الثياب ولدائد الأطعمة لحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيها جدد فضولا أو في عمل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الداء على حمص فأنخذ كثيرا حتى

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي - وقه يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها - الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده : سبحان ربّي الأعلى ثلاثا إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأذنه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه في السجود فهو أبلغ في الخضوع للساجد ويأثر بكفيه الصلى

أى أحد للملكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فد كر نحوه أخسر منه وإسناده حسن (١) حديث حب إلى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة والنسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

عليه درهين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا قد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأن للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالتقسيم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعته الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند اللوت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى واللواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجيات السعدت بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال العبد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه»^(١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السعدت وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والشاهدة وهذه السعادة تجعل عتیب اللوت إلى أن يدخل أو ان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق متوقعة عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأملت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من الموانع آتانا من العوائق وكيف لا يكون حب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غضب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

ولا يلفهما في الثوب
ويكون رأسه بين
كفيه ويدها حسدو
منكيه غير متيامن
ومتياسر بهما، ويقول
بعد التسبيح: اللهم
لك سجدت وبك
آمنت ولك أسلمت
سجد وجهي للذي
خلقه وصوره وشق
سمعه وبصره فتبارك
الله أحسن الخالقين.
وروى أمير المؤمنين
على رضى الله عنه «أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول في
سجوده ذلك» «وإن قال
سبوح قدوس رب
الملائكة والروح فحسن
روت عائشة رضى الله
عنها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان
يقول في سجوده ذلك
ويحافى مراقبه عن

وليس اللوت عدما إنما هو فراق لهاب الدنيا وقدم على الله تعالى فإذا سألك طريق الآخرة هو الواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويغض إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتال إلا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين اللذات العلاء ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول التوقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب لمن نوقش الحساب عذب^(٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب»^(٣)

(١) حديث متاضلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

وقد قال أيضا : حلالها عذاب . إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسية لابقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنها سعادات منصرمة لابقاء لها ومنصبة بكدورات لاصفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتتقطع الدهور دون فاتها فكل من تمع في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه يتقص من حظه في الآخرة أضمافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمري رضي الله عنه «هذان النعم الذي تسئل عنه (١)» أشار به إلى الساء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابا حين كان به عطش ففرض عليه ماء بارد بسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالله نيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأقن كان حله من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثله إبليس وقال رغبت في الدنيا وحتى إن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطم الناس لئلا تذ الأظعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل للملك على نفسه بهذا الطريق امتنانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الأظعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما (٢)» وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع (٣)» ولهذا سلط الله البلاء والمن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفروا من الآخرة حظهم كما منع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلتزم ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وجباله لا يخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت لما الذي هو لله . فأقول الأشياء ثلاثة أقسام : منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يجبر عنه بالمصير والمحظورات وأنواع التعمات في الباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفسك والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها عت سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان القرض من الفكر طلب العلم للتحرف به وطلب التبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان القرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذان من الدنيا بالمعنى وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون مضاه لله وذلك كالأكل والنسكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكاترا مفاخراتي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفانا عن المسألة موقوفا على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (١)» حديث هذا من النعم الذي تسئل عنه تقدم في الأظعمة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله هبنا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق مضنا ولترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي للتابعة طاويا وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم .

جنيه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهة بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفرججهما ويقول : رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يظيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافذة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإقعاء في القعود وهو ههنا أن يضع

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) فانظر كيف اختلف ذلك بالتصديقا
 الدنيا حظ فسك العاجل الذي لاحاجة إليه لأمر الآخرة ويبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله
 تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى - وجماع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله
 تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد -
 والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء
 والبنين والقناطر اللقنطرة من الذهب والفضة والحيل للسومة والأنعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا -
 قد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدرة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس
 هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لعبر الله وبين التتم والضرورة درجة يبرعها
 بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصاد على حد الضرورة غير
 ممكن وطرف يراحم جانب التتم ويقرب منه وينبئ أن يخذل منه وبينها وسائط متشابهة ومن حام
 حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة مما يمكن اقتداء
 بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويسا القرنى كان
 يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان
 والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن
 يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى
 بشئ ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزابل من قطع الأكسية فيضلها في الفرات ويلفق بعضها
 إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول
 لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صنار فاني أخاف أن تدموا عني فيحضر
 وقت الصلاة ولا أصيب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال
 « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن (٢) » إشارة إليه رحمه الله ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال ققاموا فقال اجلسوا إلا من كان
 من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من
 قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى
 فوصفه له؟ فقال نعم وما ذلك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحق منه ولا أجن منه ولا أوحش
 منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول « يدخل في شفاعته مثل ريعة ومضر (٣) » فقال هرم بن حبان لما سمعت هذا القول من
 عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت
 عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويصل توبه قال فرفقه بالثمت الذي نمت لي
 فاذا رجل لحيم شديد الأدمة مخلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كربه اوجه متهب المنظر قال

أليه على عقيه ثم
 إذا أراد التهوض إلى
 الركعة الثانية يجلس
 جلسة خفيفة الاستراحة
 ويفعل في بقية الركعات
 هكذا ثم يشهد وفي
 الصلاة للمراج وهو
 معراج القلوب والشهد
 مقر الوصول بعد قطع
 مسافات الهيات على
 تدرج طبقات
 السموات والتحيات
 سلام على رب البريات
 فلذهن لما يقول
 ويتأدب مع من يقول
 ويدرك كيف يقول
 ويسلم على النبي صلى الله
 عليه وسلم ويثله بين
 عيني قلبه ويسلم على
 عباد الله الصالحين
 فلا يبقى عبد في السماء
 ولا في الأرض من عباد
 الله إلا ويسلم عليه
 بالنسبة الروحية

(١) حديث من طلب الدنيا حاللا مكثرا مفاخرنا لى الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم
 في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن
 من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرنى تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل
 الجنة في شفاعته مثل ريعة ومضر يريد أويسا وروياته في جزء ابن الجاهك من حديث أبي أمامة
 يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمى أكثر من ريعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر
 لأويس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

فلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصاغه فأبى أن يصاغني قلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنتني العبرة من حيي إياه ورفقي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله ياهرم بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك على قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فصبيت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيت قلعت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ - قال نبأني العليم الخبير - وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك إن الأرواح لها أنفوس كأنفوس الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحدث أممه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه محبة بأبى وأمى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد محبوبه وبلغنى من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس ياهرم بن حيان قلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن أسمعها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فأبى أحبك فى الله حبا شديدا قال فقام وأخذ يدي على شاطئ القرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله - إنه هو العزيز الرحيم - فشقيق شهقة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوشك أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال قلت رحمك الله إن عمر لم يموت قال فقد نعاه إلى ربى ونسبى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إليك ياهرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نصبت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأندرك قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة قيدي شبر تفارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك ففرقت وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حينما كان وضم عليه ضيمته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عنى خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فأبى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبني واعلم أنك منى على بال وإني لم أرك ولم ترني فاذا كرتنى وادع لى فأبى سأذكرك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرنى عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المرصين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلمته الحضراء وأظلمته النبراء

والخاصة الفطرية ويضع يده اليمنى على غنقه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبحة ويرفع للسبحة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة التنى ولا يرفعها منتصبه بل مائلة برأسها إلى اليمين منطوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل سراية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلواته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغي أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمن وراءه فإن الامام التليقظ فى الصلاة كما يجب دخل على سلطان ووراء أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجتهم والمؤمنون كالبيان يشد بعضه بعضا وهذا وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان له عز وجل من ذلك ضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الرواية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في بيته ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة المر فتهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالمعنى والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا ، نعم إذا قصد تلهة البدن وتمتعه بهيء من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة ويغشى على قلبه القسوة قال الطنفاصي : كنت على باب بنى شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طويلا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقا فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استقرت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم

وخالقهم ومصدرهم وموردتهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور قد بظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنسكح ويجمع ماعلى الأرض ثلاثة أقسام : للعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوى وأما للعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وللتقدي كالذهب والفضة وغير ذلك من اللقاصد وأما الحيوان فيتنقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكل وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستخرجهم كالنمل أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يفرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يجر عنه الجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان التي يبر عنها الدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الإنس - والطناطير للطنطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والعادن وفيه تبييه على غيرها من الآليات واليواقيت وغيرها - والحليل السومة والانعام - وهي البهائم والحيوانات - والحرف وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو الحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب العالقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن والداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها . العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنتقلهم بالدنيا لها تين العلاتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التي سميها دنيا لم تخلق إلا لطف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأغنى بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كالآتيق الجمل في طريق الحج إلا بظف وماء وجلال ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يطف التافة ويتهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويردها للساء بالتلح حتى

كلامه بقوله سبحانه -
كانهم بيان مرصوس -
وفي وصف هذه الأمة
في الكتب السابقة
صفهم في صلاحهم
كصفهم في قائلهم
حدثنا بذلك غيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السروردي إملاء قال
أنا أبو عبد الرحمن محمد
ابن عيسى بن شعيب
اللالي قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن بن محمد
الظفر الواعظ قال
أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد السرخسي
قال أنا أبو عمران
عيسى بن عمر بن
العباس السمرقندي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن عبد الرحمن
الدارمي قال أنا مجاهد
ابن موسى قال ثامن
هو ابن عيسى أنسأل

تقوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للباع هو وناتقه والحاج البصير لا يهجم من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على الشئ فيتمهد موقله إلى الكعبة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتهدد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همت ما يدخل بطنه قضيته ما يخرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فان القوت ضروري وأمر السكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصرفوا عليه لم تسترقهم أشغال الدنيا وإنما استرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها، ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنسهم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الانسان مضطر إلى ثلاث القوت والسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ولم يخلق الله القوت والسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه ، نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يفتدى الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن، والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والحياطة فللملبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للمواشي والحيل أيضا للمطعم والركب ، والاقتناس نفعي به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النباتات والزراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل مائت وتنج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونفعي بالاقتناس ذلك ويدخل تحت صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنفق إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات التجارة والحدادة والحزب وهؤلاء هم عمال الآلات ونفعي بالتجار كل عامل في الحشيب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الحزاز فنفي به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما . والثاني التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس وتربية الولد فان الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة لتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ومحتاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف يفرد بتحصيل اللبس وهو يفقر إلى حراسة القطن والآلات الحياكة والحياطة

كعب الأجار كيف
تجد نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
التوراة قال بحمد محمد
ابن عبد الله يولد بمكة
وبهاجر لطية ويكون
ملكه بالشام وليس
بفحاش ولا صخاب في
الأسواق ولا يكافئ
بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر ، أمته
المجادون يمدون الله
في كل سراء ويكبرون
الله على كل نجس
يوشنون أطرافهم
ويأتزون في أوساطهم
يصفون في صلاتهم كما
يصفون في قتالهم
دوبهم في مساجد
كدوى النحل يسمع
مناديتهم في جوف السماء
فالإمام في الصلاة مقدمة
الصف في محاربة
الشیطان فهو أولى

وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحرّ والبرد والطر والصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبمجمعه من الآلات والأثاث وللنازل تدفع الحرّ والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها لكن للنازل قد تصدها جماعة من اللصوص خارج النازل فاقتصر أهل النازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع النازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في النازل والبلاد وتماثلوا تولدت بينهم خصومات إذ تعهدت رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما المرأة فتحاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين هذا في المنزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لاحتالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمعنى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائفا لهلك ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يحصل كان لا يدعن له لحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة الساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتحكّن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العائلات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها إلا محضوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية وإذا اشتغلوا بهم لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى العاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف الضائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لاحتالة إلى أن يمدّم أهل البلد بأموالهم ليجدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللنفرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزّان وإلى من يفرّق عليهم بالعدل وهو الفارض للمساكر وهذه الأعمال لو تولها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يمين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحدا يليق به ويراعي النصفة في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين السكاكة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو السمي فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترفون ، والثانية الجندية الحماة بالسيوف ، والثالثة الترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس

الصلين بالخصوع
والإيمان بوظائف
الأدب ظاهرا وباطنا
والصلون التي تغنون كما
اجتمعت طواهرهم
تجتمع بواطنهم
وتناصر وتعاقد
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
وبركات بل جميع
المسلمين الصلين في
أقطار الأرض بينهم
تفاضل وتناصر بحسب
القلوب ونسب الاسلام
ورابطة الإيمان بل
يبدّم الله تعالى باللائكة
الكرام كأمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
باللائكة السوميين
لحاجاتهم إلى محاربة
الشیطان أسمن من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهذا كان
يقول رسول الله صلى

وللسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنهاى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهوأة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات وللحال عجارة عن أعيان الأرض وما عليها مما يتنفع به وأعلامها الأغذية ثم الأمتعة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور ثم الأمتعة التي يسمى فيها للتحيش كالحوائت والأسواق وللزراعت ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والقرس آلة الركوب في الحرب ثم محدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحديد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فالضرورة محتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق للمواصلة إلا أن النجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء يأكله رجسا لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتعوق الأراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتره منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بضعن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طعاما في الربح وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لامحالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترى من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى أهل فيحدث التجار للتكفلون بالنقل وابعثهم عليه حرص جمع السال لامحالة فيتجوبون طول الليل والنهار في الأسفار تعرض غيرهم ونصيبهم منها جمع السال القدي يأكله لامحالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالنفلة وخسة المهمة ولو غفل الناس وارتفعت همهم لزهوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت العايش ولو بطلت لملكوا واهلكوا الزهاد أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها وصاحب السال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعاب الحاجة إلى التقدين فان من يريد أن يشتري طعاما بثوب فمن أين يدرى القدر الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى في أجناس مختلفة كإياع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين التباين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال بطوله بقاءه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم منست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فاست الحاجة إلى دار الضرب والصارفة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم وثمن من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء ، وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لسببه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوية والكداية إذ يجمعهما أهما يأكلان من سعي غيرها ثم الناس يحترزون من اللصوص والسكدين ويحفظون عنهم أموالهم فاتفقوا إلى صرف عقولهم في امتناب

الله عليه وسلم «رجنا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر»
فتداركهم الأملاك
بل بأفاسهم الصادقة
تحمك الأفلاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة يسلم على يمينه
وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على اللانكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمن الجن ويجعل
خده ميبنا لمن على يمينه
بالواء عنقه ويفصل
بين هذا السلام
والسلام عن يساره
قد ورد النهي عن
المواصلة ، والمواصلة
خمس اثنتان تخص
بالامام وهو أن لا يوصل
القراءة بالصغير
والركوع بالقراءة
واثنتان على المأموم وهو

الحيل والتدبير . أما اللصوص : فممن من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضغفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالتعب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة وإما بأن يكون طراراً أو سلالاً إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار الصروفة إلى استنباطها . وأما السكدي فانه إذا طلب ماسح في غير موقبله تعب وإهمل كما عمل غيرك فثالك والبطالة فلا يحط شيئا فانتقر إلى حيلة في استخراج الأموال وتعهيد العنر لأتسهم في البطالة فاحتالوا للتملل بالجزر إما بالحقيقة كجماعة يحمون أولادهم وأتسهم بالحيلة ليتمروا بالمس فيطمون وإما بالتعاسي والتفالج والتجانن والتعاض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالاً أو أفلا يصعب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخطوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد هوال التعجب ولا ينعج الندم وذلك قد يكون بالتسخير والمهاكاة والشعبذة والأفصال الضحكة وقد يكون بالأشعار الثرية والكلام النثور السجع مع حسن الصوت والشعر اللوزون أشد تأثيراً في النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة فضائل أهل البيت أو القدي يحرك داعية العشق من أهل المهانة كصنعة الطبايعين في الأسواق وصنمات يشبه العوض وليس بعوض كبيع التمويذات والحشيش القدي يخيل بانه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفأل من للنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والسكدون طي رهوس النار إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استماله قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألغين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل العيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوها عليها وجرمهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والسكوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فآهوا وضلوا وسبق إلى عفوهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانصمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : طائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم قالوا المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى تقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فياً يكون ليكسبوا ثم يكسبون لياً كلوا وهذا منذهب الفلاحين والمهترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهاري لياً كل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهاري وذلك كبير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم يظنون أنهم وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتعمق في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النسوان وجمع لذيذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشفلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستثناء بكترة الكنوز فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة عشا وبجلا عليها أن تنقص وهذه قدرتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم اللوت فيقتحم الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجماع تبعه ووباله ولا آكل قدرته ثم القدين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء واللح بالنجمل والروءة فهؤلاء يتعبون في كسب اللعاش وضيقتون على أنفسهم في الطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيره
الاحرام بتكبيره
الامام ولا تسليمه
بتسليمه وواحدة على
الامام والمؤمنين وهو
أن لا يوصل تسليم
القرض بتسليم النفل
ويجزم التسليم ولا يعد
مدا ثم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودنياه
ويدعو قبل التسليم
أيضاً في صل الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات المحس
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
المحس في جماعة وهي
سر الدين وكفارة
المؤمن وتمجيس
للخطايا على ما أخبرنا
شيخنا شيخ الإسلام

التعبية ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أضرار الناس حتى يقال إنهم غنى وإنه ذو روة ويطنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تهاد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واقتياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همهم إلى استجرام الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم إذا تمت ولايتهم واتقادت لهم رطاييم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب النافلين من الناس فهو لا شأن لهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على ثيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة اللطم واللبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاولم يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية التصود منها فلا يحوض في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحفظه ونصيه منه وأن غاية مقصوده تهاد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك في مسيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له وإن تصدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلل إلى غير نهاية فتشعب به المهوم ومن تشعبت به المهوم في أودية الدنيا فلا يبالي بالله في أي وادأهلكه منها فهذا شأن التهمكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الاعراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء وعنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من عنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتجهجون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويطنون أن ذلك خلاص لهم من عمن الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بدأولامن إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله ووجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التمسك كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيد عبادة متعبد فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن التصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيطة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع مهلم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتنعوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة بطول إحصائها إلى ما يبالغ فيها وسبعين فرقة وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يجمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيجمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا ينبغ كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يتم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهر وردى رحمه الله
إجازة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خيرون قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس بن زكريا قال
ثنا أبو محمد يحيى بن
محمد بن صاعد قال
ثنا الحسين بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت أبا
أبي يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلوات الخمس
كفارات للأخطايا وقرءوا
إن شئتم - إن الحسنات
يذهبن السيئات ذلك
ذكرى لذا كرن - » .

ومن للسكن ما يحفظ عن اللصوص والحرق والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقى ملازم السياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاعتناء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال «الناجى منها واحدة قالوا يارسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قليل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابي»^(١) وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواماً وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم .

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم البخل وذم حب المال ﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع الهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط ، وكاشف الضر بعد القنوط ، الذى خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال . ورددهم فيها بين السر واليسر والنقى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأسف على المفقود والإيثار والإففاق والتوسع والإملاق والتبذير وانتقير الرضا بالقليل واستحتمار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وينظر أيهم أثر الدنيا على الآخرة بدلاً وابتغى عن الآخرة عدولاً وحولاً واتخذ الدنيا ذخيرة وخولاً . والصلاة على محمد الذى نسخ بعلمته ملا وطوى بشرعته أدياناً ونحلها وطى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللاً وسلم تسليماً كثيراً .

[أما بعد] فان فتن الدنيا كثيرة الشغب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمع عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فان قد المال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفراً وإن وجد حصل منه العطفان الذى لا تكون عاقبة أمره إلا خسراناً . وبالجملة فهى لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من النجيات وآفاتنا من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التى لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراسخين دون المترجمين المغترين وشرح ذلك مهم على الأفراد فان ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشقى العيظ بحكم الغضب والحسد

(١) حديث اقتراق الأمة وفيه الناجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمق على ثلاث وسبعين مئة كلهم فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جيد .

﴿ كتاب ذم البخل وحب المال ﴾

[الباب الثامن
والثلاثون فى ذكر
آداب الصلاة
وأسرارها]

أحسن آداب المصلى
أن لا يكون مشغول
القلب بشئ أو قل أو كثر
لأن الأكياس لم يرضوا
الدنيا إلا ليقيموا
الصلاة كما أمروا لأن
الدنيا وأشغالها لما
كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على
عمل المناجاة ورغبة
فى أوطان القربات
وإذعاناً بالباطن لرب
البريات لأن حضور
الصلاة بالظاهر إذعان
نظاها و فراغ القلب
فى الصلاة عما سوى
الله تعالى إذعان الباطن
فلم يروا حضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يخلل إذعانهم فتتخرم
عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتحان . ثم لفتاقد حالتان: القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشمير للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالان إما كبحم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللنفق حالتان تبذير واقتصاد والحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن النصوص فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم للمال ثم مدحه ثم تخصيص فوائده للمال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأغنياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم المال وكرهه جبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى - فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - ألهامكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب للمال والشرف يبتنان النفاق في القلب كما يبت الماء البقل» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذببان ضاريان أرسلا في زرية غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل السلم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «هلك المكثرون إلا من قال به في عبادته هكذا وهكذا وقليل مأم» (٣) وقيل «يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألواتها ويركبون

(١) حديث حب المال والشرف يبتنان النفاق في القلب كما يبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذببان ضاريان أرسلا في زرية غنم بأكثر فسادا لها من حب المال والجاه في دين الرجل السلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جاعمان مكان ضاريان ولم يقلوا في زرية وقالا الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذببان ضاريان في زرية غنم الحديث وللبراز من حديث أبي هريرة ضاريان جاعمان واسناد الطبراني فيها ضعيف (٣) حديث هلك الأثرون إلا من قال به في عبادته هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بزي بلفظ المكثرون ولم يقل في عبادته ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ اسكترون وهو متفق عليه . من حديث أبي ذر بلفظ هم الأخسرون فقال أبوذر من هم فقال هم الأثرون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمي الدين ولدوا في النعم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مر سلا وللبراز من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمي الدين غذوا بالنعم وتبنت عليه أجسامهم .

يكون باطنه مرتبنا
بشيء ويدخل الصلاة
وقيل من فقه الرجل
أن يبدأ بقضاء حاجته
قبل الصلاة ولهذا
ورد «إذا حضر العشاء
والعشاء قدمه والعشاء
على العشاء» ولا يصلي
وهو حاقن يطالبه البول
ولا حازق يطالبه العائظ
والحزق أيضا ضيق
الحنف ولا يصلي أيضا
وخفه ضيق يشغل قلبه
قد قيل لا رأى لحازق
قبل الذي يكون معه
ضيق وفي الجملة ليس من
الأدب أن يصلي وعنده
ما يغير مزاج باطنه عن
الاعتدال كهذه الأشياء
التي ذكرناها واهتمام
المفرط والغضب . وفي
الحبر «لا يدخل أحدكم
في الصلاة وهو مقطب
ولا يصلي أحدكم وهو

فره الخليل وألوانها ويشكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل أثياب وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنسى بالكبير لاتنفع ما كفون على الدنيا يبدون ويروحون إليها تأخذوها آلهم من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها يتهنون ولهاوم يتبعون فزعة من محمد بن عبد الله من أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لايسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازتهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد آتان على هدم الإسلام (١) « وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لايشمر (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأنتيت أو لبست فأمصيت أو تصدقت فأمصيت (٣) » وقال رجل « يا رسول الله مالى لأحب اللوت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤) » وقال عليه السلام «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى إلى قبره والثالث إلى عشره فالتى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والتى يتبعه إلى قبره فهو أهله والتى يتبعه إلى عشره فهو عمله (٥) » وقال الحواريون ليسى عليه السلام : مالك عنى على للاء ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أدبت حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كنفه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله وملك ألا أدبت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (٦) » وكل ما أوردناه فى كتاب الزهد والفقير فى ذم الغنى ومدح الفقير يرجع جميعه إلى ذم المال فلان طول تكبيره وكذا كل ما ذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنما نذكر الآن ماورد فى اللال خاصة قال صلى الله عليه وسلم « إذ ماتت البديلة الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف (٧) »

غضبان « فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الهيات وأحسن لبسة الصلح سكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع العين على الشمال فما أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدى ملك عزيز وفى رخصة الشرح دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة فى الصلاة جملة وقد حركت يدى فى الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عنده إن العبد إذا وقف فى الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا محمدا لا يتحرك منه شئ . وقد جاء

(١) حديث سياتى بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألونها ويشكحون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث أبى أمامة سيكون رجال من أمى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون فى الكلام أولئك شرار أمى وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لايشمر البزار من حديث أنس وفيه هاتى بن التوكل ضمنه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالى لأحب اللوت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى إلى قبره الحديث أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسى وأبو الشيخ فى كتاب الثواب والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفى الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبى الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبى الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقى فى الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (٧) حديث إذ ماتت البديلة الملائكة ما قدم الحديث البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا (١) ». الآثار : روى أن رجلا نال من أبي المرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يفضى إلى الطغيان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عنى لاتفضى. وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بمطاميرها فقالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترًا كان لها قطعتة وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأبتامها ثم رفعت يديها وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رهنهما إبليس ثم وضهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سميط بن عجلان إن الدرهم والدينارين أزيمة للمناقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم غريب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك تلك صم قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضع في حقه وقال الهلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن شرك أن يبذل الله منى فأبض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الدرهم

فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن ثقاك تهوى للسلم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضرنك من اللره قميص رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه

أو جبين لاح فيه آرقه خلعه أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنعا لم يصمه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقصدوني فأقصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فإني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطيهم حقا لغيرهم وإنما ولدى أحد رجلين إما مطيع لله فأفقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو أدرته لولدك من بعدك قال لا ولكن أدره لنفسى عند ربي وأدره لربي لولدى. وروى أن رجلا قال لأبي عبدربه يا أخى لاتذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبدربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وماها قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله.

(بيان مدح المال والجمع بينه وبين النعم)

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا كثيرهما رحمة من ربك - وقال تعالى تمتنا على عباده - ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يلغ به وقد تقدم في آداب الصعبة (١) حديث لاتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قترغبوا (٢) حديث نعم للمال الصالح يخرج الرجل الصالح أحمد والطبرانى في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن الماص بسند صحيح بلفظ نعمه وقال للمره.

في الخبر « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان: الرعاف والنماس والوسوسة والشاؤب والحكاك والاتفات » والمبت بالئىء من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك ، وقد روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال إن الخشوع في الصلاة أن لا يعرف الصلى من على يمينه وشماله . وتقل عن سفيان أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته ، وروى عن معاذ ابن جبل أشد من ذلك قال : من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) وهو ثناء على المال ولا تحق على وجه الجمع
بمدح الله والمال يعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى يكشف لك أنه خير من وجه
وشر من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس غير محض ولا هو شر محض
بل هو سبب للأمرين جميعا ولهذا وصفه في مدح لا محالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن
المحمود منه غير للمذموم ويأته بالاستعداد كما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتخصيل
درجات النعم والقدر المنعم فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعم الدائم
وللملك للقيم والصدق إلى هذا باب الكرام والأكياس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم
الناس وأكيسهم؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا وأشدّهم له استعدادا»^(٢) وهذه السعادة لا تتأثر إلا بثلاث
وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل
الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالخارجة أخسها والمال
من جملة الخارجيات وأدناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان
لذاتهما إذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب لسعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق
لتحصلها صفة في ذاتها والبدن تخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخدم
البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن الناحية إبقاء النسل ومن البدن تسهيل
النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه مشرفه
وأنه من حيث هو ضرورة الطعام والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس
الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد
أحسن واتضع وكان ما حصل له الفرض محمودا في حقه فاذا نال المال آلة ووسيلة إلى متصود صحيح ويصلح
أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسد سيل العلم والعمل
فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم فمن أخذ من
الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حفته وهو لا يشعر^(٣) كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى
اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إليها عظم الخطر فبا يزيد على قدر الكفاية
فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل عاف»^(٤)
فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتحصن به من شره وقال «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة
المساكين»^(٥) واستعاذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام - وعنى بها
هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعقد الإلهية في شيء من هذه
الحجارة إذا قد كفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها حبها والاعتزاز بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث
أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكثرهم للموت
ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكياس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت
بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حفته وهو
لا يشعر تخدم قلبه بنسمة احاديث وهو بنية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد
كقوت آل عافا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا الترمذي
من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلواته فضلاته
باطلة قال بعضهم لأن
ذلك عدوه عملاء، وقيل
في تفسير قوله تعالى
- والذين هم على صلاتهم
دأءون - قيل هو
سكون الأطراف
والطمأنينة . قال
بعضهم إذا سكبت
التكبير الأولى فاعلم
أن الله ناظر إلى شخصك
عالم بما في ضميرك
ومثل في صلاتك الجنة
عن يمينك والنار عن
شمالك وإنما ذكرنا
أن تمثل الجنة والنار
لأن القلب إذا دخل
بذكر الآخرة ينقطع
عنه الوسواس فيكون
هذا التمثيل تدابيرا
للقلب لدفع الوسوسة .
أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تتعش وإذا شيك فلا تتعش (١) » فيبين أن عجبهما عابدهما ومن عبد حجارفهو عابدهم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابدهم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بدصنم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلم ينفك عنه للؤمنون فإنه أخفى من ديب الخلد وشرك جلي يوجب الخلود في النار فعود بالله من الجميع .

(بيان تفصيل آفات اللال وفوائده)

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله صوموه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستتر من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلاحاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفقه على نفسه إمامي عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاتعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو الطعام واللبس والسكن والنسكح وضرورات العيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من القوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغنى ثوابها وإنما لتطفى غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فتعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجرى مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدينية إذ به يكتسب البعد الاخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسيخاء فلا يوصف بالجوذ إلا من يصطنع المروءة ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فتعني به بئل المال لدفع هجو الشراء وتلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرمم وهو أيضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة (٢) » وكيف لا وفيه منع المتعصب عن محبة الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الانسان لتبته أسبابه كثيرة ولتوتولها بنفسه ضاعت أوقاته وتعدر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أطل مقامات السالكين ومن لا ماله فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسج الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسران

أنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلأ قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فأما من بشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخزاز إذا ركع فالأدب في ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى في ركوعه حتى لا يسقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخارى من حديث أبي هريرة ولم يقل واتعش وإنما علق آخره بلفظ تس واتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقى المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للمسجد والقنطرة والرباطات ودور للرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارّة بعد الموت للمستجلبه بركة أذعية الصالحين إلى أوقات متبادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحفظ العاجلة من الخلاص من ذلك السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحفظ الدنيوية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى المعاصي فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين اللره والمعصية ومن العصمة أن لا يجرد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تحرك داعيته فاذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اتقمت ما اشتبه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتة السراء أعظم من قننة الضراء . الثانية : أنه يجرد إلى التثم في الباحات وهذا أول الدرجات فحق يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائد الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتم بالدنيا ويمرن عليها فصار التثم مألوقا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجرد البعض منه إلى البعض فاذا اشتد أنه بهر بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتنعم الشبهات ويخوض في المراءاة والداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقهم ويعصى الله في طلب رضاهم فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحفظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق شور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والقيسة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التمدي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يثبك عنها أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله ، فقيل إن أخذ من حله ؟ فقال يضمه في غير حقه فقيل إن وضعه في حقه فقال يشغله بإصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومنها سرها ذكر الله والتفكير في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارفا وصاحب الضيقة يمسى ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسناته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبديها عن كثرة الشغل التقيد المسكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يجر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذى معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والتهم والمهم والتعب في دفع الحساد وتجنب المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذن ترباق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك مسموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الحشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التسلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والموارض ونفى كل شيء غير الله تعالى فاذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكانهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان فم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس مما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً لما منعطه الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يتنع بقدر الضرورة من اللطم والملبس والسكن ويقتصر على أقله قدراً وأخسه نوطاً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فاته عز القناعة وتدنس لعمالة بالطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الحارقة للمروآت وقد جبل الأدهى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) «وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناها يملنا بما أوحى إليه فبغته ذات يوم فقال: إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتغنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال» (٥) «ولما كانت هذه جيلة للأدهى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به» (٦) «وقال صلى الله عليه وسلم «مامن أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتاً في الدنيا» (٧) «وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس» (٨) «وهي عن شدة الحرص والبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له وإن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة» (٩) «

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب. بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد وسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلح من أسلم وورق كفافاً وقعته الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى في الدنيا قوتاً ابن ماجه من رواية نعيم بن الحارث عن أنس ونيح ضعيف (٨) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والعاش .

والعقل الذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يبتغى له حفظ العدد من كمال استخراجه وكان يجلس واحداً من أصحابه يعدد عليه كم ركة صلى . وقيل : للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخشوع الأركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أيّ عبادك أغني؟ قال أنتهم بما أعطيتهم قل فأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي إن نسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فليلك رغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن فقرا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصارى «أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظمي وأوجز فقال: إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تمحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الذين يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه. الآثار: قال عمر رضى الله عنه: إن الطمع ققر وإن اليأس غنى وإنه من يأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما لفتى؟ قال قلة تمنك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل:

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تنكّر
اقنع بعيشك ترضه وأترك هوالك تعيش حرّ
فلرب حنف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يعلّ الحبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد. وقال سفیان: خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم. وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك. وقال سميط بن عجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار. وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مازق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن نسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تمحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وتقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس. مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدكم وهي عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف

الأركان وجود الثواب
فمن أتى الصلاة بلا
حضور القلب فهو
مصلّ لاه ومن أتاها
بلا شهود العقل فهو
مصلّ ساه ومن أتاها
بلا خضوع النفس فهو
مصلّ خاطئ ومن
أتاها بلا خشوع
الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاها كما
وصف فهو مصل واف.
وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا قام العبد إلى
الصلاة المكتوبة مقبلا
على الله بقلبه وسمعه
وبصره انصرف من
صلاته وقد خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه
وإن الله لا يفر بصل الوجه
خطيئة أصابها وبصل
يديه خطيئة أصابها
وبصل رجليه خطيئة

وما أمسك عنى قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أسر للعاقل وأيعا شيء أعون على دفع الحزن؟ فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقيل بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرص إذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم للفرط وفي ذلك قيل :

ارقه ييال فق أسى على ثقة إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يجلل بساحتها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حيلٍ وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أتفك مقربا عن الأجابة لا يدرون ما حالى
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر اللوت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة إن القنوع النقى لا كثرة للسال

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لثتانى وقيطى وما يعضى من الظهر لحبى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفضهم ولا بأوضعهم فوائده ما أدرى أى محل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها . وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لانفوتته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حرصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً ، وفي ذلك قيل :

أراك يزيدك الإتراء حرصاً على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلاً صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما واحدة فأعلك وأنا فى يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت : لاتلهفن على ما فاتك غفلاًها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلى درتين زنة كل درة عشرون مثقالاً قال ففض على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لاتلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشريين مثقالاً فكيف يكون فى حوصلى درتان كل واحدة عشرون مثقالاً ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الأدمى فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء جبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد البرزبلى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم قلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثاً وأنشدنى :

إذا سدّ باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوات الأمور اجتنابها

أصابها حتى يدخل فى
صلاته وليس عليه
وزره وذكرت السرقة
عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقال أى السرقة أقبح
فقالوا الله ورسوله أعلم
فقال إن أقبح السرقة
أن يسرق الرجل من
صلاته قالوا كيف يسرق
الرجل من صلته ؟
قال لا يتم ركوعها ولا
سجودها ولا خشوعها
ولا القراءة فيها .
وروى عن أنى عمرو بن
العلاء أنه قدّم للإمامة
فقال لأصلح فلما ألقوا
عليه كبر ففشى عليه
قدّموا إماماً آخر فلما
أفاق سئل فقال لما
قلت استنوا هتف بي
هاتف هل استويت
أنت مع الله قط . وقال
عليه السلام «إن العبد

ولاتك مبذالا لمرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعتلوها قال الطمع وشبهه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرتي قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشراء فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا يحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خرم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خيرا لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجيب أمر الانسان أنه لو نودى بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له من أين تأكل ؟ قال من يدير اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين وأوماً بيده إلى رحا أضراسه فسبحان القدير الخبير .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم يتمكن القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقبل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في العيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب ^(٣) » وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قتهك رقة في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة ^(٤) » وفي الخبر « التدبير نصف العيشة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذرأ فقره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب البزاز والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف العيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين

إذا أحسن البوضوء
وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقيتها
قالت حفظك الله كما
حفظتني ثم صدقت ولها
نور حق تنهى إلى
السماء وحق تصل إلى
الله فتشفع لصاحبها
وإذا أضاءها قالت
ضيمك الله كما ضيمتني
ثم صدقت ولها ظلمة
حق تنهى إلى أبواب
السماء فتطلق دونها ثم
تلف كما يلف الثوب
الحلق فيضرب بها
وجه صاحبها « وقال
أبو سليمان الداراني إذا
وقف العبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فيما بيني وبين
عبيدي فإذا التفت
يقول الله أرخواها فيما
بين يميني وخلاوا

أحبه الله (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمرا فضليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا (٢) » والتؤدة في الانفاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فاشدّة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعده الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وذلك لأن الشيطان يمهّد الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب وضحك عليه في احتماله التعب فهذا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثانی الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فصل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما « لا تيأسا من الرزق ما نهزهت رءوسكما فان الانسان تلهه أمه أحمر ليس عليه ثمر ثم يرزقه الله تعالى (٣) » ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له « لا تسكر همك ما قدر يكن وما تزرق يأتك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأياها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لبعيد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة (٥) » ولا يفتك الانسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لاجتماعه مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للبعد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب (٦) » وقال سفیان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فدعا لضرورته بل يلقى الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدر وانسكى وقال لو لم نعمش إلا من حيث ندرى لم نعمش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لى فلن أعجبه قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منهما هو لغيرى فذلك لم أعله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي بمنع الذى لغيرى متى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى أى هذين أنفى عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما فى القناعة من عز الاستغناء وما فى الحرص والطمع من الدل فاذا تحقق عنده ذلك انبهت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصرى قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكرو أى هذا الحديث ولأحمد وأبى يعلى فى حديث لأبى سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .

(٢) حديث إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك فى البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تيأسا من الرزق ما نهزهت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالد وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر همك ما قدر يكن وما تزرق يأتك قاله لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف فى صحبته ورواه الأصفهاني فى الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المافرى مرسل (٥) حديث لأياها الناس أجملوا فى الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان فى الضعفاء من حديث على باسناد واه ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات .

عبدى وما اختار نفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأصرف منهما وأنا أستحي من الله حياء رجل أنصرف من الرزاقوله هذا لعظيم الألب عنده ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمحرم بين يديك قال إن الذى أصلى له أقرب إلى من الذى يمشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له فى ذلك فيقول أتدرون بين يدي

في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال وللأنس ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثر حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه الداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس ^(١) » ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من عشت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكتر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويغير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تتم في البطن فالجارأ أكثرأ كلا منه وإن تتم في الواقع فالخزير أظى رتبة منه وإن تزين في اللبس والحيل ففي اليهود من هو أظى رتبة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يسأله في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جمع السال من الخطر كما ذكرنا في آفات السال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلوايد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات السال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفر عن الطلب وأرباب الأموال يتمتعون في اللطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتمتع فلم تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق ^(٢) أى في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل عليه ^(٣) » فهذه الأمور بقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمرضى الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن السال إن كان مفقودا فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغى أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بفضن منها فاده ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبرانى في الأوسط والحاكم وصحح اسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن سيمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاعى في مسند الشهاب من قوله النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوقى أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما يقبل » وقد
ورد في لفظ آخر
« منكم من يصلى
البصلاة كاملة ومنكم
من يصلى النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ العشر » قال
الحواس يبنغى للرجل
أن يسوى نوافله
لتقصان فرائضه فان
لم ينوها لم يحسب له
منها شئ . بلغنا أن الله
لا يقبل نافلة حتى
تؤدى فريضة يقول
الله تعالى : مثلكم كمثل
العبد الموء بدأ
بالهدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضا
انقطع الخلق عن الله

التصن إلى الجنة (١) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم (٢) « وفي رواية « فأكرموا بهما ما محبتموه « وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى ولياله إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) « وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسماحة (٤) « وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس (٥) « وروى للقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دننى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) « وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيّا أخذ بنفس من أخصانها فلم يتركه ذلك التصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بنفس من أغصانها فلم يتركه ذلك التصن حتى يدخله النار (٧) « وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا في أكنافهم فأنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنى جعلت فيهم سختى (٨) «

تعالى بمصنعتين
إحداهما أهم طلبوا
النوافل وضيعوا
القرائض والثانية
أنهم عملوا أعمالا
بالظواهر ولم يأخذوا
أنفسهم بالصدق فيها
والصح لها وأن الله
تعالى أن يقبل من عامل
بعملا إلا بالصدق وإصابة
الحق وفتح العين في
الصلاة أولى من
تعمير العين إلا أن
يتشتت همه بتفريق
النظر فيمض العين
للاستعانة على الخشوع
وإن تآءب في الصلاة
يضم شفتيه بقدر
الامكان ولا يلتزم ذقنه
بصدره ولا يزاحم في
الصلاة غيره قيل ذهب
المزحوم بصلاة المزاحم
وقيل من ترك الصف
الأول مخافة أن يضيق

(١) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى في المستجاد من حديث أبي هريرة وسيأتى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في المستجاد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله ولياله إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بنية عن يوسف بن أبي السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسماحة أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن النسكر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسماحة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى في الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسماحة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول في آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدم بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية له يوجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبي هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطنى في المستجاد وفيه عبد المزين عمران الزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبي سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا في أكنافهم الحديث ابن حبان في الضعفاء والخرايطى في مكارم الأخلاق والطبرانى

ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذيده كلما عثر^(١)» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى لياهي بمطعم الطعام لللائكة عليهم السلام^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يحب الجواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها^(٣)» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمره بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخف الفاقة^(٤)» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبداً يختصم بالنعم لمنافع العباد فمن نحل تلك المنافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره^(٥)» وعن الهلالى قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني الضمر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً فقال صلى بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وارك هذا فان الله تعالى شكره سخاء فيه^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شئ ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح^(٧)» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدى الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء فحمله عبد الرحمن السدى وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدى عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزته ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بعديثه وتكامل فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث طى وقال إنه صحيح الإسناد وليس كإسناد (١) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذيده كلما عثر الطبراني في الأوسط والحرائطى في مكارم الأخلاق . وقال الحرائطى أقبوا السخى زلته وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزى في اللوضوعات من طريق الدار قطنى (٢) حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخبر أسرع إلى البيت الذى يقضى وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير ولأبى الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذى فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث إن الله يحب الجواد يحب الجود ويحب معالى الأمور ويكره سفاسفها الحرائطى في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز وهذا مرسل وللطبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقى من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأمور وفي الكبير والبيهقى معالى الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة (٤) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فأناه رجل فسأله فأمره بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٥) حديث ابن عمر إن لله عبداً يختصم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السقى وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبى عثمان عبد الله ابن زيد الحمصى ضعفه الأزدى (٦) حديث الهلالى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني الضمر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصل (٧) حديث إن لكل شئ ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح لم أقف له على أصل (٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدار قطنى في غرائب مالك وأبو على الصدقى في عواليه وقال رجاله

على أهله قام فى الباقى
أعطاه الله مثل ثواب
الصف الأول من غير
أن ينقص من أجورهم
شيئاً وقيل إن إبراهيم
الحليل عليه السلام
كان إذا قام إلى الصلاة
يسمع خفقان قلبه
من ميل . وروى
عائشة رضى الله عنها
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسمع
من صدره أزيزاً كأزيز
الرجل حتى كان يسمع
فى بعض سكك المدينة.
وسئل الجنيد ما فرضة
الصلاة ؟ قال قطع
العلائق وجمع المهم
والحضور بين يدي الله
وقال الحسن ماذا يمز
عليك من أمر دينك
إذا هانت عليك
صلاتك . وقيل أوحى
الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه (١) » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لأنما كفه النار قبل وما هو قال للعروف . وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء (٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل لسخي أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع للعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين (٥) » وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل جعل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للعروف وحب إليهم فضاله ووجه طلاب العروف إليهم ويسر عليهم إعطائه كما يسر التيت إلى البلدة الجدة فيحبها ويهجي به أهلها (٦) » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما أوق به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فلي الله خلفها (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة الالهفان (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فهبلى من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب . وقال أبو الخير الأنطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال « يا أبا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي إن أقرب ما أكون منك وأنت تصلي » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة . وقيل إن محمد ابن يوسف الفرغاني رأى حاتم الأصم واقفا يظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ

تقات آتة قال ابن النطان وإتهم لمشاهير تقات إلا مقدم بن داود فان أهل مصر تكلموا فيه . (١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ما عظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر باسناده منقطع وفيه خليس ابن محمد أحد للتروكين ورواه العقيلي من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروي من وجوه كلها غير محفوظة (٢) حديث عائشة الجنة دار الأسخياء ابن عدى والدار قطنى في الاستجداد والخرائطى قال الدار قطنى لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزى في الموضوعات . وقال الذهبي حديث منكر ما آتته سوى جعدر . قلت رواه الدار قطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد اللقوى وهو ضعيف جدا (٣) حديث أبي هريرة إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذى وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوأ الداء البخل ورواه بهذه الزيادة الدار قطنى فيه (٤) حديث اصنع العروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدار قطنى في الاستجداد من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده مرسلًا وتقدم في آداب العيشة (٥) حديث إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس الحديث الدار قطنى في الاستجداد وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينورى أورد ابن عدى له من أكبر وفي الميزان إنه ضعيف منكر الحديث ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفيه صالح للرى متكلم فيه (٦) حديث أبي سعيد إن الله جعل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للعروف الحديث الدار قطنى في الاستجداد من رواية أبي هريرة عن أبيه عن جده مرسلًا وفيه ضعف جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالى وثقه ابن معين وضعفه الجمهور والجملة الأولى منه عند البخارى من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٨) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله

« كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لاحتل السامري فانه سخى وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت (٢) » . الآثار : قال طي كرم الله وجهه إذا أقبلت عليه الدنيا فأفق منها فانها لا تنفى وإذا أدبرت عنك فأفق منها فانها لا تبقى وأنشد :

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالجد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن طي رضى الله عنهم عن اللزومة والتجدة والكرم فقال أما للزومة لفظ الرجل دينه وحفره نفسه وحسن قيامه بنفسه وحسن النازعة والاقدام في الكراهية . وأما التجدة فالقدب عن الجار والصبر في للواطن وأما الكرم فالتبريح بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن طي رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية قليل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعة ثم رددت الجواب طي قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعة . وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بمروءة . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل قمتنا وأعطى ما لئنا وأغضى عن جاهلنا . وقال طي بن الحسين رضى الله عنهما من وصف يذل ماله لطلبه لم يكن سخيا وإنما السخى من يتدىء بحق الله تعالى في أهل طاعته ولا تازعه نفسه إلى حب الشكره إذا كان يقينه بثواب الله تاما . وقيل للحسن البصرى ما السخاء ؟ قال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالمشاورة إلا وإن الله عز وجل يقول : (إني جواد كريم لا يهاورني لثيم والثؤم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضى الله عنده فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل : أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتة فالمال لك

وصى واصل بن عطاء النزال لأنه كان يجلس إلى الغزاليين فإذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها عيشا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن طي إلى الحسين بن طي رضى الله عنهم يشب عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه خير للنال ما وثق به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إفاة الهمان النار قطنى في الاستجداد من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تخدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد الخيري ضعيف (١) حديث كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطنى فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحراطلي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم الحديث وفيه قال إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت النار قطنى فيه من رواية أبي حمزة الخبيري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

لتنسى التحسن أن
تصلى ؟ قال نعم قال كيف
تصلى ؟ قال أقوم بالأمر
وأشقى بالخشية
وأدخل بالهية وأكبر
بالمعظمة وأقرأ بالترتيل
وأركع بالخشوع
وأسجد بالتواضع
وأقعد للتشهد بالتحام
وأسلم على السنة
وأسلمها إلى ربى
وأحفظها أيام حياتى
وأرجع باليوم على نفسى
وأخاف أن لا تقبل
منى وأرجو أن تقبل
منى وأنا بين الخوف
والرجاء وأشكر من
علمنى وأعلمها من
سألنى وأحمد ربى إذ
هدانى فقال محمد بن
يوسف مثلك يصلح
أن يكون واعظا وقوله
تعالى - لا تحمروا
الصلاة وأتم سكارى -

سأل الله تعالى لأخواني الجنة في صلاتي فأبخل عليهم بالمال . وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود . وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس إليك قال من كثرت أياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادي عنده . وقال عبد العزيز بن مروان إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفه عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس في داري قتل يأمر المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال :

إن الصنعة لا تصكون صنعة حتى يصاب بها طريق للصنع

فاذا اصطنعت صنعة فاعمد بها لله أو لدوى القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر إن هذين البيتين ليخلان الناس ولكن أمطر العروف مطرا فان أصاب السكرام كانوا له أهلا وإن أصاب اللثام كنت له أهلا .

(حكايات الأسخياء)

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضيت الله عنها قالت إن معاوية بعث إليها بمال في غراريتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجلت تسممه بين الناس فلما أمست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لهما فطير عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لقلت . وعن أبان بن عثمان قال أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تعدوا عندي اليوم فأتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ما هذا فأخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه أو وجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليخذ عندنا هؤلاء في كل يوم . وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن إن علينا دينا فلا بد لنا من إتيانه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فمروا عليه بيخى عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتغلف عن الأبل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد . وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد أصبت فزدد في بسط يدك وإن لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم^(١) » قال الواقدي فوالله لهذا كرامة المأمون إياي بالحديث أحب إلى من الجائزة وهي مائة ألف درهم . وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لدى ومعرفتي بما يجب لك تكبر على ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت اليسور ورفعت

(١) حديث أنس يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش الحديث وفي أوله قصة مع المأمون

الدار قطنى فيه وفي إسناده الواقدي عن محمد بن اسحاق عن الزهري بالعمنة ولا يصح .

قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام « من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشئ من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه » وقال أيضا « إن الصلاة تمكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول : اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهو خداج » أى ناقصة وقد ورد أن المؤمن إذا تواضعا للصلاة تباعد عنه الشيطان في أقطار الأرض خوفانه لأنه تاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه إبليس قيل يضرب بينه وبينه سراق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلم للملك في قلبه فاذا لم

عنى مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حنك فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر طى للنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه طى تفقاه حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلاثة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال لما فقلت بالحماية دينار قال هى عندى قال أحضرها فأحضرها فدفع الدينارين والدرهم إلى الرجل وقال هات من يحملها لك فأنا بحالين فدفع إليه الحسن رداه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم قال أرجوا أن يكون لى عند الله أجر عظيم. واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتحن كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا حملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطينا ما يشغله عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكمن أعوانه طى تجهيزها فليس لدينا من التدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فقبل وفضلوا. وحكى أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعمن الشيطان أتى عدوه فقال محاورهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حتى نساؤه وقيمتها خمسمائة ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته. وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق طى بن طالب لما وهبت لى نعلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطينك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى إلى القاضى وادع طى بشرة آلاف درهم حتى أقرك بها ثم احببنى فان أهلى لا يتركونى محبوبا فقبل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس. وكان معن بن زائدة عاملا طى المراقين بالبصرة فحضر باه شاعر فأقام مودة وأراد الدخول طى معن فلم يترأ له فقال يوما لبعض خدام معن إذا دخل الأمير البستان فرفنى فلما دخل الأمير البستان أعلاه فكتب الشاعر بيتا طى خشبة وأقامها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن طى رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها:

أيا جود معن ناج معنا بما جنى فمألى إلى معن سواك شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمره بشربد فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان فى اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق طى أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت ما لى درهم ولادينار. وقال أبو الحسن للدائى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حبا جافا فقامهم فجاءوا وعطشوا فرروا بسجوز فى خباء لما قالوا هل من شراب؟ فقالت نعم فاناخوا إليها وليس لها إلا عروبة فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتلقوا لبنها فملاوا ذلك ثم قالوا لما هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليدبها أحدكم حتى أهى لكم ماتا كلون فقام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فأكلوا وألموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لما نحن نمر من قريش تريد هذا الوجه فاذا رجنا سالمين فألمى بنا فانا صائمون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تدبحين شانى قوم لا تعرفينهم ثم تحولين نمر من قريش قال ثم بعد مدة الجأهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجلا يتلان البحر إليها وبيعانه ويتبعشان بمنه

يكنى فى قلبه أكبر
من الله تعالى يقول:
صدقت الله فى قلبك
كما تقول وتشعشع من
قلبه نور يلحق
بلمسكوت العرش
ويكشفه بذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب له
حشو ذلك النور
حسنات وإن الجاهل
العاقل إذا قام إلى الصلاة
احتوشته الشياطين كما
عشوش الذباب طى
قطعة العسل فاذا أكبر
اطلع الله طى قلبه فاذا
كان شىء فى قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر فى
قلبك كما تقول فيشور
من قلبه دخان يلحق
بنتان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ، ثم أمر الحسن فاشترى لها من شياء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعهما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من تقيف فثنى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أتيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استفق هذه فقم ما أدبك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بييرك بنجيبى وكان السخى الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بيير سمين فقال له في النوم نم فباعة في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم فاتبعه الرجل من نومه فاذا الدم يسحج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعث من فلان بن فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعث منه بعيرى بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيت في النوم وهو يقول إن كنت ابنى فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسماه . وقدم رجل من قريش من السفر فرآه رجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقدمه الدهر وأضر به للرض فقال ياهذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لملك استقلت ما أعطيناك ؟ قال لا ولكن ذكرت ماتا كل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عتبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا سيكون لدرهم فقال يا غلام ائتم فأعلمهم أن اللسان والدار لهم جميعا . وقيل بعث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسة دنانير فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيت خمسمائة وتمطيه ألفا وأنت من رعييتى فقال يا أمير المؤمنين إن لى من غاقي كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم نجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عسل فأمرها بزق من عسل فقيل له إنها كانت تقع بدون هذا ؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيشمة بن عبد الرحمن يعودها بالهداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدوا لبنا وكان يحكى لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلثائة

للكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفع فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه . وفي الخبر «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب في آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» والقلوب الصافية التي كل أديها لكمال أدب قوالها تصير سماوية تدخل بالكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب الهامى لا سبيل للشيطان إليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تقطع بالتصنن بالسماء كما تقطع تصرف

ديار من بره حتى تميت أن الشاة لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأسهاء بن خارحة بلقي عنك خصال حدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك ، إلا حدثتني بها فقال يأمر للمؤمنين ممدودت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على من عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح مناديا يامن بيني على التقي اللوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقبل له إتهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادي من كان عليه قيس بن سعد حق فهو منه بريء قال فانكسرت درجته بالعنى لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت التجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونلان فقلت لست من أهل هذا للمسجد فقالوا إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلان . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابوري رحمه الله سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المهاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم مولود قال فبخت إليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكلمتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المهتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فأحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤيأي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا يتسخى نحن أحياء فلما ألقوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أي هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يسلمني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال التوني بتذكرته فأتى بها فظفر فيها فاذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي إياه أي أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سببا الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلقي عنه أنه كان ذات يوم راكباً حماره فمركه فانتطع زره لمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه :

الشیطان والقلوب
الراة بالقرب تدرج
بالتقريب وتخرج في
طبقات السموات وفي
كل طبقة من أطباق
السما يتخلف شيء من
ظلة النفس ويقدر
ذلك يقل الهاجس إلى
أن يتجاوز السموات
ويقف أمام العرش
فبعد ذلك يذهب
بالكلية هاجس النفس
بساطع نور العرش
وتدرج ظلمات النفس
في نور القاب اندراج
الليل في النهار وتأتي
حينئذ حقوق الآداب
على وجه الصواب ،
وما ذكرنا من أدب
الصلاة يسير من كثير
وشأن الصلاة أكبر
من وصفنا وأكمل من
ذكرنا وقد غلط
أقسام وظنوا أن

يا لهف قلبى على مال أجود به على للقلين من أهل المروات
 إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى ما ليس عندى لمن إحدى للصيات
 وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافى رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربعة دنانير
 واعتذر إليه عنى . وقال الربيع سمعت الحميدى يقول قدم الشافى من صنعاء إلى مكة بشرة آلاف
 دينار فضرب خبائه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض
 له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه ثوب . وعن أبي نؤر قال أراد الشافى
 الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يسك شيئا من سباحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال
 ضيعة تكون لك ولولدك قال غفرج ثم قدم علينا فسأته عن ذلك للمال فقال ما وجدت بمكة ضيعة
 يمكننى أن أشتريها لمعرفتى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا
 حجوا أن يزلوا فيه وأنشد الشافى رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسى تنوق إلى أمور يقصر دون مبلغهن مالى

ففسى لا تطاوعنى يخلد ومالى لا ييلفننى فضالى

وقال محمد بن عباد الهلبى دخل أبى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها
 فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين: منع الوجود، سوء ظن
 بالمعبود، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم
 فبكى فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .
 ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلاً قبل منه المدحة وأمر حابسة
 بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأقائه فأقام شهرين فأوحشه طول اللقمة فكتب
 إليه يقول :

إن حراما قبول مدحتنا وترك ما ترجى من الصدف

كما الدرهم والدنانير فى البسبح حرام إلا يبدأ

فلما وصل البيتان إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا
 وجنى بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأناك عاجل برنا قلا ولو أمهلتنا لم تقل

نخذ القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان لعثمان بن طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد
 فقال له طلحة قد تهيأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سعدى
 بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه تقلا قلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندى مال وقد غمى قلت
 وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام على بقوى قسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف .
 وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتغرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم ما سألتى بها أحد قبلك إن لى
 أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت بعثها من عثمان ودفعت إليك
 الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفق إليه الثمن : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك
 فقال لم يأتي ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانى . وآتى رجل صديقا له فذق عليه
 الباب فقال ما جاء بك ؟ قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكى
 فقالت امرأته لم أعطيه إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقده حاله حتى احتاج إلى مفاتحنى
 فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للتصود من الصلاة
 ذكر الله تعالى وإذا
 حصل الذكر فأى
 حاجة إلى الصلاة
 وسلوكوا طرقا من
 الضلال وركبوا إلى
 أهاطيل الحيال ومحو
 الرسوم والأحكام
 ورفضوا الحلال
 والحرام وقوم آخرون
 سلكوا في ذلك طريقا
 أدتهم إلى نقصان الحال
 حيث سلوا من
 الضلال لأنهم اعترفوا
 بالفرائض وأنكروا
 فضل النوافل واعتروا
 بيسير روح الحال
 وأهملوا فضل الأعمال
 ولم يعلموا أن الله فى
 كل هيئة من الهيئات
 وكل حركة من
 الحركات أسراراً
 وحكماً لا توجد فى شيء
 من الأذكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحسبن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطروا وما غفلوا به يوم القيامة - وقال تعالى - الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكنمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة »^(٣) وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للرب بنفسه »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ينفق ثلاثة الشيوخ الزاني والبخل المنان واللعيل الختال »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل النفق والبخل كمثل رجلين عليهما جيتان من حديد من لدن نديهما إلى تراقيهما فأما النفق فلا ينفق شيئا إلا سبغت أو فرت على جلده حتى تخفى بنانه وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بترقيه فهو يوسعها ولا تتسع »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا »^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واقفوا الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالهجر فهجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم الحديث من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا منان أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهى عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء الملكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله ينفق ثلاثة الشيوخ الزاني والبخل المنان والفقير الختال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل المنان وقال فيه النقي الظلوم وقد تقدم للطبراني في الأوسط من حديث طي إن الله ينفق النقي الظلوم والشيخ الجهور والمائل الختال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل النفق والبخل كمثل رجلين كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالهجر فهجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

والأعمال روح وجسمان
وما دام الصبد في
دار الدنيا إعراضه
عن الأعمال عين
الطيبان فالأعمال تزكو
بالأحوال والأحوال
تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع
والثلاثون في فضل
الصوم وحسن أثره]
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « الصبر نصف
الايمان والصوم نصف
الصبر » وقيل ما في عمل
ابن آدم شيء إلا
ويذهب بردًا للظالم
إلا الصوم فإنه لا يدخله
قصاص ويقول الله
تعالى يوم القيامة هذا
لي فلا ينقص أحد منه
شيئا . وفي الخبر
« الصوم لي وأنا أجزى
به » قيل أضافه إلى

« شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع (١) » وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت : واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فلهه كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه (٢) » وقال جبير بن مطعم « بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقلعة من خير إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة غطفت رداه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالله تقي يده لو كان لي عدد هذه العضاء نعمنا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا (٣) » وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا قتلته غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخبروني بين أن يسألوني بالقحش أو يبخلوني ولست ياخذ (٤) » وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بعر فأعطاها دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنثيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسأني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل (٥) » وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجدوا يحد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان صدره المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار (٦) » وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخيل (٧) »

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث وإسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر القحش (١) حديث شرما في الرجل شح هالع وجبن خالع أبو داود من حديث جابر بسند جيد (٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فلهه كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والبرقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذي إلا أن رجلا قال له أبشر بالجنة (٣) حديث جبير بن مطعم بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقلعة من حنين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قبا الحديث وفيه ولست ياخذ (٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأنثيا وقالا معروفا الحديث وفيه ويأبى الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراز نحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بعر ورواه البراز من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم تقات (٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدوا يحد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أقف له على إسناد (٧) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ في الجنة إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده .

تفه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصائمون - الصائمون لأنهم ساءحوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - م الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفراغاً وبجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان همهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فند بن الحبان من سيدكم يا بني الحبان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أودأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح^(١) » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس ، فقال بهم تسودونه؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنما على ذلك ثرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أودأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء » وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل^(٣) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد^(٤) » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل^(٧) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتينى يسألنى فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقني ببارك فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لو قت بين الركن والقمام ثم صليت ألقى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لثيم لأكبك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فاعما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون -^(٨) » الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني الحبان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث علي إن الله يفيض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إلا إسنادا (٣) حديث أبي هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بلفظ ولجاهل سخى وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النسائي وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغي لمؤمن أن يكون جباناً ولا بخيلاً لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لا تحرقني ببارك الحديث بطوله وهو باطل لأصل له .

يحيى بن معاذ إذا ابتلى للريد بكثرة الأكل بكت عليه اللائكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه بيس كل عضواً واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضائه وأمكن الشيطان ، والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده اللائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تزيني قزيفت ، ثم قال لها اظهري أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسليم فتفجر منها في الجنان أنهار الحمز وأنهار السل والبن ثم قال لها اظهري سرورك وحبالك وكراميك وحليك وحللك وهور عينك فأظهرت فظفر إليها قال تكلمي قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لأسكنك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف البخيل لو كان البخل قيسا ما بسته ولو كان طريقا ما سلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يعبد البخلاء لكننا نتصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله ب قوم شرأ أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان يعضو بعض اللوسر على مافي يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم - وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على مافي يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذي يبخل بما في يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أهد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من أتى سغيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأبيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوة ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النجحة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - قال البخل أمك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلقا وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصبعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صفر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأعما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لأرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يعمل على الاستصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يفن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : واقه ما استقصى كريم قط حقه . قال الله تعالى - عرّف بعضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بقى من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخيل ^(١) » . « ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخيلا قال فما خيرها إذا ^(٢) » وقال بشر : النظر إلى البخيل يفسد القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا أفاعلا وبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن العزّز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه . ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخيل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال له لم قال لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهاجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث انك لبخيل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخيلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخيل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يخرج الشارح أيضا في نظره .

قائما ويصافق الشيطان
شعبانا قائما فكيف
إذا كان نائما قلبه
للريد الصادق يصرخ
إلى الله تعالى من طلب
النفس الطعام والشراب
دخل رجل إلى
الطيالى وهو يأكل
خبزا يابساقده بالماء
مع ملح جريش فقال
له كيف تشتهي هذا
قال أدعه حتى أشتبه
وقيل من أسرف في
مطعمه ومشربه يجعل
الصغار والدلّ إليه في
ديناه قبل آخرته وقال
بعضهم الباب العظيم
الذي يدخل منه إلى
الله تعالى قطع الغذاء
وقال بشر إن الجوع
يصفى الفؤاد ويميت
الهوى ويورث العلم
الديق وقال ذوالنون
ما أكلت حتى شبع

وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به السكر والموت فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك : تقياً ما أكلت فقال هاه أنتقياً طباهجة بيض الموت ولا ذلك، وقيل أقبل أعرابي بطلب رجلا وبين يديه تين فظفى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئا فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بجياني أي صوت تشهني أن أسمك قال صوت القلى . وبخى أن محمد بن يحيى ابن خاله بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فمثل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي قدر في قدر ومحافه منقورة من حب الحشخاش قيل لمن يحضرها قال الكرام السكاتبون قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب فقال سوانك بدت وأنت خاص به ووثوبك محرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوء إبراهيم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوت النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فاذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لاتأكل إلا الرءوس في الصيف والشتاء فلم يتخار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فأمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغتني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إذ مس عينا أو أذنا أو خذا وقتت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك إن رجعت بالجزارة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفا فأعطاها أربعة دنانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعا صديق له فرد اللحم إلى الفصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فأبى عليه الأعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فترّب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والإوا الله خرجت إليك بالعصا قال فداه الأعمش وقال اذهب وبخك فلا والله مارايت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فوالله مازادني عليهما .

(بيان الإيثار وفضله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه للحاجة أو لتغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكيف من بخيل بمسك المال ويعرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا ينعم منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أيما امرئ اشتهى شهوة فردت شهوته وآثر على نفسه غفر له (١)» وقالت عائشة رضي الله عنها « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أيما رجل اشتهى شهوة فردت شهوته وآثر على نفسه غفر له ابن حبان في الضملاء وأبو الشيخ

ولا شربت حتى رويت
الإعصيت الله وأومت
بعمية . وروى القاسم
ابن محمد عن عائشة
رضي الله عنها قالت :
كان يأتي علينا الشهر
ونصف شهر ما تدخل
بيتنا نار لا لمصباح
ولا نسيير قال قلت
سبحان الله فبأى
شيء كنتم تعيشون
قالت بالتمر والماء وكان
لنا جيران من الأنصار
جزاهم الله خيرا كانت
لهم منافع فربما واسونا
بشيء . وروى أن
حفصة بنت عمر رضي
الله عنها قالت لأبيها
إن الله قد أوسع الرزق
فلو أكلت طعاما
أكثر من طعامك
ولبست ثيابا ألبين من
ثيابك فقال إني
أخاصمك إلى نفسك

حق فارق الدنيا ولوشئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا (١) و نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) « فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمه فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلتف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصاصته به من بينهم وهو الإيثار ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استجيت من محاسن بوابه من جنتي حيث يشاء . وقيل خرج عبدا لله ابن جعفر إلى ضيعة له فترى على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الصلابة بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه ، وقال عمر رضي الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخي كان أحوج مني إليه فبعت به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني آخيت بينكما وجملت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاخترارا كلاهما الحياة وأحبها ، فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة أهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول يخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكى أنه اجتمع

ألم يصكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لعل أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما نخلت لعمري دقيقا إلا وأنا له عاص . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله . وقالت عائشة رضي الله عنها : أدبوا قرق باب الملكوت يفتح لكم ولو كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظما . وقيل ظهر إليس ليحي بن زكريا عليها السلام وعليه معاليق قال ما هذه قال

في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وللشيخين ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجملت عمر أحدكما أطول من الآخر

من غير مسأله على رؤيه التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤيه أن المال لله تعالى والعبء لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤيه الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول : المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل وبخل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو الحمد وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والافتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصارها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمرءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخي بالتسكف أو الذي يتيمم الحبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخيل . وأما واجب المرءة فهو ترك الضايقة والامتصاص في المحقرات فان ذلك مستقيم واستتباع ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن أكثر ماله استتبع منه مالا يستتبع من الفقير من الضايقة ويستتبع من الرجل الضايقة مع أهله وأقاربه ومما يليه مالا يستتبع مع الأجانب ويستتبع من الجار مالا يستتبع مع البعيد ويستتبع في الضايقة من الضايقة مالا يستتبع في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من الضايقة في ضيافة أو معاملة وبما به الضايقة من طعام أو ثوب إذ يستتبع في الأظعمة مالا يستتبع في غيرها ويستتبع في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستتبع في غيره من الضايقة وكذلك بمن معه الضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه الضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو طالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقدار له ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرءة أهم من حفظ المال والضايقة في الدقائق مع من لا تحسن الضايقة معه هانك ستر المرءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المرءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الغرض بخيل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركز إلى العادة وتتسع بالشهوة . وقيل الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان كان لإحالة فلت لطعامه وثلاث لشرا به وثلاث لنفسه » وقال فتح اللوصلى : محبت ثلاثين شيئا كل يوصيني عند مفارقتى إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار]
جمع من للشاخي

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج لمنعه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس طي غيرها ويختلف استتباع ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الروءة الاثقة به فقد تبرأ من البخل ، نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبدل زيادة طي ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتهمت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه للامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المروف وراء ما توجه العادة والروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو يباع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما آدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لفرض ولكنه إذ لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقه من تقعيبه من النعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معجلة له عليه فهو محتاض لاجواد كما روى عن بعض التبعيدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلى عماشت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عنكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهه قالت تريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالت ولما قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنه عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيت واحده وأخذت عشرة فبأي شيء تسخيت عليه قالوا لها فما السخاء عنكم يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متممين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تتحيون من الله أن يطاع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشئ إن هذا في الدنيا لتيسح وقالت بعض التبعيدات أعجبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل فقيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تلتها لله عز وجل ويسخو قلبك يبذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا أجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحزن أن تختار لنفسك.

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فانه يقدر بقاهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجبنة مجبلة ^(١) » فاذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بحجى الرزق قوى البخل لا محالة. السبب الثاني : أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زاد في رواية محزنة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزن نغرواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يدعون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهسد به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أياما فاذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيق عليه جهنم هكذا وعقد تسعين « أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

المرض بل صار عجا للدنانير عشقها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت تضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عسير العلاج لا سيما في كبار السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبه لذلك لأن الموصل إلى اللذيق لذيذ ثم قد نسي الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقافهوا جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الأمل بكثير ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبه في جمع المال وضياعه بعدم تعالج الثغرات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكف من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شروان ولده إن كان تقيا صالحا فانه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على النصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستباحتهم له فانه ما من بخيل إلا ويستبجح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقدر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يفكر في مقاصد المال وأنه لما ذاق خلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الحاضر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يهده الفقر ويخوفه ويصده عنه . حتى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عنى القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تغيب وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول المشق إلا بفارقة المشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لورماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الخليل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن يعطف بعد ذلك على الرياء ويزيه به بلاجه ويكون طلب الاسم كالتسليفة للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا يخيل واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلب بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلب الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقام من علة ويزيد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يتقل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الليث تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك مارواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بضاحق ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تفتانان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائمة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يجمعها ويجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع الضاية بمحوها وإذا بتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يصل بعفتها فانها تقتضى لامهالة أعمالها وإذا خولقت خدمت الصفات وماتت مثل البخل فإنه يقتضى إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعاً وسقط التعب فيه فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد بقوى البخل بحيث يسمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه وإذا لم تحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في حريد فرحه بزأوته وما فيها تعلقه إلى زاوية غيرها وتقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوباً خلقاً لا يميل إليه قلبه فهذا يتخاف القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألت به مصيبة بقدر حبه فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد ساب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقير والمهلك . حمل إلى بعض اللوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديداً فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقراً قال كيف قال إن كسر كان مصيبة لا يجرب لها وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجدمثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقير ثم اتفق يوماً أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم إيتيه لم يحمل إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله إذ تمتمهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ إلا بالحراثة والحراس والحراثة لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفتى ومن عرف آفة المال لم يأس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبدله بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة.

(بيان مجموع الوظائف التي على الصديق ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقى ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله معها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما ذاق خلق وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتب ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما التالب عليه الحرام كمال السلطان ويحتنب الجهات المكروهة الفاحشة في الروء كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة والسؤال الذي فيه الذلة وهتك الروء وما يجري مجراه . الثالثة : في التقدير الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل التقدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام ما مثلاً إلى جانب القلة ومتفرقاً من حد

يوماً ويخطر يومين
ومنهم من كان يصوم
يوم الاثنين والخميس
والجمعة . وقيل : كان
سهل بن عبدالله يأكل
في كل خمسة عشر يوماً
مرة وفي رمضان يأكل
أكلة واحدة وكان
يمطر بالماء القراح
للسنة . وحكى عن
الجنيد أنه كان يصوم
على الدوام فإذا دخل
عليه إخوانه أظفروهم
ويقول ليس فضل
الساعدة مع الإخوان
بأقل من فضل الصوم
غير أن هذا الاقطار
يحتاج إلى علم فقد
يكون الداعي إلى ذلك
شره النفس لا نية
للوافقة وتخليص الية
لحض الموافقة مع
وجود شره النفس
صعب ، وصعبت شيخاً

الضرورة كان حقا وبهي من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لمعقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويقتصد في الاتفاق غير مبذر . ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يرضه في غير حقه فان الاسم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك والاتفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ما يمين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار وفراش وآنية لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يعتمد منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حبه للمال جوهرها وترباها واتقى منها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأني ذلك إلا لمن رسع في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامى إذا تشبه بالعامى في الامتكار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شبه الصبي الذي يرى للرمز الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترباها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدنا فيأخذها اقتداء به فنقتله في الحال إلا أن قيل الحية يدرى أنه قتل وقتل السال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قيل :

هي دنيا كحكة تفتت السم وإن كانت الحبة لانت

وكما يستحيل أن يقبض الأعمى بالبصير في تحظى قتل الجبال وأطراف البحر والطرق والشوك والفلح
أن يقبض العامى بالعالم الكامل في تناول السال .

(بيان ذم النفي ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل النفي الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من النفي على الجملة من غير التفات إلى تخصيص الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فضل ذكره الحرث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم العامة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار البادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فياسوء ما تحكمون بتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما يرضى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الثقل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقض من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفقدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للذليين وتقيمون في محل التعجيرين

يحول إلى سنين ما أكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم إلى النبي فأراه من فضل الله ونعمته وفضله فأوافق الحق في ضله . وذكر أنه في ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عاداته تقديم الطعام إليه قال ففتحت باب البيت الذي فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت السنسور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفي في أخذ الرمانة . ورأيت الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام في اليوم مرات أي وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار في ما كوله وملبوسه

كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يعني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يعني عندكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متعللة بإبيد الدنيا لا كسيد أضياء ولا كأحرار كرام توهك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتطيقكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلكم إلى الملك الديان امرأة فرادى فوقصكم على صواتكم ثم يميزكم بسوء أعمالكم . ثم قال الحرث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وأكروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وعين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يفو الكريم فضله [وبعد] فأنفذ أيت المالك المؤثر للدين سروره بمزوج بالتنصيص فيتنجر عنه أنواع المومنون والمعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح المالك برجائه فلم يتقبله دنياه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الحسران المبين - فيالها من مصيبة ما أنظمتها ورزية ما أجلها ألا فرأبوا الله إخواني ولا يفرنكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالحجج الداحضة ضد الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأقسام الماذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيتزين المترورون بذكر الصحابة ليحرم الناس على جمع المال ولقد هداهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها القتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان بنطق بها على لسانك قبلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أرادوا المال لتكاثروا والثرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أهدى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرحلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهدة في هذا الخير الذي رغبته فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أهدى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهامهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهامهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لبيادة حين نهامهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهامهم عنه وأنت عليهم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبته في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها القتون تدبر بقولك ما ذهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ودَّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يوت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضطربا يريد كعبا فرأى بعظم لحي بعير فأخذ بيده ثم انطلق يريد كعبا فيقبل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث التهي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجر بين الحديث ولأبي نعيم والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحرث بن سويد في أثناء الحديث لا يجمعوا مالا تأكلون وكلاهما ضعيف .

وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يرمي مثلها حتى قل أنه كان يتيقأيا لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء وينظر فعل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحالته من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتلامذة وكانوا يتكلمون الأطعمة ويأتون به إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق ولواقفة . سمته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبي الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله . وحكى عن بعض

أبي ذرّ قال له أبو ذرّ هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً نحو أحد وأنا معه فقال « يا أبا ذرّ قلت ليك يا رسول الله فقال : الأثرون هم الأثلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعماله وقدمه وخلفه وقليل مما هم ثم قال يا أبا ذرّ قلت نعم يا رسول الله بآبي أنت وأمي ، قال ما يسرني أن لي مثل أحد أشفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذرّ أنت تريد الأثرون وأنا أريد الأثول (١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفاً حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه غير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل غير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيًا ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا (٢) » فقال عبد الرحمن إن الصبر وما عليها في سبيل الله وإن أرقهاها أحررا لعلني أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا (٣) » ويحك أيها اللغتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراء بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرسات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأتفق منه قصداً وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السمي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يجمع في آثارهم حبوا . فساظنك بأمثالنا العرق في فنن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشهات والسحت وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة والباهاة وتقلب في فنن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبيل غروب الشمس إلا في رمضان. وقال أبو نصر السراج أنكروا هذه المخالفة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم قد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا تسلسل والأليق بموافقة العلم إيماء الصوم قال الله تعالى -ولا تبطلوا أعمالكم- ولكن أهل الصدق لهم نيات فيها يفعلون فلا يمارضون والصدق

(١) حديث أبي ذرّ الأثرون هم الأثلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذرّ عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الهامسي بلغني كاذكره للمصنف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخضر . من هذا ولفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهب الحديث وفيه ابن لميعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والمسلمين شفا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر قراء المهاجرين والمسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالد بن أبي مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

أنتك إن جمعت المال قد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلمهم ويعحك إن هذا من قياس إبليس ومن قتيابه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف ضائعحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتغفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وندموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يخفلوا بها لكنهم جادوا الله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبأنه أكَذَلِك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أختيار الصحابة كانوا للسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبأنه في أرزاقهم واتقن وعقد الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين إيتالوا من الدنيا إلا البياح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا حرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبأنه أكَذَلِك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشمار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيئا حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إنى إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لى بآك محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا ومايراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعمهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أكَذَلِك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها المقتون ضد الأحوالهم وذلك أنك تطفى عند القنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتفعل عن شكر ذى النعماء وتفقط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من السكنة وذلك غفر المرسلين وأنت تأنف من غفرم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بصفائه وكفى به إيما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتى الذين غدوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم (١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجى يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أولتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك السكت في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره لقاء الله والله لقاتك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتمرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمد لنيه كيف كان
والصادق في خفارة
صدقه كيف تقرب وقال
بعضهم إذا رأيت
الصوفى يصوم صوم
التطوع فاتمه فانه قد
اجتمع معه شيء من
الدنيا . وقيل إذا كان
جماعة متواقفين
أشكالا وفيهم صريد
يحتونه على الصيام فان
لم يساعدهم يهتموا
لافطاره ويتكفوا له
رفقاه ولا يحملوا حاله
على حالهم وإن كانوا
جماعة مع شيخ
يصومون لاصومه
ويفطرون لافطاره إلا
من يأمره الشيخ بغير
ذلك . وقيل إن بعضهم
صام سنين بسبب شاب
كان يصحبه حتى ينظر
الشاب إليه فيتأذب
به ويصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمتى الذين غدوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسرّبها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تفتى بأمور دنياك أضعاف ما تفتى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للموت والرفضة في الدنيا وعساك ترضى الخلوطين ما خاطأه تعالى كما تكرم وتمظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من الخلوطين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العيب أعلى عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الأبواب وهذه الثالب فيك أف لك متلوثا بالأقذار وتحتج بحال الأبرار هيات هيات ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيها أحل لهم أزهده منكم فيما حرم عليكم إن الذى لا بأس به عندكم كان من اللوغات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبار نخاصى فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إنطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغنى عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهتهم ما زوى عنهم منها لمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في الموت وعند الله وفريق أمثالكم في السفالة أوبهوا الله الكريم بفضله [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتخلف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا. لقد بلغنى أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام أقتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوتك بسبب البر في اكتساب الشبهات المزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) أيها القرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لتدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبدلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشبهات وإتباع جمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالنفاق في الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا للسؤال وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سررتني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشفاني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمتك الله ؟ قال لأني غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

ويحك عن أبي الحسن
اللكى أنه كان يصوم
الدهر وكان مقبلا
بالصرة وكان لا يأكل
الحبز إلا ليلة الجمعة
وكان قوته في كل شهر
أربع دوايق يعمل
يسده جبال الليف
وبيعها وكان الشيخ
أبو الحسن بن سالم
يقول لأسلم عليه
إلا أن يظطر ويأكل
وكان ابن سالم اتهمه
بشهوة خفية في ذلك
لأنه كان مشهورا
بين الناس وقال
بعضهم ما أحاسن لله
عبد قط إلا أحب أن
يكون في جب لا يعرف
ومن أكل فضلا من
الطعام أخرج فضلا
من الكلام وقيل أقام
أبو الحسن التنبسي

(١) حديث من أحب الدنيا وسرّبها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلافا للحارث بن أسد الهاشمي كما ذكره الصنف عنه (٢) حديث من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

فياً كلون ويتمتون والآخرون جناة على ركبهم فيقول قبلكم طلبكم أتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتكم فيما أعطيتكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرتني أبني حمر النعم ولا أكون في الرعيل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المتقين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجليين من التخلف والاقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغني « أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خفتته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فصاد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وماعه أحد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قلت له فذاك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني قلت إليك عنى فقالت إن تتج مني يا محمد فإنه لا ينجو مني من جسدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني فقطعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلال ويحك أنت في أنواع من النوم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الاقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للصطفى لنظرن إلى أهوال جزعت منها اللأمسة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك العاق ولئن أزدت الكثرة نصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تنزع بالتقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال للتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم التتمين ولئن خالفت أحوال التتمين لتكوتن من المهتسين في أهوال يوم الدين فتدبر ويحك ما سمعت [و بعد] فان زعمت أنك في مثال خيار السلف فنع بالتقليل زاهد في الحلال بنول المسالك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئاً. لعدك مبغض للتسكّر والنقي راض بالفقر والبلا فرح بالقلة ولسكنة مسرور بالقل والضة كاره للعلو والرفعة قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توفى في السائلة ولن يحاسب مثلك من التتمين وإنما تجمع المال الحلال للبدل في سبيل الله ويحك أيها الغرور فتدبر الأمر وأمن النظر أما عدت أن ترك الاشتغال بالمسالك وفراغ القلب للذكر والتذكر والتفكير والفكر والاعتبار أسلم لادين وأيسر للحساب وأخف للمساءلة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأطهر لتدرك عند الله أضعافاً بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلاً في حجره دنائير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكراً أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدم نفسه وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد واقه ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمسالك إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنتم لعبسك وأرضى لبالك وأقل لهموك لما عذررك في جمع المسالك وإن تركت للمسالك أفضل ممن طلب المسالك لأعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بدل المسالك في سبيل الله

يصوم أيام البيض
فايض ثلث جسده
بكل يوم صامه حتى
ايض جميع جسده
بصيام أيام البيض
ويستحبون صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان يوم أو
يومين وكان يكره
بعضهم أن يصام رجب
جميعه كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم العشر من ذي
الحجة والعشر من
المهرم ويستحب الخميس
والجمعة والسبت أن
يصام من الأشهر الحرام
وورد في الخبر من صام
ثلاثة أيام من شهر

- (١) حديث يدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتون ويأكلون الحديث لم أر له أصلاً
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البرار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فذمنا بجراب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [وبعد] فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأسى بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء الصلطي سابقا إلى جنة لأوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تعدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرصا وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتب ما يضيئه يسمى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه - فأوثقك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (١) » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بهذه البيان فانك مبطل فيما ادعيت أنك لله والفضل تجمعه لأولئك خوفا من الفقر تجمعه ولتتم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمة والتنظم والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحى من دعوئك أيها النور ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير في الرضا بالبلغه ومجانبة الفضول ، نعم وكن عند جمع المال مزييا على نفسك معترفا باسماءك وجلا من الحساب فذلك أجمي لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال . إخواني اعلو وأن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال . مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضائرهم وحسن نياتهم دينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في سعادة الخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على النفي ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أمالك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا فتمت كما ينمو الدود فضافت عليه المدينة فتحنى عنها فترل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والمصر في الجماعة ويدع ما . وإم ثم تمت وكثرت فتحنى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقي الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يا رسول الله أخذ غنا فضافت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم . وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلم رجلا من جبينه ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذوا الصدقة من المسلمين وقال مرة ثعلبة بن حاطب وبخلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما

وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تعدى لم يجد عشاء الحديث عزاء صاحب مستند القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في معارج الطبراني

حرام الخبيص والجمعة
والسبت بعد من النار
سبعمئة عام .
[الباب الحادى
والأربعون في آداب
الصوم ومهامه]
آداب الصوفية في
الصوم ضبط الظاهر
والباطن وحكف
الجوارح عن الآثام
كنع النفس عن الطعام
ثم كف النفس عن
الاهتمام بالأقسام صمت
أن بعض الصالحين
بالدراق كان طريقه
وطريق أصحابه أنهم
كانوا يصومون وكلما
فتح عليهم قبل وقت
الافطار يخرجونه ولا
يفطرون إلا على ما فتح
لهم وقت الافطار
وليس من الأدب أن
يسك الريد عن
المباح ويخطر بحرام

فخرجنا حتى أتينا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى نغزوا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما قام إلى خيار أسنان إليه فمزها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بل خذوها نفسي بها طيبة وإنما هي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا ثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأاهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فأنزله الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله نخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فدفع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منحنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أتى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان ^(١) فهذا طغيان للال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة القفر وشؤم النبي آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله قام وقتت معي حتى وقتت ياب منزل فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أودخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بئسك بالحق نبيا ما على إلا لعناء فقال اصنم بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى إليهم لآلة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أتى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فو الله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبا وقال لها أبحري فو الله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لأذى فيها ولا صخب ثم قال لها انصبي في إناء من عذيقك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة ^(٢) و

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ناهية قبلت تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوجتك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة لم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وصات النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة تهودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلما وأكرم

الآثم قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يفنون قيام الحقي وصيامهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال القفرين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقال الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطر وإلا فإذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما قوتوه وقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لهم أن الاتسار على الضرورة مجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت
 الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم
 لم يشك في أن قد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق
 والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الملم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر
 إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم
 عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فأتيا إلى شط نهر جلسا يتعذبان ومعهما ثلاثة
 أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فحرب ثم رجع فلم
 يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية
 وبها خشفان لها قال فدعا أحدهما فاتاه فدبعه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف
 تم باذن الله فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدرى
 ثم اتبها إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك
 هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدرى فاتبها إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع
 ترابا وكثيما ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا قصمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث لي وثلاث لك
 وثلاث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فاتبسى
 إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأراد أن يأخذه منه ويقتله فقال هو بيننا أثلاثا فابتشوا أحدكم
 إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأى شيء أقاسم هؤلاء هذا
 المال لكنى أضع في هذا الطعام صما فأتلهما وأخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذاك الرجل لأى
 شيء نجعل لهذا ثلث للمال ولكن إذا رجعت قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا
 الطعام فماتا فبق ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك
 الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء
 مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تهنأوا تلك القبور وكنسوها وصلوا
 عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين
 إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين
 صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتى فأبيت فما أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك
 حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أرا أحد من الأمم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم
 دنيا ولا شيء . أفلا تأخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا إنما كرهناها لأن أحدنا لم يعط منها شيئا
 إلا نأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احترقتم قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها
 فكنتموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعنا قبورنا من الأمل . قال
 وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا تأخذتم البهائم من الأنعام فاحتببتموها وركبتموها
 فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن آدم
 أدنى العيش من الطعام وأبما ما جاوز الخنك من الطعام لم نجعله طعاما كأنما كان من الطعام ثم بسط
 ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال إذا ذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن
 هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فنشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه
 ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول

أنهت لله تعالى في
 شيء واحد على
 الضرورة تأدى ذلك
 إلى سائر أحواله فيصير
 بالأكل النوم ضرورة
 والقول والفعل ضرورة
 وهذا باب كبير من
 أبواب الخبز لأهل
 الله تعالى يجب رعايته
 واقتضاه ولا يخفى بعم
 الضرورة وفائدتها
 وطبها إلا عباد إربد الله
 تعالى أن يقربه
 ويدينه ويصطفيه
 ويريه ويمتتع في
 صومه من ملاعبة
 الأهل واللامسة فإن
 ذلك أزه للصوم
 ويتسحر استعمالا
 للسنة وهو أدمى إلى
 إضناء الصوم لمضين
 أحدها عود بركة
 السنة عليه والثاني
 التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية قال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدري ومن هو قال هذا ملك ملكة الله
 بده قد كان يرى ما يصنع القدي قبله بالناس من النشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع له عز وجل وأمر
 بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يحجزه به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة
 ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر إذا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين
 هل لك في صحبتي فأخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هنا المال قال ما أصح أنا وأنت في
 مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال
 ولم قال يادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا ينادي برفضي لك ولما عدى
 من الحاجة وقتة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متجنباً منه ومتعظاً به فهذه الحكايات تدل على
 آفات التي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، ويليهِ كتاب ذم الجاه والرياء .)

﴿ كتاب ذم الجاه والرياء ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

- الحمد لله علام الغيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كباثر الذنوب ، العالم بما يحنه الضائر
 من خفايا الصيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، القدي لا يقبل من الأعمال إلا ما كل ووفى
 وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فانه التفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،
 والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه البرئين من الحيانة والإفك ، وسلم تسليماً كثيراً .
 [أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة
 الخفية التي هي أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ^(١) » ولذلك عجز عن الوقوف
 على غوائلها ممارسة العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن
 مكابدها وإنما يتل به العلماء والعباد والشعرون عن ساق الجد لسلك سبيل الآخرة فاتهم مها قهروا
 أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات
 عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير
 وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لغة القبول عند الخلق ونظراً إليه بين الوفاق
 والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخالق ولم تقع اطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس
 ولم تقع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقية الشهوات وتحمله مشاق العبادات
 أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التكريظ والإطراء ونظروا إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا
 بمشاهدته ولقائه ورغبوا في ركعة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالحمد والثناء وأكرموا في الحافل
 غاية الإكرام وما سمعوه في البيع والعمالات وقدموه في المجالس وآثروا بالمطاعم والملابس وتصاغروا له
 متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لغة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب
 الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والمفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

﴿ كتاب ذم الجاه والرياء ﴾

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شداد
 ابن أوس وقالوا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيفه وهو عند
 ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بألف المصنف .

الصيام ، وروى أنس
 ابن مالك عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 قال « تسحروا فإن في
 السحور بركة »
 ويسجل الفطر عملاً
 بالسنة فإن لم يرتد تأول
 الطعام إلا بعد العشاء
 ويريد إحياء ما بين
 العشاءين بفطر بالماء
 أو على أعداد من
 الزبيب أو التمر أو
 يأكل لقبات إن كانت
 النفس تنازع ليصفوله
 الوقت بين العشاءين
 فإحياء ذلك له فضل
 كثير وإلا فيقتصر
 على الماء لأجل السنة
 أخبرنا الشيخ العالم
 ضياء الدين عبد الوهاب
 ابن علي قال أنا أبو الفتح
 الهروي قال أنا أبو نصر
 الترياقى قال أنا أبو محمد

في الباطن لثة اللذات وشهوة للشهوات فهو يظن أن حياته بالله وعبادته الرضية وإنما حياته بهذه الشهوة لطيفة التي تسمى عن حركها المقول النافذة القوية ويرى أنه غاص في طاعة الله ومجتنب لحازم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحاً بما نالت من الفزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريدة للتائقين وهو يظن أنه عند الله من التزمين وهله مكيمة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهولة لا يرقى منها إلا القربون ولتلك قيل آخر ما يخرج من رحوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الماء الدفين التي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته ولخبر منه ويتضح الفرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجله والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجله وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوباً أعمد من حب المال وبيان أن الجاه كال وهمي وليس بكال حقيقي وبيان ما عمد من حب الجاه وما ينم وبيان السبب في حب المدح والتناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم فهي اثنا عشر فصلاً منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل الهمم والحمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « محب للراء من الشر إلا من عصمه الله من سوء أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) وقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً ولا بأس به إذا روي هذا الحديث قيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يكن هذا وإنما عني به المبتدع في دينه والفاسق في دينه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكروا تعلموا كتم واصمت أسلم تسر الأبرار وتغيظ التجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتاني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقتة قام عفاة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفراس نار . وقال سليم بن حنظلة بينما نحن حول أبي ابن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر ففلا بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما صنعت فقال إن هذه ذلة للتابع وقتنة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه الله أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرًا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفي بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة وديناه بالفسق وإسنادها ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قلل أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الأنصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرعة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبادي إليّ أحبهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما جعلوا الفطر » والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من لبن ماء أو مذقة من لبن

فواقه لو تطلون ما أغلق عليه بابي ما اتبني منكم. رجلان . وقال الحسن إن خفق النعال حول الرجال فلما تلبث عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فلما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صاحب ابن عمير في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتبني ولا تبني إليك وتساءل ولا تستل فافعل . وخرج أبو ب في سفر فنتبه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لحشيت للقتمن الله عز وجل . وقال معمر طابت أبواب على طول قميصه فقال إن الشهرة فما مضى كانت في طولها وهي اليوم في قصيرها . وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كرم هذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأجر تمتد إليهما جميعا . وقال جل لثمن الحرث أوصني فقال أعمل ذلك ركرك وطيب مطمك وكان حوشب يسكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه واتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(بيان فضيلة الجوع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك (١) » . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ (٣) » . وقال أبو هريرة قال ﷺ « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتدخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو قسمهم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمي من لو آتى أحدكم يسأله دينار لم يعطه إياه ولو سأله درهم لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه ولو سأله الجنة لأعطاء إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه إلا هو أتباعه عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (٥) » . وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى ما ذين جبل يسكي عند

أو تمرات . وفي الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بنية . قال سفيان من اغتاب فصدومه وعن مجاهد خصلتان تصدان الصوم البنية والكذب قال الشيخ أبو طالب السكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالائتم بأكل الحرام فقال - سماعون للكذب أكثرون للحدث . وورد في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد وأبي نعيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث جارية بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو آتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه هو أنه عليه .

[١] قول المراتي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير أو وقال الشارح بيض له المراتي طيبم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن ظابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يرفوا قلوبهم مصايح الهدى ينجون من كل غرباء مظلة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل الدين وكان بهار رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وآله في بيتهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فضلى ركتين أو جزفهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تفتت السماء بالعمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من عذابة الفرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إن أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساألني أن أخضك بدعوة ثم قال ما الذي بانك مارأيت قال أطعت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا يبايع العلم مصايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خاقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال مجلت منيته وقل تراه وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء ؟ قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يعين به على عبده ألم انعم عليك ألم أسترك ألم أحمل ذكرك . وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن أدهم ماقرت عيني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني للمؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثق عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإيمانا للطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن للمذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم ، نعم فيه فتنة على الضمائم دون الأقوياء وهم كالفرق الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرقي فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالأولى أن يعرفه الفرقي ليتلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

(بيان فم حب الجاه)

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للمخالي عن الإرادتين جميعا وقال عز وجل - من كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضيفه فيه عيسى بن عبيد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه باسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر النهار حتى كادت أن تهلكا فبعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال قولوا لهما قيثا فيه . الأكلتاهما إحداهما نصفه وما عيطا ولما غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأناه فصبج الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجمل فان امرؤ شامع فليلقني صائم » . وفي الخبر « إن الصوم أمانة

الدينا وزيتها نواف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يخشون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها واطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا تناول به مومه حب الجاه فإنه أعظم لغة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يفتان النفاق في القلب كما يفت للاء البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبان ضاربان أرسلتا في زريبة غنم بأسرع إفسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء (٣) » نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقته)

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان للنتفع بها ومعنى الجاه ملك الدلوب للطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن التنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليها ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسأر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما أنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من العاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اتقاده وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كالا ويدعن قلبه للموصوف به اتقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اتقاد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما أن عجب اللال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستبد بهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو حلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا وبغى أن تكون له الأحرار عبيدا بالبيع والطوع مع الفرح العبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام النزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تدعن له قلوبهم وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحب الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقته وله ثمرات كالملاح والإطراء فان المتقدم للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقد فيئى عليه وكالحدمة والإعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد فى أغراضه وكالإيثار وترك النزاعة والتعظيم والتوقير بالمفاخرة والسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

(١) حديث المال والجاه يفتان النفاق الحديث تقدم فى أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذنبان ضاربان أرسلتا فى زريبة غنم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبى منصور الديلى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمى ويصم .

فايحفظ أحدكم أماته
والصوفى الذى لا يرجع
إلى معلوم ولا يدرى
مق يساق إليه الرزق
فاذا ساق الله إليه
الرزق تناوله بالأدب
وهو دائم الراقبة
لوقته وهو فى إفطاره
أفضل من الذى له
معلوم معد فان
كان مع ذلك يصوم
قد أكل الفضل .
حكى عن رويم قال
اجتزت فى المهاجرة
بعض سكك بغداد
فقطشت فتقدمت إلى
باب دار فاستقيت
فاذا جارية قد خرجت
ومعها كوز جديد
ملآن من الماء البارد
فلما أردت أن أتناول
من يدها قالت
صوفى وشرب بالنهار
وضربت بالكوز

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقد الناس كالا فان هذه الأوصاف كلها تظم عملها في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو بینه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدر وهو أنك تعلم أن الدرهم والدنانير لا غرض في أعيانها إلا لتصلح للطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملبس وإنما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي يقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبدولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الحسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كترًا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آله ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق وينصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والحزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيقة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي الثباب والنصاب وأثبتت الأموال العقار ولا يؤمن فيه النصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظة وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من النصب والسرقه فيها ، نعم إنما تنصب القلوب بالنصريف وتبيع الحال وتغير الاعتماد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فان القلوب إذا أذغنت لشخص واعتقدت كماله يعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فيصعب ما يعتقده لغيره ويقتنع ذلك القاب أيضا ولهذا المنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطرق إلى الأقطار اقتنع القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكة ولا يقدر على استئمانه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقفه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع المضار معلوم كالححتاج إلى اللبس والسكن والطعم أو كالمبتلى بمرض أو بقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع القوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه تحبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراه هذا وهو حب جمع الأموال والموكر الكونز وادخار الذخائر واستكثار الحزائن وراه جميع الحاجات حتى لو كان للمبدوا ديان من ذهب لا يتنى لهما ثابا وكذلك يحب الانسان أن يساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعها أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها يعظموه أو ليروه بمال أو لعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذبه

على الأرض وانصرفت
قال روم فاستحييت
من ذلك ونذرت
أن لا أفسر أبدا
والجماعة الذين كرهوا
دوام الصوم كرهوه
لمكان أن النفس إذا
ألفت الصوم وتمودته
اشتد عليها الإفطار
وهكذا تعودها
الإفطار تكره الصوم
فيرون الفضل في أن
لا تركزن النفس إلى
عادة ورأوا أن إفطار
يوم وصوم يوم أشد
على النفس . ومن
أدب الفقراء أن
الواحد إذا كان
بين جمع وفي محبة
جماعة لا يصوم إلا
بإذنها وإنما كان ذلك
لأن قلوب الجمع متعلقة
بفطوره وهم على غير
معلوم فان صام بإذن

غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فتقول نم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلي تدركه الكافة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاها وأبعدها عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الفواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفته على نفسه وحب الحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن مثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هو مان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال (١) » ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المثرة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزججه عن الوطن أو يزجج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني بوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى - أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم الكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والوقاع وإلى صفات سبعة كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحديمة والإغواء وإلى صفات ربوية كالكبر والعز والتعجب وطلب الاستلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهولما فيه من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لامحالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن الإلهية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أنظار الأفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تماويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا ن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله - أتأريكم الأفعلى -

الجمع وفتح عليهم حتى لا يلزمهم إذ خارهم للصائم مع العلم بأن الجمع الفطرين يحتاجون إلى ذلك فان الله تعالى يأتي للصائم برزقه إلا أن يكون الصائم محتاج إلى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته لشيوخه أو غير ذلك وهكذا الصائم لا يلبق أن يأخذ نصيبه فيدخره لأن ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي ذكرناه لأقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية اللقيمون في رباط على معلوم فالأليق بحالم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الإفطار وهذا يظهر في جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم

(١) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخارى من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

ولكنه ليس يجده مجالا وهو كما قال فان البودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك
لنسبة الربانية التي اوما إليها قوله تعالى - قل الروح من امر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن
مدرك منتهى الكمال لم تسقط شهواتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية له وملتنة به لداته لالمنى
آخر وراه الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته
أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل
الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فأن تكون مستويا عليه
فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه محب ذاته ويحب
كمال ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تضييره بحسب الإرادة
وكونه مسخر لك تزدده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجود
به إلا أن للوجودات منقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير
ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأنفلاك والكواكب وملكوت السموات وقوس لللائكة
والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض
وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جعلتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير
مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت للوجودات إلى ما يقدر الانسان على التصرف فيه
كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى واللائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على
السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم الحاطة كالدخول
تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى واللائكة والأنفلاك والكواكب
وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء
نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن عجز عن
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة
أو الشجيرة أو حجر الثقل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والتصوير عنه ولكنه يشاق إلى
معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي
يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي
قسمان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرهم والنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها بفعل
فيها ماشاء من الرضع والواضع والتسليم والنزع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية
والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات
نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف
في أجسادهم وأشخاصهم بالاستخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تمتد كماله حتى يصير محبوبا لها
ويقوم القهر منزلة فيها فان الحشية القهرية أيضا لذينة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس
الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض فهو محب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون
مسخرة له متصرفا تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب
إنما تسخر بالحب ولا تحب إلا باعتبار الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية
والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يليه الموت
فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي
إليه فاذا نعى الحياه تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتهار فأما إذا كانوا
على غير ملوم قد قبل
مساعدة الصوام
للفطرين أحسن من
استدعاء الواقة من
الفطرين للصوام وأمر
القوم مبناه على الصدق
ومن الصدق افتقاد
النية وأحوال النفس
فكل ما صحت النية فيه
من الصوم والانفطار
والمواقة وترك المواقة
فهو الأفضل فأما من
حيث السنة فمن يوافق
له وجه إذا كان صامًا
وأفطر للمواقة وإن
صام ولم يوافق فله وجه.
فأما وجه من يفطر
ويوافق فهو ما أخبرنا به
أبو زرعة طاهر عن
أبيه أبي الفضل الحافظ
القدس قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله قال أنا السيد

كالم وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومت ولا نهاية للقدورات وما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنعسان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والسكر بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فذروا كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والسك والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما فوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع المجانب والشكليات لأن في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقة له)

قد عرفت أنه لا كان بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى. الثاني من حيث تعلق العلم بالعلوم على ما هو به وكون العلوم مكشوفاً به ككشفها تماماً فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هو عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى. الثالث: من حيث بقاء العلم أبد الأباد بحيث لا يتغير ولا يزول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغيير والاقبال كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات تسهل: متغيرات وأزليات. أما المتغيرات فتألفها العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلا فيكون نقصانا لا كالا فكما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن يتقلب للعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصد أن يتقلب كالك نقصا ويسود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعده البلاد وتباعدها ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم مملوؤها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب.

القسم الثاني: هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجزآت ووجوب الواجبات واستحالة الاستحيلات فإن هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت - يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أنم لنا نورنا - أي تكون هذه المعرفة قرآنا مال يوصل إلى كشف مالم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن حميد بن محمد بن السكندر عن أبي سعيد الخدري قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه «دعكم أخواكم تكلف لكم ثم تقول إني صائم أفطر واقض يوما مكانه» وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاسعادة إلا في معرفة الله تعالى وأماما عدا ذلك من المعارف لهما لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منعمة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تبين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تبين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أطلع من زكاهما - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فسكون جملة هذه اللطائف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إدلالا وجودات كلها من أفعاله فمن عرفهم من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكلمة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرنا موافق لا يمكن لاقتها بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيق للعبد بل للعبد علم حقيق وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بعد اللوث ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلاء نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده لبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمسال والجاه للتوصل به إلى المظم والشرب والملبس والسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلاخير فيه ألبتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بغير الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة النفي وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فإذ كرهناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسرار الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستغزى الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير التأثير عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أجدد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومزته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم نقصان فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها وهلاكها نقص في الذات وفي صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة إن عدنا عدم التغير بالشهوات وعدم الإعياد لها كالا ككمال العلم وكال الحرية وأغنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكال القدرة للبعد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استخراج القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يعدمان بالموت بل يبقيان كالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف اتقاه الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكساب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا يتقطع له هولا هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - المال والنون زينة

قال رسول الله فأكل
رزقنا ورزق بلال في
الجنة ، فاذا علم أن
هناك قلبا يتأذى أو
فضلا يرجى من موافقة
من يختم موافقة
يفطر بحسن النية
لا يحكم الطبع وتقاضيه
فان لم يجد هذا النفي
لا ينبغي أن يتأسس عليه
الشراء وداعية النفس
بالنية - فليتم صومه
وقد تكون الاجابة
لداعية النفس لاقتضاء
حق أخيه . ومن
أحسن آداب الفقير
الطالب أنه إذا فطر
وتناول الطعام ربما
يجد باطنه متغيرا عن
هيئته ونفسه متذبذبة
عن أداء وظائف
العبادة فيعالج مزاج
القلب بالتغير باذهب
التغير عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحريه هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس وللحال والجاه هو الذي ينقض على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيما تذروه الرياح - وكل ما تذروه الرياح فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما يقطعه للوت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله: ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة قصر فآلتي فصل القفر إلا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وقفته للخير وهديته بلفظك .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما ينم)

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فحكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة اللطم والشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة العيشة مع الخلق والانسان كالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يتنازع به الطعام فكذلك لا يغلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المهل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المهل ما يحسن به مرافقته ومعاوته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب سلطان ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المهل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المسأل والجاه بأعيانها معبوا بين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود للتوصل إليه وتذكر التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لقاتها حب العشق ولو كفى الشهوة لبقى مستصجابا لكانها فذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمسأل وقد يجب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانها فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يجعله الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب بكدب وخذاع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فان التوصل إلى الجاه والمسأل بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فان قالت : طلبه للمنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتبليس إما بالقول أو بالعاملة . وأما أحد الباعين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركمات يصلها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفاريات به فقد ورد في الخبر « أذيووا طعامكم بالذكر » ومن مهام آداب الصوم كنهانه مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يزال ظهر أم بطن .

[الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصاحبة والمفسدة] الصوفي يحسن نيته ووجه مقصده ووفور علمه وإتيانه بأدابه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لبيه أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجملنى على خزائن الأرض إني حفيظ علم - فانه طلب التزلة في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومصيبة من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على القبايح جائز ولا يجوز هتك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سب لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يباقي إليه أنه ورع فان قوله إني ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحمين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المحلصين الحاشعين لله وهو مرء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل مصيبة وذلك يجرى مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب للدح والثناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبضها للذم ونفرتها منه)

له رب العالمين -
تدخل على الصوفى
أمور العادة لموضع
حاجته وضرورة
بشريته ويحف ببادته
نور يقظته وحنن
نيته فتثور العادات
وتتشكل بالعبادات
ولهذا ورد «نوم العالم
عبادة وقسه تسبيح»
هذا مع كون النوم
عين الغفلة ولكن كل
ما يستعان به على العبادة
يكون عبادة فتناول
الطعام أصل كبير
يحتاج إلى علوم كثيرة
لاشتماله على المصالح
الدينية والدنيوية
وتعلق أثره بالقلب
والقالب وبه قوام البدن
باجراء سنة الله تعالى
بذلك والقالب مركب
القلب وبهما عمارة
الدنيا والآخرة وقد

اعلم أن حب للدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب: السبب الأول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فاننا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيد فهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت وللدح يشعر نفس المدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذته كثنائه عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرت لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذته وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن الطلق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظر في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أورت ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهماصد الثناء من بصير بهذه الصفات خبيرها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وإن صدر من مجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يفيض الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محمقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح . السبب الثاني : أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للمدوح وأنه مرئيد له ومعترفيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بمصولة لذيد وبهذه العلة تعظم اللذة مهماصد الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناس قلبه كالمملوك والأكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه به ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه يملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نسايبته أعظم لأن الغائب به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء الثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك ممن يلائق إلى قوله ويعتد بذاته وهذا محتمس بثناء يقع على الملائق لا جرم كلما كان الجمع أكثر والثنى أجدر بأن يلائق إلى قوله كان المدح ألد والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المدح يدل

على حشمة للمدوح واضطرار للمادح إلى اطلاق اللسان بثناء على المدوح إما عن طوع وإما عن قهر فان الحشمة أيضا لدينة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان للمادح لا يعتقد في الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمتع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفرق فتقص اللذة بها أما الملة الأولى وهي استشعار الكمال فتدفع بأن يعلم للمدوح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أومتورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الدم وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب الحمدة وخوف اللذمة فان ما لا يعرف حسيه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفاق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم والبراءة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يحظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لاجتماعه إلى التساهل في العبادات والبراءة بها وإلى اجتماع المحظورات لتوصل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادها للدين بذئبين ضارين وقال عليه السلام « إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل » إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب التزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فأخره للوت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تقطع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحق العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بأخرك من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كاتناو كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تسكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لاء كان التفاتهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة حير وأبى - وقال عز وجل - كلابل نجبون العاجلة وتذرون الآخرة - فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالأفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة
قيان نباتها التسييح
والتقديس » والقالب
بمفرده على طبيعة
الحيوانات يستعان به
على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طبيعة
الملائكة يستعان بهما
على عمارة الآخرة
وباجتماعهما صلحا
لعمارة الدارين والله
تعالى ركب الأدمى
بلطيف حكمته
من أخص جواهر
الجنائيات والروحانيات
وجعله مستودع خلاصة
الأرضين والسماوات
جسد عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالأيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يبين على قلوب الخلق يضاها ما يبين على أمواج البحر فانه لا يبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكندة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أهوال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالتحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو منهج اللامية إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليستقلوا أنفسهم من أعين الناس فيسلبوا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من الباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوارحه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يبالغون أنفسهم بما لا يفي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجره وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعزال عن الناس والهجرة إلى موضع التحول فان المنزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس محب لذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تخير الناس عما اعتقدوه فيه فذوه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جرعت نفسه وتألقت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك التبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتبليس ولا يبالي به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان تنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالأردال فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح التحول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف ويشارم لذل على العز ورغبتهم في نواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب اللدح وكراهة الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف منمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من النعم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استعمار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض جميعا - فكونوا
الطبايع وهي الحرارة
والرطوبة والبرودة
والبيوسة وهككون
بواسطتها النبات وجعل
النبات قواما للحيوانات
مسخرة لآدمي يستعين
بها على أمر معاشه لقوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المعدة وفي المعدة طباع
أربع وفي الطعام طباع
أربع فاذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ كل طباع من
طباع المعدة ضد من
الطعام فتأخذ الحرارة
للبرودة والرطوبة
لليوسة فيعتدل

المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق للمدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيا تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي: أشدّ التم عندى في سرور يتقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الانسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبى أن لا يفرح بها لأن الحامئة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحامئة باق فى الخوف من سوء الحامئة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحامئة فينبى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فإن اللذة فى استشمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح قاية الجنون ومثالك مثال من بهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يوم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار والأنتان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أنتوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خباثت باطنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفته التي هى من فضل الله عليك وإن كذب فينبى أن نعمك ذلك ولا تفرح به.

وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمترلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المترلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المترلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبى أن نعمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان . قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بشى الرجل أنت فأنت والله بشى الرجل ، وروى فى بعض الأخبار فان صح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت على ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لتمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب (٣) » فلماذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال إنى لم أمرك بأن تزكبنى ، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبغاك الله فغضب وقال

المزاح وبأمن الاعوجاج
وإذا أراد الله تعالى
إفناء قلب وتخريب
بنية أخذت كل
طبيعة جنسها من
المأكول فتميل
الطباع ويضطرب
المزاج ويسقم البدن
فلك تقدير العزيز
العليم . روى عن
وهب بن منبه قال :
وجدت فى التوراة صفة
آدم عليه السلام إنى
خلقت آدم وركبت
جسده من أربعة
أشياء من رطب
ويابس وبارد وسخن
وذلك لأنى خلقت من
التراب وهو يابس
ورطوبته من الماء

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجد له أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم . (٣) حديث ألا لتمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لتمادحوا.

إني لأحسبك عزاليا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمتك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا اللدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محمقون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالمه عند الله ينفض إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو للقرب عند الله والذموم بالحقيقة هو للبعد من الله اللقي في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل الثناء إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب اللدح واشتغل بما يبهه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الدم)

وحرارته من قبل
النفس وبرودته من
قبل الروح وخلقت
في الجسد بعد هذا
الخلق الأول أربعة
أنواع من الخلق هن
ملاك الجسم يؤذن
وبهن قوامه فلا يقوم
الجسم إلا بهن ولا تقوم
منهن واحدة إلا بأخرى
منهن للرة السوداء
والمررة الصفراء والدم
والبلم ثم أسكنت
بعض هذا الخلق
في بعض فجعلت مسكن
اليوسة في الرة
السوداء ومسكن
الرتوبة في المررة الصفراء
ومسكن الحرارة في
الدم ومسكن البرودة

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو ضد العلة في حب اللدح فصلاجه أيضا فيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تدمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فان من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تقيه فينبغي أن تفرح به وتشغل باله الصفة الذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتنامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فانه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبت حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من اللذمة فهما قصدت الدخول على ملاك وثوبك ملوث بالعدرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يحزن رقتك لتلويك مجلته بالعدرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعدرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غيبة وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة والانهايا إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تقتنيه . وأما قصد العدو التعنت لجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت برى منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تتكبره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى إذ لم يطلعك على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برى منه ، والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت برى منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك ، لها بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقرائه وتعرض لعا به الألم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم ثبت عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ^(١) »

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

هو معاقبا بسببي وما يهون عليك كراهة الذمة قطع الطمع فان من استغيت عنه مهمافك لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجامو مادام الطمع قائما كان حب الجاه وللذع في قلب من طمعت فيه طالبا وكانت همتك إلى تحصيل للزلة في قلبه مصر وبقولنا ذلك لإبهام الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب للمال والجاه ومحب للذع وبخس القم في سلامته به فان ذلك بيند جدا.

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والهم)

اعلم أن لناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدام والساح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر للمادح وينضب من القم ويحقد على الدام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات الحصية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يتمتع في الباطن على الذم ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من نقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تصه للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يتمتع بنفسه بعلاماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلالاً للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجله أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرى له أشد نكابة في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غبه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي غيئه من زلة الذام فهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يتمتعون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمدحتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استغفالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الذام في مذمته ثم إنه لا يستقلهم ولا يفر عنهم ويعلم أن المادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نقرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها مصيبة لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يفضب وهو يتمتع ثم إن الشيطان يغيث إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكابد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا وبخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ينشئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظلم مضرة له في الدين ويجب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشده إلى مهجه ومهد إليه حسناته قد ذل ^(١) « رأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى ^(١) » وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم وييل للقائم وييل لصاحب الصوف إلا من ، فقيل يا رسول الله إلا من ؟ فقال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة ^(٢) »

في البلم فأبما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاكة وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كملت صحته وأعدت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتين ويهجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل مالا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث وييل للصائم وييل للقائم وييل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس وييل لمن لبس الصوف يخالف فعله قوله ولم يخرج له ولده في مسنده .

وهذا شديد جدا وفأية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر القرح والكره على الدام واللاح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين اللادح والدام فلنسانطمع فيها ثم إن طالبنا أنفسنا بملامة الحالة الثانية فانها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام اللادح وقضاء حاجاته وتساقل على إكرام الدام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تدر على أن نسوى بينهما في الصل الظاهر كما لا تدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين اللادح والدام في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فانه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما يمد من للربيتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا درجات أما الدرجات في اللدح فهو أن من الناس من يتنى للدهة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرأى بالعبادات ولا يبالى بمفارقة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يهل لنيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للدهة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجده فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكر في آفات اللدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح للدم لم يسر به ولم يفتن به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد انتهى عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره اللدح إذا سمعه ولكن لا يتنسى به إلى أن يضرب على اللادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويضرب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حقد وحقد على نفسه لمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتليساتها الخبيثة فيفضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتلى بنته الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم ينصب فيها فساه يكون خيرا لمحبوه التي هو عاجز عن إماتها ولو جامد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومدحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه والنزلة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرأى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

سكر الأمر وأتم
طلب الحلال . ومن
أدب الصوفية رؤية
النعم على النعمة وأن
يتدى بفضل اليد
قبل الطعام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
«الوضوء قبل الطعام
ينفي الفقر» وإعماكان
موجبا لنفي الفقر لأن
غسل اليد قبل الطعام
استقبال النعمة بالأدب
وذلك من شكر
النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستجلبا
للنعمة . ذهب الفقهاء
وقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام وللرأى عند الله محقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات : قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم رياءون وقوله عز وجل - والذين يكرهون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فبدح الخالصين ينفي كل إرادى سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل البعد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقارى لكتاب لله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارى فأخبر صلى الله عليه وسلم « أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذى أوجب أعمالهم (٢) » وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رآى راءى الله به ومن سمع سمع الله به (٣) » وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه في سجين (٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قالوا وما الشرك الأصفر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جزى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استميدوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال وادى جهنم أعد للقراء للرئين (٦) » وقال عليه السلام « يقول الله عز وجل : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا غنى الأغنياء عن الشرك (٧) »

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إنى أقف للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسختي من الاستدرك ولعله سقط منه ابن عباس وأبو هريرة وللبراز من حديث معاذ بن شد ضعيف من صام رياء فقد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله والتصدق بماله والقارى لكتاب الله فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواه مسلم وسيأتى في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من رآى راءى الله به ومن سمع سمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى في الكبير والبيهقى في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره وفي الزهد لابن المبارك ومسنده أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه في سجين ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظيمة من رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزى في الموضوعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر الحديث أحمد والبيهقى في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استميدوا بالله من جب الحزن قيل وما هو ؟ قال وادى جهنم أعد للقراء الرئين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وصححه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يدعى الله تعالى » وقوله تعالى - ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان . واختلف الشافعى وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم الصوفى من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل الطعام إلا مقرونا بالذكر قرنه فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من إقامة النفس ومتابعة

وقال عيسى للسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته وبمسح شفتيه
ثلاثا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستره بابه فإن الله يقسم
الثناء كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه متعال ذرة من
رياء ^(١) » وقال عمر لما ذن بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا
القبر بنى النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم
« أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية ^(٣) » وهي أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه
وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجالا تصدق يمينه فساد يخفيها عن
شماله ^(٤) » وذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا ^(٥) » وقال صلى الله عليه
وسلم « إن للرأى ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأى ضل عمالك وحبط أجرك اذهب فخذ
أجرك بمن كنت تعمل له ^(٦) » وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت
ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال إنى تخوفت على أمى الشرك أما إنهم لا يبعدون صنأ ولا شمسا ولا قرأ
ولا حجرا ولكنهم يرامون بأعمالهم ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض ماتت
بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال
فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذاب الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح
فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نساء الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟
قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن
شماله فهذا أشد خلقا خلقته ^(٨) » وروى عبد الله بن مبارك بإسناده عن رجل أنه قال لما ذن بن جبل
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يبكت ثم سكنت
ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي « يا معاذ قلت ليبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال

الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه برى ، ومسلم مع تقديم وتأخير دونها
أيضا وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده
هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبراني هكذا والحاكم بلفظ إن اليسير من الرياء شرك
وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب
(٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجالا تصدق يمينه فساد أن يخفيها عن شماله
متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث سبعة يظلمهم الله في ظله (٥) حديث تفضيل
عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء إن الرجل يعمل
العمل فيكتب له عمل صالح ممنول به في السر ضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقي هذا من أفراد بنية
عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل
الله كره الحنفى الذى لا تسمه الحفظة على الله كره الذى تسمه الحفظة سبعين درجة (٧) حديث إن
المرائى ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأى ضل عمالك وحبط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من
رواية جبلة اليحصبي عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرأى وإسناده ضعيف
(٧) حديث شداد بن أوس إنى تخوفت على أمى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم بنحوه وقد تقدم
قريبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض ماتت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم
يتصدق يمينه فيخفيها عن شماله الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هوها ويرى ذكرا لله
تعالى دوامه وترياقه .
روت عائشة رضى الله
عنها قالت « كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الطعام فى ستة
نفر من أصحابه فجاء
أعرابى فأكله باقمتين
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما إنه
لو كان يسمى الله
لكفناكم فاذا أكل
أحدكم طعاما فليقل
بسم الله فإن نسى أن
يقول بسم الله فليقل
بسم الله أوله وآخره »
ويستحب أن يقول فى
أول لقمة بسم الله وفى
الثانية بسم الله الرحمن
وفى الثالثة يتم ويشرب .

إني محدثك حديثا إن أنت حفظته ضحك وإن أنت ضيغته ولم تحفظه انقطعت حججك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سله من السبعة ملكا بوابا عليها قد جلها عظاما تصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صمدت به إلى السماء الدنيا زكته ففكرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القية أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد تخر به فزكته وتكبره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يفتخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد ينتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهركا زهر الكوكب الدرى له دوى من تسييح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويحمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا ناطق من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشتم به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة وثقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه: اضربوا به جوارحه اقلوا به على قلبه إنى أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد روضة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص قد قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عسدى وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فمليه لنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلاهه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتدي وإن كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على أسنانك من الوقية في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بدمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تكبر في مجلسك

الماء بثلاثة أنفاس
يقول في أول نفس
الحمد لله إذا شرب وفي
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
له رب العالمين الرحمن
الرحيم وكأن للعدة
طباغات قد ركاز كرنانه
بمواقفة طابع الطعام
فلا قلب أيضا مزاج
وطبايع لأرباب النقص
والرعايا واليقظة يعرف
انحراف مزاج القلب
من اللقمة للتناولة تارة
تحدث من اللقمة
حرارة الطيش
بالهوض إلى الفضول
وتارة تحدث في القلب
برودة الكسل بالقاعد
عن وظيفة الوقت وتارة

لشيء يحذر الناس من سوء خلقك ولا تاج رجلا وعندك آخر ولا تهظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أتدري من هن يامعاذ؟ قلت ماهن؟ بأبي أنت وأمي يارسول الله؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم . قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها؟ قال يامعاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه (١) قال لما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث ، وأما الآثار : فيروي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطأ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الحشوع في الرقاب إنما الحشوع في القلوب ورأى أبوامامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك . وقال على كرم الله وجهه : للرأى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وينقص إذا ذم . وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجهه الله تعالى ومحمدة الناس قال لاشيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث . وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أحب أن تمتح؟ قال لا قال فإذا عملت لله عملا فأخاصه . وقال الضحاك : لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك لا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لاشريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتصم مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فممن إذن . وقال الحسن : لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم تعرض له الحكمة لو نطق بها لنعته وتعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليرى فيرى الأذى في الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة . ويقال إن للرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يامرأى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فقد أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما يعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لارياء فيها . وقال الحسن رضى الله عنه : للرأى يريد أن يظلم قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزئ بي . وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمات بالليل فانه أشرف من سمك بالتهار لأن السمات بالتهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان : التوفى عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قبيل له وكيف ذلك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة . وقال ابراهيم بن آدم : ماصدق الله من أراد أن يشهر .

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد للملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء للصف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواء في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة ييوسة المسم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتغير لها التيقظ ويرى تغير القالب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فلقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القالب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت لموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقي الأسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء . حكى

(بيان حقيقة الرياء وما يراى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمة مشتقة من الساج وإعما الرياء أصله طلب للترلة في قلوب الناس بآرائهم خصال الخير إلا أن الجاه وللترلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب للترلة في القلوب بالعبادات وإظهارها فقد الرياء هو إزادة العباد بطاعة الله فالرائى هو العابد وللراى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترلة في قلوبهم وللراى به هو الحصول الذى قصد للرائى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللراى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى مجامع ما يميز به المبدل للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالبدن] وذلك بإظهار التحول والصفار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ولبدل بالتحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرانى بتشميت الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمراقبتهم فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وفار الشرح هو الذى خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال للسبح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراعاة أهل الدين بالبدن ، فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحنن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسبها .

[الثانى : الرياء بالهية والزى] أما الهية فتشميت شعر الرأس وحقاق الشارب وإطراق الرأس فى الشى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر الجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكام وترك تنظيف الثوب وتركه محرقا كل ذلك يرانى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التمتع بالآزار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تشفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه العين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم وللراءون بالزى على طبقات فمنهم من يطلب للترلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فلبس الثياب المحرقة الوسخة القصيرة الفليضة ليرانى بخلها ووسخها وقصرها وتفرقها أنه غير مكترت بالدنيا ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدله من الزهد ورا جمع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردم القراء ولولبسوا الثياب المحرقة البدلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والرقعات الصبوة والقوطة الرقيقة فيلبسونها ولعل قبعة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيمته لون

أن الشيخ همدا
الغزالي لما رجح إلى
طوس وصف له فى
بعض القرى عبد صالح
قصد زائرا فصادفه
وهو فى صحراء ليذير
الحنطة فى الأرض فلما
رأى الشيخ محمد آجاء
إليه وأقبل عليه فجاء
رجل من أصحابه
وطلب منه البذر
لينوب عن الشيخ
فى ذلك وقت اشتغاله
بالغزالي فامتنع ولم يعطه
البذر فسأله الغزالي
هن سبب امتناعه
فقال لأنى أبذر هذا
البذر بقباب حاضر
ولسان ذاكر أرجو
البركة فيه لكل من

تياب الصلحاء فيتمسكون القبول عند الفريقين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لسكان
عندهم كالديج خوفا من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديق والسكنان الديق
الأبيض وللقصب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول
أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزله في زى مخصوص فيقتل عليه
الانتقال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من النعمة، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم
بالياب النفيسة وللراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفره
الحياول وبالياب للصبغة والطبايسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في يوتهم الثياب
الحسنة ويشدد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا في الزينة .

يتناول منه شيئا فلا
أحب أن أسله إلى
هذا فينذر بلسان غير
ذا كرو قلب غير حاضر
وكان بعض الفقراء
عند الأكل يشرع
في تلاوة سورة من
القرآن يحضر الوقت
بذلك حتى تنفجر
أجزاء الطعام بأنوار
الذكر ولا يعقب الطعام
مكروه ويتغير مزاج
القلب وقد كان شيخنا
أبو النجيب السهروردي
يقول أنا آكل وإنما
أصلى يشير إلى حضور
القلب في الطعام وربما
كان يوقف من يمنع
عنه الشواغل وقت
أكله لئلا يتفرق همه

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار
والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهارا لتزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين
وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار
النضب للمنكرات وإظهار الأسف على مفارقة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وإدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيخ والديق على من روى
الحديث بيان خلل في لفظه يعرف أنه بصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح
لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغمام الحضم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير
أنواعه لا تنحصر . وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاحص في العبارات
وحفظ النحو الغريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب .

[الرابع : الرياء بالعمل] كمرأاة الصلبي بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق
الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج
وبالصدقة وبالطعام وبالإحبات في المشي عند اللقاء كارتخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في
الكلام حتى إن للرأى قد يسرع في المشي إلى حاجته فاذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار
وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد إلى عجمته فاذا رآه عاد إلى
خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يحدد الخشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد
فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيئته في الخلوقة مشيئة يرى
من الناس فيكاف نفسه الشية الحسنة في الخلوقة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه
يتخاص به عن الرياء وقد تضاعف به رباؤه فانه صار في خلوته أيضا مراثيا فانه إنما يحسن مشيئته في
الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لحوف من الله وحياء منه ، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبخر والاختيال
وتحريك اليدين وتغريب الخطأ والأخذ بأطراف الدليل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة .

[الخامس : الرأاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين] كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء
ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو فابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو
ملسكا من اللوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر
الشيخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته ترشح منه عند
مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيخ
وما يعمرى مجراه فهذه مجامع ما يرأى به للراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمزلة في قلوب العباد ومنهم
من يفتن بحسن الاعتقادات فيه فكمن راهب أنزوى إلى ديره سنين كثيرة وكمن عابد اعتزل

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبوهم إلى جرعة في دبره أو صومته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله براءة صاحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لا يند كما ذكرناه في أسبابه فإنه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يفتربه إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرئين من لا يفتنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتسكر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشترط طبقات المرئين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء. فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتليسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكأن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفيظ علمي - وكان المال فيه سم نافع ودرى نافع فكذلك الجاه وكأن كثير المال يلهمي ويطنني وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وقتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا أقول تملك المال الكثير حرام فلا تقول أيضا تملك القلوب الكثير حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز، ثم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كأنصراف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها أو ماسعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا تقول تحمين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج إلى الناس مرأاة وهو ليس بحرام لأنه ليس بمرأاة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجعل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوما إلى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لآخوانه إذا خرج إليهم^(١)» نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصده أن يحسن نفسه في أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا باحيا إذ للانسان أن يعتز من ألم الذمة ويطلب راحة الأُنس بالآخوان ومهما استمقلوه واستغذروه لم يأنس بهم فاذن للراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك تقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سعى فهذا مرأاة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

وقت الأكل ويرى
لذكر وحضور القلب
في الأكل أثر كبير
لا يسه الإهمال له ومن
الذكر عند الأكل
التفكير فيها لله تعالى
من الأسنان المعينة على
الأكل فيها الكسرة
ومنها القاطمة ومنها
الطاحنة وما جعل الله
تعالى من الماء الحلو في
الفم حتى لا يفتن الدوق
كما جعل ماء العين مالحا
لما كان شحما حتى
لا يفسد وكيف جعل
الندوة تنبع من أرجاء
اللسان والقم ليعين
ذلك على المضغ والسوغ
وكيف جعل القوة
المهاضمة مسلطة على

والصلاة والصيام والقرن والحج فالمرأى فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يظل عبادة لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى تقول صار كما كان قبل العبادة بل يعنى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والسكر لأنه خيل إليهم أنه محامس مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضي دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبس وتملك القلوب بالخداع والسكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ^١ بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله ملائكته انظروا إليه كيف يستهزئ^٢ بي ومثاله أن يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلمانها فان هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل يقصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا تقوا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذا أثره على ملك الملوك لجملة مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبرائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر^(١)، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي بيانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأفة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد وبركع لتبرأ الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لسكر كفر اجليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرأى عظم في قلبه الناس فاتضت تلك العظمة أن يسجد وبركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كما جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يمكنون من ضروم نفعه وورزقه وأجله ومصالح حاله وما آله أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعه ولا ضرا فكيف يملكون لتبرئهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والدن ولدن ولا مولود له ورازع والدن شيئا بل تقول الأنبياء فيه تسمى تسمى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن المرأى بطاعة الله في سخط الله من حيث القتل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته أو صلواته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص وبدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعادة بن الصامت: إنه لأجره فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث سمى الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج لجملة في مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه وتجهزه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار واللصدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانها ثلاثة للراى به والراى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول: نفس قصد الرياء وذلك لا يغلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يغلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى: وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى صلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل رعى يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصده إلى الرياء فهو المقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أذأها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية: أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الحلو لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم . الثالثة: أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يعمته على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما حالوا انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما صلح فترجوا أن يسلم رأسا رأسا لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة: أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ونوكان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى: الراى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات: الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذى يظهر كلتى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرانى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى في دلائلهم بقولهم على ضانهم وقال تعالى - ومن الناس من يجيبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجعد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملاحدة أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهو لاء من المنافقين والمرائين المخلدن في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار الجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الحلو وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبرو والديه لاعتنا عن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء واتسامه إلى الدم والشمل واللبن التغذية للولود من بين فرث ودم لنا خالصا سائنا للشارين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر وما يذهب داء الطعام للغير لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عوننا على الطاعة ويكون من دعائه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزقتنا مما تحب اجعله عوننا لنا على

خوفا من الناس أو يفر أو يهجم كذلك فهذا مرآة معه أصل الإيمان بالله يستعد أنه لا يعبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخالق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد. الثالثة: أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالذواقل والسنن التي لو تركها لا يصبى ولكنه يكسل عنها في الحلوة لتصور رغبته في ثوابها وإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يمتعه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعبادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتجهد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد يفعل الرائي جملة ذلك خوفا من اللذمة أو طلبا للمجدة ويسلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخالق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافعة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يرائي بفعله ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الحلوة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لاجتماع . وهذا حال الرائي بتحسين الصلاة في اللأ دون الحلوة وكذلك الذي يتأد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكالا لعبادة الصوم خوفا من اللذمة ، فهذا أيضا من الرياء المحظور لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قال الرائي إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة فأنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغبية وإنما قصدت صيانتهم عن هذه العصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتبليس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولائك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتلقاها فهدى إليها وهي عوراء قبيحة مة طوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان للملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، ثم للمرائي فيه حالتان: إحداها أن يطلب بذلك للنزلة والمجدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرنى الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذهمهم وغيبهم فاستفيد بتحسين الهية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل اللذمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الحلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرآة بطاعة الله

ما تحب وما زويت عنا
بما تحب اجعله فراطا
لنا فيما تحب .

[الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكمل]

فمن ذلك أن يتدىء
بالملح ويختم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لعلي
رضي الله عنه « يا علي
ابدأ طعامك بالملح
واختم بالملح فان للبح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجذام
والبرص ووجع البطن
ووجع الأضراس »
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت « لدغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالإطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبير الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للعادة وكذلك كثرة الخلو في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده لاصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومتى يحرم بالصلة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبضه أشد من بعض والتكل مذموم . الركن الثالث : الرأى لأجله فإن للمرأى مقصودا لا محالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوفى أو الوصايا أو مال الأبناء فيأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويحدها أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيحترل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المعاصي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التجنب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو مخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرقبة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبعض الرأين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلبا إلى معصيته وأخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جرمية آثم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذى يجد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بماله نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، كالذى يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويحتمد أنه من جملة العامة كالذى يمشى مستهجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لامن أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدمانه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتفنس الصعداء وإظهار الحزن ويحول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان يتقل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير كالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهمجدون أو بصومون الحميس والاثنين أو يتصدقون فيواقفهم خيمة أن ينسب إلى السكل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إبهامه من رجسه اليسرى لدغة فقال على بذلك الأيض الذى يكون في المعين لجنتا بملح فوضه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقبته على اللدغة فسكنت عنه « ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لا يصل شيئا من ذلك وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يعتز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأيا فيبدأن فقال إنه صائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذرا تضرعا أو تعرضا بأن يتحل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطيبيا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يتنذر برباء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح على اليوم ولم أجد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أي ضعيفة القلب مشفقة على تظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فإنه لا يزال كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم فتهتم بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيده وغرور وسياى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف الرائيين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد الهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من ديب الخلد كما ورد به الخبر يزل فيه لحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من ديب الخلد)

اعلم أن الرياء جلل وخفي فالجلل هو الذي يمت على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجله وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجردة إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يتاد التهجيد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لسكان لا يصلح لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنا النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكرهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالنطق تضرعا وتصريحا ولكن بالثبائل كما يظهر النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة الناس الدال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في السكنان فإن قصر فيه مقصر تقبل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أحقها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم تفتقرون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن القومى بإسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزوينى قال أنا محمد ابن الثنى قل ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبى عن يونس بن القرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود البادة كدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب النمل (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن طي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة: ألم يكن برخص عليكم السرأتم تكونوا تبتدؤون بالسلام ألم تكونوا ترضون لكم الحوائج وفي الحديث « لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم » وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد عمافة الطغيان فخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن ترضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرضى عليه لمكان دينه فباع ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والليل قد امتلأ بالناس قال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام اتنى بطعام فأناه يقبل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدة ويأكل أكل عيفا فقال الملك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس، وفي حديث آخر بخير قال الملك ما عند هذا من خير فأنصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك في محادثة الناس عن أعمالهم الصالحة يحترسون على إخفائها أعظم مما يحرس الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملاء من الخلق إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والده عن ولده ويشغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب الثمن الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفرح إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزيادة التي يزدودونه له من التقوى فإذن شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تحضر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قائما بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالأقارب قدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك فقيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل. فان قلت لما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم. فنقول أولا: كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإطافه به فإنه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بحميد نظر الله له لا بحمد الناس

فسلام كانوا يأكلون؟
قال على السفر ويصغر
اللحمة ويجود الأكل
بالمضغ وينظر بين
يديه ولا يطالع وجوه
الآكلين ويقعد على
رجله اليسرى وينصب
العيني ويجلس جلسة
التواضع غير متكبر
ولامتزز نهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يأكل الرجل
مشكنا وروى أنه
أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
شاة فجثا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على ركبته يأكل
فقال أعرابي ما هذه
الجلسة يا رسول الله؟

(١) حديث في الرياء شوائب أخفى من ديب النمل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل، ورواه ابن حبان في الضفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعه هو والدارقطني.

وقيام للنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - فسكانه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا التفات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة للطلبة على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالمة بما أظهره آخرا وأجر السرا بما قصده أولا ومن اتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور محال الرجوع لتبذ وموجب للسرور لاحتمال . الرابع أن يحمده المطلقون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبجهم للطبع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحده او يذمه وبهزأه او ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره مثل فرحه بحمد ياءه . وأما اللذوم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط)

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعمت الاخلاص سالما عن الرياء فليطير أبعده فيرجو أن لا ينقطع عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه، نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عدا رياء، ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل بمبطل لا ثواب العمل بل الأقبس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عده على الاخلاص ولكن ورد في أثناءها وورد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء بائنه على العمل فان كان بائنه على العمل وختم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر، ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا أفطرت ولا طبرأت من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه قال رجل إني صائم قل بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قل النبي صلى الله عليه وسلم لا صام ولا أفطرت من صام الأبدي لم أجده بافظ الخطاب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق عبدا ولم يخلق جبارا عبدا . ولا يتدى بالطعام حتى يبدأ للقدم أو الشيخ روى حذيفة قال وكنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه وليشرب يمينه ولأخذ يمينه وليعط يمينه فان الشيطان يأكل جهاله ويشرب

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أويذ كر شيئاً نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستمها خوفاً من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** « العمل كالوعاء إذ طاب آخره طاب أوله ^(١) » أي النظر إلى خاتمته، وروى « أنه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله ^(٢) » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد فلا يطرأ يفسد الباقي دون للآخر والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاتمام لأجل الثواب كالحاضر جماعة في أثناء الصلاة فترحم بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحمين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضاً فهذا رياء قد أثر في العمل واتهم باغثاً على الحركات فإن غلب حتى اتفق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغموراً فهذا أيضاً ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يفسدها ويضمها أو يحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظراً إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الاجباط في أمره أو هون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سروره أو كعب التزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخوفين ولم يتم عمله بالاخلاص وإيمانهم العمل بخاتمته ثم قال ولا تقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قولي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنهما حالتان فإذا كانت الأولى لله لم تنضره الثانية . وقد روى « أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيسرنى قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ^(٣) » ثم تسكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره أي لا يدع العمل ولا تنضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقدت الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أول سرور آخر محموداً ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب المهدمة والتزلة بدليل أنه جعل له به أجراً ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالمهدمة أجراً وغايتها أن يعنى عنه فكيف يكون له خالص أجر وللرائي أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه بالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلاً إلى الاجباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادراً عن باعث الدين وإيماناً انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

جماله ويأخذ جماله
ويعطى جماله « وإن
كان للأكول تمر أو
ماله عجم لا يجمع من
ذلك ما يرمى ولا يؤكل
على الطبق ولا في كفه
بل يضع ذلك على
ظهر كفه من فيه
ويرميه ولا يأكل من
ذروة الثريد . روى
عبد الله بن عباس
عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « إذا
وضع الطعام فخذوا من
حاشيته وذروا وسطه
فإن البركة تنزل في
وسطه » ولا ييبس الطعام
روى أبو هريرة رضي الله
عنه قال ما عاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع الله به ومن رأى راي راي الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلاً قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيسرنى قال لك أجران الحديث البيهقي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطاع عليه أعجبه قال له أجر السر والعلانية قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام ، وأما الأخيار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا المراد به إلا الخلق وأما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان ضيفا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا يبنى أن يقصد الصلاة ولا يمد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله الخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما وفي مما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يتعد بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل القيام فبما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تتعد بصلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتداء باخلاص وختم بالرياء لكان يقصد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا ينال محمد الناس وذمهم فنصح صلته ومذهب الفريقين الآخر بن خارج عن قياس الفقهاء خصوصاً من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالاً زائدة في الصلاة تفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضئيف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم يتعد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم الصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلي لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلي إلا أنه ظهر له الرغبة في المهددة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة ورجح فان كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا يره ومن جعل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا فحكما أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلافي بيت وخدم لما صلي لا يصح الافتداء به فان التصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلته ويصح الافتداء به وإن اقترن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم يتهمز باعثن في حقه بمجرد استقلاله وإن كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه
أكله وإلا تركه وإذا
سقطت اللقمة يأكلها
قد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا
سقطت لقمة أحدكم
فليطه عنها الأذى
ولياكلها ولا يدعها
للشيطان ويلحق
أصابعه فقد روى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
أكل أحدكم الطعام
فليمتص أصابعه فإنه
لا يندرى في أى طعامه
تكون البركة » وهكذا
أمر عليه السلام
بإدلات القصة وهو

الأمر يباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار
مغسوبة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار للغسوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط
للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في البادرة
مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط
الوقت ولولا الفرض لكان لا يتبدى صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض
به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد
عن القدرح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس
عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما رآه لاتما بقانون الفقه
والسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتحرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية
القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها رآه والعلم
عند الله عز وجل فيه وهو عالم الصيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات
وما هذا وصفه فجدير بالتشهير عن ساق الجرد في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل الشاق فلا شفاء إلا في
شرب الأدوية للمرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبي يخفق ضعيف العقل والتمييز
ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع
بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انقرض الرياء في قلبه
وترسخ فيه فلا يقدر على قومه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة
إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي
منها انتشابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . المقام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله
حب للزلة والجاه وإذا فضل رجوع إلى ثلاثة أصول وهي : لذة المحمدة والفرار من ألم القم والطمع فيها
في أيدي الناس وشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى « أن أعرايا
سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية (١) ومعناه أنه يأبى أن يقهر
أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال الرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في
القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان نزلت اللانكة فكتبوا
الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا.
وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملاً دفق راحلته ورقا وقال صلى الله
عليه وسلم « من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى (٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد
ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الدم كالبخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه
يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر
من الزحف خوفا من الدم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

مسحها من الطعام قال
أنس رضي الله عنه أمر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بإسكات
القصة ولا ينفخ في
الطعام فقد روت
عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال « النفخ في
الطعام يذهب بالبركة »
وروى عبد الله بن
عباس أنه قال لم يكن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينفخ في
طعام ولا في شراب ولا
يتنفس في الإناء فليس
من الأدب ذلك والخل
والبقل على السفرة من
السنة. قيل إن اللانكة
تحضر للمائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره الدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطعم في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الدم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفق علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حدثا من الدم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأى إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في المآل فإن علم أنه لذيق في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيق ولكن إذا بان له أن فيما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرورة ومهما عرف البعد من ضرورة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من اللذة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والقت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرأى أما استحييت إذا شترت بطاعة الله عرض الدنيا وراقت قلوب الصاد واستنزأت بطاعة الله وتجهيت إلى العباد بالنفخ إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله وتعمدت إليهم بالنذم عند الله وطلبت رضام بالعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر العبد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يرجح به ميزان حسنة لو خلس فاذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات ترجح به ويهوى إلى النار فولم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهنئة الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت المهام بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله يسخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أى غرض له في مدحهم وإثارة فم الله لأجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم قمره وفاقة وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فيأبى الله تعالى هو للسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الدل والحياة وإن وصل إلى اللراد لم يخل عن اللنة والهانة فكيف يترك ما عند الله براء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطى وإذا أصاب فلا تقى لذته بألم مته ومذله وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يفضله إلى الله إن كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم محبرة لا يمكن لأتسهم ضرا ولا تقا ولا يمكن موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قوت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لتقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضله إلى الناس ويرفهم أنه مرء وممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمسح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقل روت أم سعد
رضى الله عنها قالت
«دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضى الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
غداء؟ قالت عندنا
خبز وعمر وخل فقال
عليه السلام: نعم الآدم
الحل اللهم بارك في الحل
فانه كان إدام الأنبياء
قبلي ولم يقفر بيت فيه
خل ولا يصمت على
الطعام فهو من سيرة
الأحاجم ولا يقطع
اللحم والحبز بالسكين
ففيه نهى ولا يكف يده
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع قد ورد عن ابن
عمر رضى الله عنهما

كذبت ذلك الله الذي لإله إلهو (١) إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة القربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها التوهد وللنازل الرقيقة عند الله استحق ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والنصت واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه ونحاص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره ويفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدينا واستعظامه للآخرة وسقط عمل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتدل له منهج الإخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الأول هي الأدوية العلمية القائمة بمغارس الرياء . وأما الدواء العملي : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تعلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولاتنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لاتجالسنا بدهذا فلم يرحس في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل لطف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يعفروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما . - اللقمان الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تلمذة أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذهمها فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهوى النفس وميلها إلا ينمحي بالكلية فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قل مالك وللخلق عدوا أولم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر مارسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه لدمت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لدمت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطوع لاجهالة أنواعها وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : المعرفة والكراهة والإباء . وقد شرع الصديق العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا يحضره للمعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لتعبه فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفسرغ القوم وليتعمل فإن الرجل يجبل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » وإذا وضع الحبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الحبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم . ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذلك الله ، حم من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله تغات لإأنى لأعرف لأن سلمة ابن عبد الرحمن سباعا من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال الرجل إن حمدى .

خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلوة الشهوة عملاً القلب وتدفع نور المعرفة مثل صرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم يبايعه على الموت فأناسينها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا. وذلك لأن القلوب امتلأت بالحوف فنسيت للمهد السابق حتى ذكروا، وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي للمعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالثوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكأن من عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحججة عليه أو كد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بضائلته وكونه مذموماً عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يتفجع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإباء لإبادة ثمرة الكراهة وثمرتها المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بضاً ويشمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلوة حب الجاه والنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملت الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لحبه ووليله إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة المرائين ، فأعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطرق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا منع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غاية أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة المواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن تسلكم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيماً فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبان

(١) حديث جابر ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر الحديث مسلم مختصراً دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما تعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصراً سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد
الجوع ويمسك عن
الطعام قبل الشبع فقد
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« ماملأ آدمي وعاء شراً
من بطنه » ومن عادة
الصوفية أن يلتم الخادم
إذا لم يجلس مع القوم
وهو سنة روى
أبو هريرة رضي الله
عنه قال قال أبو القاسم
صلى الله عليه وسلم
« إذا جاء أحدكم خادمه
بطعام فإن لم يجلسه
معه فليأكله أو كلة أو
أكلتين فإنه ولي حرمه
ودخانه » وإذا فرغ من
الطعام يحمد الله تعالى
روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والحواطر التي هي العلوم والتذكريات والتخييلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بتلك الحواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومدافعة انصراف عن سر المنجاة مع الله فيوجب ذلك نقصاناً في منزلة عند الله . والتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يردّه على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته وبطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريض على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك . الثانية : أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقعة وإن قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالخاصة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزع الشيطان زاد فيها هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلانا يذكرك فقال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كلف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيراً فاذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال : مثالم كأربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا لحسد على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد فتمعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو عرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نجاه واستوقفه فوقف فدفع في عمر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعمل ففرح منه الضال بتدبير توقعه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلاب منه رجاؤه بالكيفية الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يشغله فزاد في هجته وترك الثاني في الشيء فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يهواؤا الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يماوده خيفة من أن يزداد فائدة باستجماله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن نغزاته فهل يجب التردد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه . قلنا اختاف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة

قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاما قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » ويتخلل فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تغفلوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة » وفضل يديه قد روى

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بلفظ كيد .

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم اتقوا إلى الله واشتغلوا به فاعتز لهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضفاء المبادىء العوة إلى الحمر والخر والناقصات ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والحزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تديره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراه الله فهو انضار والنافع والعارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يضيء عن الحذر وقالت فرقة من أهل السلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلصت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تعسب البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ « إنه ليغان على قلبي (١) » مع أن شيطانه قد أسلم ولا يامر به إلا بخير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوك ولزوجك فلا تخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تنظما فيما ولا تضحى - ومع أنه لم يمتد إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع المن والفتن ومعادن اللذات الشهوات للنهي عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى - هذا من عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع لأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو والكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من العدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن عمير بن صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في العفة عن عداوة الكافر إلا تمل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم فليس من الاشتغال بقاء الإعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قاذح في التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضر والنافع والمهي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويحذر أن الهادي والنضل هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده غم لم يخل فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعوا الطوس وخالفوا الجوس » ويستحب مسح العين بيك اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأنشروا أعينكم للساء ولا تفضوا أيديكم فاتها

في التوكل وهذا ما اختاره الحرت المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح القدي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم ينزر عليهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستفراق بالله يستمر على الدوام وهو بيد ثم اختلفت هذه القرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى المدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغالهم كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان منابل تشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا تنسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فجمع بين الأمرين فانا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر المدوّ ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يهوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره وأما القرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ماعداه إبليس وغيره فسلط أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على قسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكفّ عليه بكل المهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبهه وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يهوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم قسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أو انه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع المدوّ إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر المدوّ واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر المدوّ ومثال القلب بر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزع الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تنبهه ولا يخف البر من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لجرى الماء القذر سدا وملاها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الإسرار للأعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاكتماء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أجز العملين ولكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والملاية قال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والاطهار قسبان أحدهما في نفس العمل والآخرة بالتحدث بما عمل - القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين «
قيل لأبي هريرة في
الوضوء وغيره قال
نعم في الوضوء وغيره.
وفي غسل اليد يأخذ
الأسنان باليمين وفي
الحلال لا يزدرد
ما يخرج بالحلال من
الأسنان وأما ما يلوكة
باللسان فلا بأس به
ويجتنب التصنع في
أكل الطعام ويكون
أكله بين الجمع
كأكله منفردا فان
الرياء يدخل على البعد
في كل شيء. وصف
لبعض العلماء بعض
العباد فلم يثن عليه
قيل له تصلم به بأسا
قال نعم رأيت تصنع

الذي جاء بالصرة فتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه (١) » وتجرى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والتزوي وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب، نعم الغازي إذا قام بالخروج فاستمد وشد الرحل قبل القوم تخرضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن التزوي في أصله من أعمال العالانية لا يمكن إسراره فالمبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تخرىض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل للمبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه لتخرىض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العالانية وإن كان في العالانية قدوة، وقال قوم السر أفضل من عالانية لاقدوة فيها أما العالانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل الصالحين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العالانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العالانية إذا استأن بماله على عمل السر سبعين ضعفا (٢) » وهذا لاوجه للخلاف فيه فإنه مهما اتفقت القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان: إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذمومه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما صح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بغير الاقتداء وإنما شهوته التجميل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مامم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف مثاله مثال الفریق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الفریق فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا وهلك والفریق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزية أقدام العباد والطاء فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك فامض وحك ذلك أن يمرض على نفسه

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليلق الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمئنا طيبا واستعملنا صالحا وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تحطه عونا على مصيبتك وليكثر الاستخار والحزن ويكفي على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو ييكي كمن يأكل وهو يضحك

(١) حديث من سن سنة حسنة فعل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العالانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العالانية إذا استأن به على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصرا على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العالانية والعالانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال حماد بن عمار بن مهران وله من حديث عائشة بفضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف.

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للمعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فأنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره لما بال قلبه يعيل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر البصير النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يبدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالخذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بما فضله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن قوة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعوى عظيمة إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأتقياء . قال سعد بن معاذ : ما صليت صلاة منذ أسلمت خدعت نفسي بغيرها ولا تمت جنازة خدعت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر بن عبد الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنى لا أدري أيهما خير لى ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتمنت أن أكون على غيرها . وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما تمنيت ولا عنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد دل للامه اثنتا عشرة لثبت بها حتى ندرت الغداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا على فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرني أن يكون قضى لى بغيره وما أصبح لى هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريعة وفيها غاية المראה إذا صدرت من يراني بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت من يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز الاتقياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع مجرولة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي ، فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله ، وقد روى أنه كان يجتاز الانسان في مسك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلبيين بالقرآن من البيوت فنصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصف فإظهار للرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياءه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم (٢) كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش ويحتمل الدخول على قوم في وقت أكلهم وقد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاستأى وأكل حراماً وصعنا انظأ آخر دخل سارقاً وخرج مغيراً إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحتمل للضيف التكاف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإنفاق ولا يفل

(١) حديث عثمان بن عفان قوله ما تمنيت ولا عنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الموصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يا رسول الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضاً .

(بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والمالنية كما قال عمر رضي الله عنه رجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الحولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلي والبول والنائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك بإرادة العبد لا خفاها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظوظ وليس كذلك بل المحظوظ أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأى. وأما الصادق الذي لا يرأى فله ستر للمعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتماه باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا افترض اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر «أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة»^(١) وهذا غم ينشأ من قوّة الايمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويجب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم «من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله»^(٢) فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوّة الايمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضا ويغتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يفضله ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وهذه العلة أيضا يبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضا من قوّة الايمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الايمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لسكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وإتياصه إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يغمم بضم الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لمساوية من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدام من أهل البصيرة في الدين فاتهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغمم به ، نعم الغم الذموم هو أن يغمم لقوات الحمد بالورع كأنه يجب أن يحمى بالورع ولا يجوز أن يجب أن يحمى بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابلها بالكراهة والرد. وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يجب الحمد ولكن يكره الذم وإتمامه أن يتركه الناس حمدا وذمافكم من صابر عن لذة الحمد لا يصب على ألم الذم إذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فبالحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل يبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الدام قد عصى الله تعالى ، وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا

ذلك جاء وتكفيا
وإذا أكل عند قوم
طعاما قليلا عند فراغة
إن كان بعد للغرب
أفطر عندكم الصائمون
وأكل طعامكم الأبرار
وصلت عليكم لللائكة
وروى أيضا عليكم
صلاة قوم أبرار ليسوا
بآئمين ولا تجار يصلون
بالليل ويصومون
بالتهار . كان بعض
الصحابه يقول ذلك .
ومن الأدب أن
لا يستحقر ما يقدم له
من طعام وكان بعض
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
ماندرى أيهم أعظم
وزرا الذي يحتسر

(١) حديث أن من ستر الله عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بورقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في المستدرک وقد تقدم .

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد شر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القم فإن ألم مؤلم من حيث يشعر القلب بتقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذا قال رسول الله صلى عليه وسلم « الحياء خير كله ^(١) » وقال ^(٢) « الحياء شعبة من الإيمان ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحي الحليم ^(٥) » فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتفتك والوقاحة فقد الحياء فهو أشد حالاً ممن يستر ويستحي إلا أن الحياء يمتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيماً قل من يتفطن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خالق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرأى معه وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرصاً ونفسه لا تسخو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي إما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقتبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يندمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيعتذر الاعطاء فيهيج داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بشان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخر النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاء بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثرت الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والرأى يستحي من اللبائحات أيضاً حتى إنه يرى مستجلاً في الشيء فيعود إلى الهدوء وواضحاً كافر جمع إلى الاتقياض ويضع أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والرأى به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال في الشبهة السلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام اللباهة وما تكلف به للأعراس والتعازي لما عمل للنوايح لا يؤكل وما عمل لأهل العزاء لا بأس به وما يجرى مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبطاق إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا يخرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صديقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحو الباب وأزلوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث إن الله يحب الحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة إن الله يحب الغنى الحليم للتمتع وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه .

عليه غيره ويمتدنى به وهذه العلة الراحنة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينفي أيضا أن يخفى العاصي أيضا مصيبتهم أهلهم وولده لأنهم يتلون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومنها قصد بستر المصيبة أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرآيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للبعد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل لابي صلى الله عليه وسلم لا دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابعد إليهم هذا الخطام محبوبك (١) فتقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده والمذموم أن تحب حبه ومحمد على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعبادتها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله واللباح أن تحب أن محبوبك لصفات محمودة سوى الطاعات الحمودة للمعينة فحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كذلك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرآيا به وذلك غلط ومواقفة للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال وما لا يترك لحوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى ماللة في عينه كالصلاة والصوم والحج والفزواتها مقاساة ومجاهدات إنما تصير للديعة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس للديعة وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو للديعة وهو أكثر مما يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالحلقة والتضام والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإتفاق السال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث: إحداها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينفي أن يترك لأنه مصيبة لا طاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستعينين من مولائك لتسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده حتى يدفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل. الثانية أن ينبعث لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينفي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يقعد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينفي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فاذا لم تحب واشتغلت فبدعوك إلى الرياء فاذا لم تحب ودقت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرآة وتمسك ضائع فأى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل خوفا من أن يكون مرآيا كمن سلم إليه مولاة حنطة فيأزوان وقال خلصها من الزوان ونها عنه تقيه بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا تقيه فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيها في أيدي الناس وقد تقدم.

وأكلوا فدخل سفيان
فصرح وقال ذكروني
أخلاق السلف هكذا
كانوا ومن دعى إلى
طعام فالاجابة من
السنة وأؤكد ذلك
الوليمة وقد يتخلف
بعض الناس عن
الدعوة تكبرا وذلك
خطأ وإن عمل ذلك
تذمنا ورياء فهو أقل
من التكبر. روى
أن الحسن بن علي
مرّ بقوم من الساكين
الدين يسألون الناس
على الطرق وقد ثروا
كسرا على الأرض
وهو على بنته قسا
مرّ بهم سلم عليهم
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرآه فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويخوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرآه هو عين الرياء فلو لا جبه لهدمتهم وخوفهم من ذمهم لسهاله ولقولهم قالوا إنه مرآه أو قالوا إنه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرآه وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن جهول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سرىا تحت الأرض ألقى في قلبك حلالة معرفة الناس لزهديك وهربك منهم وتعظيمهم لك بغلوهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تنفع فيه في الدنيا تلزم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخبرات فما دمت تجمد باعنا ديننا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعيتك تسك إلى أن تستبدل بحمده حمد الخلقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم فتقول بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافضل فان قال لك الشيطان أنت مرآه فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحياتك من الله تعالى وإن لم تجمد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فان ترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب . فان قلت فقد قل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا تقرأ أكل ساعة . وقال إبراهيم التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالآذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا يارضه ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يصحى وإظهار الحسن البصرى هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك التوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالافتداء ينهى أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لعله بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستثناؤه بعد خروجه للاشتغال بمكائده فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت البياح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق للندوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بيد العبد مما

وقالوا هم الفناء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نفي وركه نزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعاق بالباس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لحوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره تحويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إتيان المال . أما الخلافة والإمارة فهى من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما ^(١) » فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط ^(٢) » أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل ^(٣) » أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل ^(٤) » رواه أبو سعيد الخدرى فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل للتقوى يتكونها ويحترزون منها ويهربون من تغلها وذلك لما فيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويضرب على النفس حبة الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمور وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكاته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرًا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذى ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوقفه جوره ^(٥) » رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يأمر للؤمنين أشرفى قال اجلس واكنم على وروى الحسن « أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خرى قال اجلس ^(٦) » وكذلك حديث عبد الرحمن بن صمره إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو ملطان مقسط الحديث ولم أرفيه ذكر الأولية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدرى أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصهبانى فى الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الدياجى ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة يده مغلوله إلى عنقه لا يفكها لإعدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبخارى من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيما يزيد بن أبى زيادتمكلم فيه ورواه أحمد والبخارى وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورواه البخارى والطبرانى من حديث بريدة والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبى الدرداء مامن والى ثلاثة لإلقى الله مغلوله يمينه الحديث وقد عزي للصفى هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عند يسترعيه الله رعية لم يعطها بنصيحة إلا لم يرح راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خرى قال اجلس الطبرانى موصولاً من حديث عصمة هوا بن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكورة يحدث بالأباطيل قلبه أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ أزم يتك وفيه الغراب بن أبى القراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

يأمر للؤمنين إنما
أكرمت العلم وأجلته
فأحلك الله تعالى
وأكرمك كما أكرمت
العلم .

[الباب الرابع
والأربعون فى ذكر
أدبهم فى اللباس ونياتهم
ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات
النفس وضرورتها لدفع
الحر والبرد كما أن
الطعام من حاجات
النفس لدفع الجوع وكما
أن النفس غير قانعة
بقدر الحاجة من الطعام
بل تطلب الزيادات
والشهوات فهكذا فى
اللباس تنفخ فيه ولها
فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها^(١) وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لاتأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لاتأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فليبه بهلة الله يني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا يبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا يبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعنى بالقوى القدي لا يميله الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لأم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقهروا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولوزهقت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاق لذة الولاية وأن تستحل الجاه وتستلذ نفاذ الأمر ففكره العزل فيدهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يهد نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كأيال العزل طلاق الرجال فإذا شرع لاتسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى المداينة وإهمال الحق ونهوى به في قصر جهنم ولا يستطيع التزوع منه إلى اللوت إلا أن يزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمانة الشر ولتلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا^(٢)» فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهي أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذى ولاية أمير أى له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة^(٣)» وقال عليه السلام «من استقضى فقد ذبح بغير سكين^(٤)» حكاه حكم الامارة يبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الأقوياء الذين لاتأخذهم في الله لومة لأم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضى على القضاء لإبعدها عنهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعلقين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أولم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عدرا مرخصا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت المهدة عنه فيبغى أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفي برد النفس في اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية توبك بمزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بمشرة دراهم وفي عنقه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» أى لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لاتباع الامارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استقضى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جسر كذا وكذا فطر من الحديث وقال ينعني من الحديث أني أشتبه أن أحدث ولو اشتبهت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يهد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لئلا توازيها لئلا يغلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويغفر عن كل كلام يستقله العوام وإن كان حقا وبصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس اللبر وكان ينعني أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أو لئلا يقول إذا أنعم الله على هذه النعمة ونعني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني في نعمها إخوان المسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكاه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثف فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن تتراض نفسه وتقوى في الدين همة ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها (٢) » وقال « نعمت للرضعة وبئست الفاطمة (٣) » ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعاش فلم ينهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضى الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبى سيد للمسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على التبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويمظ ولا يمنع منه . واستأذن رجل عمر أن يمظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال آمننى من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا إذا رأى فيه محابيل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤدي إلى تعطل القضاء (٤) بل الرياسة وجبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ، ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهي عن الامتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون الرياسة فان لم يكن

(١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن جمره لانس للإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها البخارى من حديث أبى هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها و زاد في آخره نعمت للرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهى فى صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت للرضعة وبئست الفاطمة البخارى من حديث أبى هريرة وهو بقية الحديث الذى قبله ورواه ابن حبان بلفظ بئست للرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبى ذر لا تؤمن على اثنين ولا تلتين مال يتيم

الصلاة وما عدا هذين
النظرين فنظره في
كونه يدفع الحر والبرد
لأن ذلك مصلحة
النفس وبعد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فكله فضول وزيادة
ونظر إلى الخلق
والصادق لا ينعني أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو سر العورة
أو لنفسه لدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفيان الثورى رضى
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا فقيل له ولم يعلم
بذلك فهم أن يخلعه
ويغيره ثم تركه وقال
حيث لبسته نويت أنى

كفضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عباده أتى العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإعما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضا تركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا بمزوجا يباعث الرياء أما إذ لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أرفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسواس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للنصاب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أتوينا السلف وضغناؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تفهيمها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة يبنى أن لا يتركها الضعيف والقوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات يبنى أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأتوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاية أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وهناربية رابعة وهي : جمع المال وأخذة للتفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجابا للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لئدة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب اتقوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرنى أنى أقت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إنى لأحرم البيع والشراء ولكنى أريد أن أكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال المسيح عليه السلام ياطلب الدنيا ليربها تركها لها أبر ، وقال أقل مافية أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالحق واللفظ فيه لئدة فهو مثار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فإن عجز فلينظر وليجهد وليستف قلبه وليزن مافية من الخير بمافية من الشر ويفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يعيل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر ولما تشتهل الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنى وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه وبدع ما يريه إلى ما يريه ثم قديع مما ذكرنا مغرور للجاهل فيمسك للمال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة للمال في اللباعات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال فتفرقة أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق محض في وعظه غير مرير رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزمته علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالبطنة وهو أن يتحنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكارب إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبق كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يجب اتباع الناس له في الطريق والتي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشا كلا
لكلامهم وكلامهم
مشا كلا لمنامهم لأن
التناسب الواقع في
النفس مقيد بالعلم
والتشابه والتماثل في
الأحوال يحكم به العلم
ومتصوفة الزمان
ملتزمون بشئ من
التناسب مع مزج
الهوى وما عندهم من
التطلع إلى التناسب
رشح حال سلفهم في
وجود التناسب . قال
أبو سليمان الداراني :
يلبس أحدهم عبادة
بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه بخمسة دراهم
أنكر ذلك لعدم
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرص وهو على بردون أصغر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم يرحلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحو هاتق بلغ قريبا منها ثم نفي ورکه فترل ومشي نحو الحسن فمآره الحسن متوجها إليه فجأى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجايفت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم لما قطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيدني كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرّ فليكم بهذه المجالس وأشبابها فأخذوها حلقا وطادة فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مجالس الذكر رياض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أهر الناس ما فلبتمونا على هذه المجالس لمرفتنا بفضلها قال ثم اقتر الحجاج فتكلم حتى هجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق ققام فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله السدين الاتعجبون آنى رجل شيع كبير وآنى أغزوقا كلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لى ثلثائة درهم من العطاء وأن لى سبع بنات من العيال فتشكمن حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلم الله أخذوا عباداته خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزاعد والله غزا فى القساطيط الهابة على البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا ورجلا لما اقتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأعدّه ققام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير ققام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذى يتكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقمارأته فاغرا فاه بضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قصد فى مجلسه فعضم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا لى الدينار والدرهم إن الحياة أشد الحياة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم نطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إنى أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزاعد والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه كذا لا أبالك تعرض علينا الناس أما إننا على ذلك لاتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد للترل فبينما هو يسير إذ التفت فرأى قوما يتمونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شىء وإلا فارجموا البايقى هذا من قلب العبد فيهذه العلامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتفابرون ويتعاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشترروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الحاسرون اللهم ارحمنا بلطفك بأرحم الراحمين .

(بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع النوم فى موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قرية فاذا رآهم انبث نشاطه للمواقفة حتى يزيد على ما كان يتاده أو صلى مع أنه كان لا يتاد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه أهل للوضع فينبعث له نشاط فى الصوم ولولا هم لما انبث هذا النشاط فهذا ما يبطن أنه يراه وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم فى الأذكار والدعوات .

ثوبه يبنى أن يكون ما كوله من جنبه وإذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى أحد الطرفين إما فى طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما فى طرف للأكول لمفرط الشرة وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى للداواة ليعود إلى حد الاعتدال . لبس أبوسليمان الداراني ثوبا غسيفا فقال له أحمد لولبت ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبى فى القلوب مثل القيص فى الثياب

ترك للواقعة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تحوفاه العوائق وبمنعه الاشتغال وبغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفرغ رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يستقوه بطاعة الله فتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فيفتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجيد دائماً وتسمح بالتهدج وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصر عليه الصوم في منزله ومع أطيب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرثياً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزود على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك عظامي ولست تصلى لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المهرج هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يتأده ولا ركة واحدة لأنه يعصى الله بطلب محمداً الناس بطاعة الله وإن كان ابتعائه لدفع العوائق وتحريك القبطة والنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك يتقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه تزوع النفس إلى حب الحمد فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لم يبكي ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتبأكي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه مساواة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فيتبأكي تكلفاً وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه المساواة فيتبأكي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فأعسا خوفاً من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك التباكي . قال لقمان عليه السلام لابنه : لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجارى الأحوال

فكان الفقراء يبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الحرق من المزابل ويرقصون بها ثوبهم وقد فضل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مثابراً على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أتم تأكلون بحق التوكل وأنا أكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والحرف والنم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد تقرر به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمدد ويؤيد في رفع الصوت فذلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الحرف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كبر تضعف قواه من الحرف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعل ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مفضيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبقى سريعا فتزعج نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنما هي كبري خاطر فيستديم الزعجة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفتيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سرعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيتة صريحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكلم على غيره يرى أنه يضيف عن القيام ويشايل في الشئ ويقرب الخطأ يظهر أنه يضيف عن سرعة الشئ فهذه كلها مكاييد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطررت فملاجهما أن يتذكر أن الناس لو عرفوا ثقافته في الباطن واطلموا على ضميره لمتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد ممتنا كما روى عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق مقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم تجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال للناقين وقد جاء في الخبر «تعوذوا بالله من خشوع النفاق»^(١) وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاظر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمرء أنه فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يحظر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ لحوفك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد ذلك خاطر الركون إلى حمدك بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكير في اطلاع الله عليك ومقت لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب أماغلت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس آني أخشاك وانت لي باقت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سررتي بحفاظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع عليه مني لأبدي للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عمل تقربا إلى الناس بحسناتي وفرارا منهم إليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب على غضبك أعذني من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نمر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الدين حفظوا وعلانيتهم وأضاعوا سر أرواحهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه حمل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليقتف عليها في الخبر « إن للرياء سبعين بابا »^(٢) وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاءين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكى أن جماعة من أصحاب الرقعات دخلوا على جبرين الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فنسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الذي حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس للرمة لكان أحدم

(١) حديث تمودوا بالله من خشوع النفاق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفي الحارث بن عبيد الإيادي ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا ههنا ذكر

مثل ديبب الخمل وبعضه أخفى من ديبب الخمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديبب الخمل إلا بشدة التفقد وللرابة وليته أدرك بعد بذل الجهود فكيف يطعم في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفنيش عن خدعها ، نسال الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

(بيان ما ينبغي للمرید أن يلزم نفسه قبل العمل وبهده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم المرید قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فيلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للفتك وليراقب صحه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسكاد تغلى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك لما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بأخفائه فيجهل الناس عملك وينكرون قدرك ومحرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من التمس لأن للتقى إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط إلى الاخلاص أحوج . وقد روى تميم الهاربي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحاسب العبد يوم القيامة فان قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطرفه فألقى في النار (١) فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجترأه في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل وأما التمس فيجهد في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبهده إلا في ابتداء العقد بل فينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه محض ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فاذا

الصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالثناء وإنما هو الرياء بالموحدة والرسوم كتابه بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه وفي إسناذه أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاث وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بألفاظ الرياء بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالثناء لا اقترانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الهاربي في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يتقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذي عليه . وروى أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كفه من رموس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب إن أردت أن تاتى صاحبك فرقع قميصك واخفف نملك وقصر أملك وكل دون الشيع . وحكى عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لا تسكاد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فسل عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أسدء رياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في النجاة والطاعات، والإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، والذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبني أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتعم بعله فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من التعلم والنعم عليه فان ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مراقبة في الشئ في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعله ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التلميذ بنفسه قبل خدمته فترجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برغفاه قوم فادلوا بجلاليرفعوه خلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فردته على قلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يبين قلبي لأخيك أكثر مما يبين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان بيدة أو بدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شئ فقال يرحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المسال إلي فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فردته على فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فسكروه أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت ويلك أي شئ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أم أترحمي أم أترحم إخوتك أم أترحم عيالك فأكرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مريثا وأسأل عنها أنا ، فإذا ن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على التعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند العلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرأى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا قدما على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم العلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك مصيبة في الحال وسيكشف الله عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد الصالح عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بماهه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بهذه واستعظامهم محله فان ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدري أنه الخفيف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال لي كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من

كنت ولدت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فبا يرى النائم كأن دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقهاء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا يدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك ليسان فلا تجلس معهم فالتبته ونفرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى . وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الدير الذي يحدائك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزبون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمون فكلمنا شاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لمر ساعة فاحتمل يا حنيفة جهد ساعة لمر الأبد فوقر في قلبى للرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حصة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنيفة ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فأعطوني عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنيفة ما الذى صنعت قلت بنته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لاتبسه فانظر كيف يكون عز من تعبته ، يا حنيفة أقبل على ربك ودع الذهب والحيثة. والقصد أن استعمار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعنا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهايم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بقله وإيمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرهه العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالر كونه إليه فيرجى له أن لا ينجب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والاتقياض كي لا ينبسطوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتملأ بطلب الاتقياض فيطالبها في دعواها قصد الاتقياض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن اتقياضهم عنه إنما حصل بأن يعدو كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا فسمع نفسه بذلك فاذا لم تسمح وصححت بالعبادة فيشبهه أن يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان عمله فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصديق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال النى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في النى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماله بذلك الوصف لا بالنى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويعجب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى النى أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتحنون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام للنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصدقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم النى عليه في إكرام وتوقير ألبتة فان الفقير أكرم على الله من النى فإشارك له لا يكون إلا طمعا في غناه ورياء له ثم إذا سوت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السباك الجارية له مالى إذا أثبت بغداد فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشهد لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند النى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك بحية صمرك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقى زمانا لا يلبس الثوب إلا مستأجرا حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئا وقال أبو حنيفة الحداد إذا رأيت وضاعة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره وقيل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجنيدي وعليه مرقته قيل كان وزن فردكم له وتغاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يحكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير اللرقع وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منصبة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بذنه سقم وهو يخاف الملاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقله أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتماجهما فبها نازعت نفسه إلى شهوة تفسكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى اللوت للفرق بينه وبين ملكته للوجوب لشهامة الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء ويدن مسيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصاراة للكروهات فكذلك للؤمن المرید بملك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والخوف وترك اللؤاسة بالخلق خوفا من أن يعجل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه يخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعيم للقيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المریدين لمرضاته عوناً وبهم رءوفاً وعليهم عطوفاً ولوشاء لأغنام عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويصرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وحبب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المنجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على إمامة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدته بمعونته فإن الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقاءهم أشد شوقاً . فليظهر العبد في البداية جهده وصدقته وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بمجوده وكرمه ورأفته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق الباريء الصور العزيز الجبار التكبر العلى الذى لا يضعه عن مجده واضح الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدفنه عن مراده دافع العنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أبصار الخلق جلاله وبهاؤه وقهر العرش الجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الأنبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكة وأنبياءه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمتها وكبرياؤه فالمظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيها قسمه بداء اللوت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتهدمت أسماؤه، والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور للنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحياء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم الهروض بواجب حق للرقعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلاوطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجملوا بينهم وبين التراب عائلاً ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الحسن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يتعرض

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما فصمته^(١) » وقال عليه السلام « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب اللره بنفسه^(٢) » فالكبر والعجب داءان مهلكان وللتكبر والعجب سقمان مريضان وهما عند الله مقنوتان ببيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للهلكات وجب لإيضاح الكبر والعجب فأتى من قبائح الرديات ونحن نستقصى ياتهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشرط في العجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآتته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مابه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الحمدود من خلق التواضع وللذموم منه .

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب المتكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - و ذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان^(٣) » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالي^(٤) » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو على الصفا فتواقفا لفضي ابن عمرو وأقام ابن عمر يسيك فقالوا ما يسيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو وزعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكرهه الله في النار على وجهه^(٥) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب^(٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائة ألف من الانس ومائة ألف من الجن فرفع حتى ممع زجل اللائكة بالنسيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أبدا مما رفعتة وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته الحاكم في المستدرک دون ذکر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البرار والطيراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عذبه وقال در داؤه وإزاره بالنية وزاد مع أبي هريرة ابا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كرهه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه باسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب.

عليهم غير أن ليس الحشن والرقع يصلح لسائر الفقراء بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد « من ترك نوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلك الجنة » وأما لبس الناعم فلا يصلح إلا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفي شهوات النفس يلتقى الله تعالى بحسن النية في ذلك فلحسن النية في ذلك وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس نوب بينه ولا الحشوتة ولا نعوته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالصورين ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نجيل ولا جبار ولا سيء الملكة ^(٢) » وقال ^(٣) « تجاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وهجرتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منك ماؤها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « بشئ البعد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأظلى بشئ البعد عبد تجبر واختال ونسى الكبير للتعالي بشئ البعد عبد غفل وسها ونسى القابرو والي بشئ عبد عتا وبني ونسى للبدا وللتهي ^(٥) » وعن ثابت أنه قال « بلضأ أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بمد اللوت ^(٦) » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر وأمركا بلا إله إلا الله فان السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لتصمها وأمركا بسبحان الله وبحمده فانها صلا كل شيء وبها يرقى كل شيء ^(٧) » قال للشيخ عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا. وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء للقلون ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبضكم أخلاقا وأبذكم منا الثرثارون التشديقون التفتيقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والتشديقون فاللتفتيقون قال التكبرون ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر التكبرون يوم القيامة في مثل صور القدر تطوّم الناس ذرا في مثل صور الرجال يطوّم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم قال له بولس صلواته نار الأنبار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار ^(١٠) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية في الثوب الذي أدخله الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فنسد ذلك لا يسمعه إلا أن يلبس الثوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيئة من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمد تكلف

(١) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح
 غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا نجيل ولا سيء الملكة تقدم في أسباب الكسب والعاشق
 والمعروف خائف مكان جبار (٣) حديث تجاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين
 الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بشئ البعد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذي
 من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه
 الحاكم في المستدرک ومحمه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حمار ووضفه (٥) حديث ثابت بلضا
 أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بمد اللوت البيهقي في الشعب هكذا مرسل بلفظ نجير
 (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كما عن
 اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في قوله
 قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة
 عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزازي ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر
 (٨) حديث إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي
 ثعلبة الحشفي بلفظ إلى ومنه وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رياضة للنفس
 أول الحديث (٩) حديث يحشر التكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي
 من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفان حسن غريب .

« عشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ تطوّم الناس لهوانهم على الله تعالى (١) »
 وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكنه كل جبار
 فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه
 للتكبرون ويطبق عليهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من نقخة الكبرياء (٤) »
 وقال « من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والقول (٥) » الآثار:
 قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله
 كبير ، وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن
 قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماذ رجله فلم يقبضها وقد الأحنف
 فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هبنا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول
 مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم يفسل الحمره يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار
 السموات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - هو سبيل الغائط والبول ، وقد قال محمد بن الحسين
 ابن علي ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر.
 وسئل سلمان عن الديعة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر، وقال النعمان بن بشير على النبي إن للشيطان
 مصالي ونفوخا وإن من مصالي الشيطان ونفوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد
 الله واتباع الهوى في غير ذات الله ، سألت الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .
 (بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجر الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجرد إزاره (٦) » وقال صلى الله عليه
 وسلم « بينا رجل يتبختر في بردته إذ أهبطته نفسه فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم
 القيامة (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من جرد ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ الحديث البراهن هكذا
 مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هبيب
 حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهر بن
 سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا
 يجعل فيه للتكبرون ويطبق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال
 فيفضل مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نقخة الكبرياء
 لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث
 أعوذ بالله من الشيطان من نقخة وثفته وهمزته قال نفثه الشعر ونقخة الكبر وهمزته الموتة ولأصحاب
 السنن من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا
 الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والقول
 الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للسنن لهذا الحديث هنا موافق للشهور في
 الرواية أنه الكبر بالوحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السائدين الدارقطني قال إتسأهو
 الكثر بالنون والراء وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والذين يكفرون الذهب
 والفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جرد إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة .
 (٧) حديث بينا رجل يتبختر في بردته قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان
 يلبس العمامة بشرة
 دنائير ويلبس العمامة
 بدائق. وقد كان الشيخ
 عبد القادر رحمه الله
 يلبس هيئة مخصوصة
 ويتطيلس وكان
 الشيخ علي بن الهيثم
 يلبس لبس قصراء
 السواد وكان أبو بكر
 القراء بزنجان يلبس
 فروا خشنا كأحد
 العوام ولكل في لبسه
 وهيته نية صالحة
 وشرح تفاوت الأقدام
 في ذلك يطول ، وكان
 الشيخ أبو السعود
 رحمه الله حاله مع الله
 ترك الاختيار وقد
 يساق إليه التوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فرآه عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بنى أرفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره خيلاء»^(١) وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا صوتتك وعدلتك مشيت بين بردين والأرض منك ويمد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أنصتني وآتي أوان الصدقة»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض»^(٣) قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»^(٤) الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمم يريد للقصوره وعليه جياب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانخرج عنها قباضه وهو يمشى يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنه ثاني عطفه ، سمر خذ ما ينظر في عطفه أي حريق أنت تنظر في عطفك في نم غير مشكورة ولا مذكورة غير للأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أن يمشى أحد طبيعته يتخلج تخلج الجنون في كل عضو من أعضائه الله نعمته وللشيطان به لفته فسمع ابن الأهمم فرجع يتندر إليه فقال لا تعتذر إلىّ وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى - ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً - ومرّ بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محبّ لكما لله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لايت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خره قل عمر كالمتمدر ياعمّ لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعطفها ، ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدري من أنت أمامك فأشترها بما تني درهم وأما أبو بكر فلا كثر الله في السليين مثله ، ورأى ابن عمر رجلاً يجرّ إزاره فقال إن للشيطان إخواناً كرههم أربعين أو ثلاثاً ، وروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى للهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبفضها الله ورسوله فقال له للهلب أما ترفني فقال بلى أعرنك أولك نظمة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فضى للهلب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتبختر ، وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبداً بغفو إلا عزاً وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكانه بها فان هورفع نفسه

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن البار رجل من بني ليث غير مسمى (٢) حديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث جبر بن جعاش (٣) حديث إذا مشت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم الليم وفتح الطاء من المهمتين بينهما مشاة من تحت مضراً ولم يستعمل مكبراً (٤) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر (٥) حديث ما زاد الله عبداً بغفو إلا عزاً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فتقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فتقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختياراً أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الحسن ولكن يجب

جداها ثم قال اللهم ضعه وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنتق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (٢) » وعن أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صاعما فأتينا عند إفطاره بقدرح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة الصل فقال ما هذا ؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال أما إنى لأأحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (٣) » وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون قمام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشماؤمه وتكره ثم مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نيا فمأدراهما أختار وكان صفي من الثلاثكة جبريل فرفعت رأسى إليه فقال تواضع لربك فقلت عباد رسولا (٥) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاة من تواضع له طمطى ولم يتعاطم على خلقى وأزيم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال ﷺ « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التنى (٦) » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النار يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم بلنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته وجهه في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لا يجيبهم الله إلا من أحب الصمت وهو أوّل العبادة

أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الزى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودينه لكونه غير صاحب غرض وهوى في زى بينه فأنه تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلترزم بذلك الزى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم

(١) حديث مامن أحد إلا ومعها ملكان وعليه حكمة يسكانه بها الحديث العقيلي في الضعفاء والبيهقى في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقى أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب المصرى والبراز من حديث أنس وقد تقدم بهضه في العلم وبعضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صاعما الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواه البراز من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فقد كر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في البراز إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الموت أحبه لله وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقره الله وذكر فيه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذى كان به زمانة منكروا أنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلا والموجود حديث أكله مع مجذورم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٥) حديث خيرني ربي بين أمرين عبدا رسولا وملكا نيا الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التنى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأسنده الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوفا على ابن مسعود نحوه وفيه السعوى مختلف فيه

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا (١) « وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا تواضع العبد رضعه الله إلى السماء السابعة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد
 إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله (٣) » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطمم بجاء
 رجل أسود به جذرى قد تقشر لحمه لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى جنبه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون
 مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه (٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لأرى
 عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا
 رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم
 وصغار (٧) » . الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال اتعش
 رفك الله وإذا تكبر وعدا طوره رضعه الله في الأرض وقال اخساً خسأك الله فهو في نفسه كبير
 وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهيت مرة إلى
 شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ
 فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا
 رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً
 في الدنيا . وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم لتخفلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن
 أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل
 وقد سئل عن التواضع ما هو ؟ قال أن تخضع للحق وتقادله ولو سمعت من صبي قبلته ولو سمعت من أجهل
 الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه
 ليس لك بدينك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدينك عليك
 فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علماً لم يتواضع فيه كان عليه وبالايوم القيامة .
 وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكالة أتمه عليك .

(١) حديث أربع لا يعطيهن الله إلا لمن يحب الصمت وهو أول العبادات والتوكل على الله والتواضع
 والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن إلا بمحب الصمت وهو أول العبادات
 والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان
 يروى الموضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى
 السماء السابعة البيهقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع
 لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين
 وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدى من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياص
 وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطمم فجاءه رجل أسود به جذرى فجعل لا يجلس
 إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والمعروف أكله
 مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث
 إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب
 (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا
 (٧) حديث إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم
 فان ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وإيقان ولا يزال بما
 لبسه ناعما لبس أو خشنا
 وربما لبس ناعما
 ونفسه فيه اختيار
 وحظ وذلك الحظ فيه
 يكون مكفرا له مردودا
 عليه موهوبا له بواقته
 الله تعالى في إرادة نفسه
 ويكون هذا الشخص
 تام النزكية تام الطهارة
 محبوبا مراديا سارع الله
 تعالى إلى مراده ومجابه
 غير أن ههنا مزية قدم
 لكثير من المدعين .

حكى عن يحيى بن معاذ
 الرازي أنه كان يلبس
 الصوف والحلقان في
 ابتداء أمره ثم صار في
 آخر عمره يلبس الناعم
 فقيل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أي الرجال أفضل؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك الصرعة عن قوّة. ودخل ابن السماك على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا في خلقه وموضعا في حبه وبسط له في ذات يده فنف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يهيء إلى المساكين فيتعهد معهم ويقول مسكين مع مسكين . وقال بعضهم كما تكبره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب للرتفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحمدن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحمدن أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولاتلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فمخّخ الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرمعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قاب موسى عليه السلام فغصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أنني كنت معهم إنى أخشى أنهم حرموا بسببي ويقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الحمري : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا بنادى ياب المسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسعى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياضة لم يباح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت تمندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل نفسك موضعا . وقال الشبلي في بعض كلامه : ذلي عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل لهفتى يكون متواضعا؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتعاعى عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصابيد الشرف وكل نعمة محمود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن ماز : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم
يصبر على الدهن
فكيف يصبر على
التحف ومن الناس من
يسبق إليه علم ما خوف
يدخل عليه من
الملبوس فيلبسه محمودا
فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
تنوعها مستحسنة
- قل كل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا -
ولبس الحشن من
الثياب هو الأحب
والأولى والأسلم للعبد
والأبعد من الآفات .
قال مسلمة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أفصح ، ويقال لا عزَّ إلا لمن تذلَّ له عز وجل ولا رفة إلا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو طي الجوزجاني : النفس معبودة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والصيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ^(١) » ما تكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضعها وللوح لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفضها وعن عمرو ابن شيبه قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بظلة وبين يديه غلمان وإذا هم ينفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر إلى قنصلك له شينك رجل دأبه بمكة ووصفت له الصفة فقال له أناذلك الرجل قنصل ما فعل الله بك ؟ فقال إني ترفضت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعت الله حيث يرفع الناس . وقال المفيرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يصيكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة . وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة مفتنة ثم آتى الميزان فان تفل فأنا كريم وإن خف فأنا لثيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه يفضل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير العجب بل لو لم يخلق الانسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فنذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحق غيره فانه مع ذلك لورأى نفسه أحقر لم يتكبر ولورأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذي . من حديث أبي هريرة إذا أخذ النبي دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث طي بن أبي طالب إذا ضلقت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبي نعيم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وصعبون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف

عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قيضه وسخا قنصل لاصراته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت فعمل إن شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله قنصلت يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوه ؟ قالت والله ما له قميص غير هذا . وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألبين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بأطهار له رثة فلبسها . وقيل لمسامات أبو الدرداء وجد في ثوبه أربعون

لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فمذهبه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خاق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فذلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من تنخة الكبرياء (١)» وكذلك قال عمر أخشى أن تنفخ حتى تباع الثريا للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبه فان كان دون ذلك فيألف من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تشვიهه في قضاء حوائجه وتمجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالتعليم واستنكف واستهزأ واستهزأ وأتمن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحجر استجهالا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فانها مشهورة، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق ولما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تنظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر (٢)» وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الفيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتياهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فإمن خلق ذمهم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظه عزه وما من خاق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الدميعة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لاحتالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والاعتقاد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - واللائكة باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنتم عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم نكالين فيها فبئس مشوى التكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال - ثم لنزغن من كل شيمة أبهم أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنكم لسكان مؤمنين -

رقمة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس على بن أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مدّ كفه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتسيوني على لباس هو أجد من الكبر وأجد أن يقتدى بي السلم وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيمين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

(١) حديث أعوذ بك من تنخة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جرير سأصرفهم عن أن يفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب التواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من همج برأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكبه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغمض الناس (١) » .

(بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله وأساتر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ما جهولاً فخارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار للتكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع التكبر ولا مثار له إلا الجهول المعض والظفیان مثل ما كان من عمروذ فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبداً لله ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا - . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة بصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهول يكبره فيمتنع عن الاقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاقياد للحق والتواضع للرسل كما حكي الله عن قولهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن أنهم إلا بشر مثنا - ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءمه الملائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعاً . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن وتلك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينا أنت رب تعبد إذ صرت عبداً تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يشه الله إلينا فقال تعالى - أمهم يقسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من يتناسأوا يستحقارهم واستبعاداً لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقروهم وتكبروا عن مجالستهم فأزل الله تعالى - ولولا تطرد الذين يدعون ربهم بالفداء والعشى - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واصر

(١) حديث التكبر من سفه الحق وغمض الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذى فقال من بطر الحق وغمض الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ الصنف ورواه البيهقى في الشعب من حديث أبي ريمانة هكذا .

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نظرين فلما نظر إليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل له في ذلك فقال خشيت أن يمرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لا يبتدان في منزلي لما تخوفت للقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فأشترى له ثعلبان محضوهان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والقناد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه التكبر عن الفكر والعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه التكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عجزا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا - وهذا التكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الاتقياد لهم وتدعوهم إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين : أحدهما أن التكبر والعز والمعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله التكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بالجلالة ، ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضماها على رأسه ويجلس على سريره فمما أعظم استحقاقه للقت ومما أعظم تهدفه للخزي والنكال ومما أشد استجراؤه على مولاه ومما أقبح ما تعاطاه ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى «العظمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعني فيهما قصمته » أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا بالملك والنازع فيه منازع في صفة من صفاتى وإذا كان التكبر على عباد لا يليق إلا به فمن تكبر على عباد الله فقد جنى عليه إذ الذى يستذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بمحاق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلاق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة التكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا صح الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادون تجاحد التكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتمال لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والناقين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون - فكل من يناظر للغلبة والإغما لا يهتم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإنا إليه راجعون قام رجل بأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالحق بالقسط من الناس فقتل التكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثمًا إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال ^{عليه السلام} لرجل « كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت لما منعه إلا كبره قال فما رفعها بعد ذلك (٢) »

(١) حديث قالت قرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للشركون وقال ابن ماجه قالت قرين (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحتذى
المخسوف وأكل مع
المبيد وإذا كانت
النفوس محل الآفات
فالوقوف على دسائسها
وخفى شهواتها واكلن
هواها عسر جدا
فالأليق والأجدر
والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يريب إلى ما
لا يريب ولا يجوز للعبد
الدخول في السعة إلا
بعد إتقان علم السعة
وكال تزكية النفس
وذلك إذا غابت النفس
بضية هواها للتبع
وتخلصت النية وتسد
التصرف بهلم صريح
واضع وللعزيمة أقوام
يركبوها وبراعونها

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبراً وثقافاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة البصودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن يحوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيء الأخلاق فإنه لم يشتغل أولاً بتهديب نفسه وتركية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه بقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخبر أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلواً صافياً فتشربه الأشجار بروقها فتحول على قدر طومها فيزداد للبرمرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدرهمها وأهوائها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خائفاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد أتت كدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لئنبيه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أنرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا إجبارة العلماء فلا يبق علمكم مجهلكم، ولذلك استأذن نعيم الدارى عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفض حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة يقوم فلما سلم من صلاته قال لتتسنن إماماً غيرى وأرتلصنن وحدانا فأبى رأيت في نفسى أنه ليس في القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فمأعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأبى يسمح آخر الزمان بثملهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اهرضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على قوات هذه الحصلة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أتم عليه نجا (٢) » لكان جديراً بنا أن نتحمم واليماذ بالله تعالى وورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه ولتأتمسكنا بعشر عشره . فنسأل الله تعالى أن ياملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستهالة قلوب الناس

السلام إن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومغتنال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل ممن كان قبلكم يتبختر في

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أنرأ منا (٢) منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما أتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبي ذر .

الزهاد والعباد ويتبرع الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم يزيارهم أولى منهم يزياره غيرهم ويتوقعون قيلم الناس قضاء حوائجهم ونوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكركم بالبرع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحفظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم (١) » وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مقتر بالله آمن من مكروه غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لقبره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسلم (٢) » وكمن الفرق بينه وبين من يحبه الله ويظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوه له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالذنوب منه وهو يتعطف إلى الله بالتره والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فإذا حو له صلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الهمال كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليع بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمني فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليع بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال له قم عنى فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرها فليستأقنا العمل فقد غفرت للخليع وأحببت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل الماصي إذا تواضع هيئة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم التكبر والعابد العجب، وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل آتى عابدا من بني إسرائيل فوطيء على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يغفر الله لك فأوحى الله إليه أيها التأتلى على بل أنت لا يغفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزأى أن صاحب الخزندل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلنا ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبد أن يغفر الله ولا يشك في أنه صار محموتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين التكبر والعجب واغترار بالله وقد ينهى الحق والعبادة يعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الإشفاء غليله والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل للفرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في ممت الله بعجايبه وكبره وهو غافل عن هلاك

(١) حديث إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسلم، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطيء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يغفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد القدى قال للمعاصي والله لا يغفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياقة وإسناده حسن .

ردائه إذ أعجبه رداؤه
خسف الله به الأرض
فهو يتعاجل فيها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صح حاله
بصحة علمه صحت نيته
في ما كوله وملبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
ويتسد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
وبقدر ذلك تستقيم
تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله
تعالى .

[الباب الخامس
والأربعون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
يشيكم الناس أمة

نفسه فهذه عقيدة المغترين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كان
 تهبّ ریح أوتقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولومات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد
 انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا اتقى
 الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدرد لعمله وسعيه وذلك ربما يضر من الرياء والتكبر والحسد
 والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد
 أحبط بعمله جميع عمله فان الجهل أغشى العاصي وأعظم شيء يعبد الصبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير
 من غيره جهل محض وأمن من مكراته ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر
 بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إنى أرى
 في وجهه سفة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سألتك
 بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم ^(١) « فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بنور النبوة ما استكن في قلبه سفة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله
 لكن العلماء والعباد في آفة التكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون التكبر مستقرا في قلبه يرى
 نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سخ
 في قلبه شجرة التكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية. الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في
 المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الإنكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصمر خده
 للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منتزه عن الناس مستغفرا لهم
 أو غضبان عليهم وليس يعلم السكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
 الحد حتى يصمر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره ^(٢) « فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسا وانبساطا ^(٣) » ولذلك قال الحرث
 ابن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ يجيئني من القراء كل طليق ضحاك فأما الذي تلقاه بيشر
 وبناءك ببوس عين عليك بلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى رضى ذلك
 لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم - وأخف جناحك إن اتبعك من المؤمنين - وهؤلاء الذين يظهر أثر التكبر
 على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر التكبر على لسانه حتى
 يدعو إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لعلة الغير
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده
 فيطول اللسان فيهم بالتقص ثم يثنى على نفسه ويقول إنى لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم
 القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول
 قصدي فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجرى مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما صباهاته
 فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى وإن كانوا يصبرون على الجوع
 فيكلف نفسه الصبر ليقلمهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من أن يقال غيره

منه وينزل عليكم من
 السماء ماء ليطهركم به
 ويذهب عنكم رجز
 الشيطان - نزلت هذه
 الآية في المسلمين يوم
 بدر حيث نزلوا على
 كعب من الرمل
 تسوخ فيه الأقدام
 وحوافر الدواب وسبقهم
 المشركون إلى ماء بدر
 العظيم وغلبهم عليها
 وأصبح المسلمون بين
 محنت وجنب وأصابهم
 الظما فوسوس لهم
 الشيطان أنكم تزعمون
 أنكم على الحق وفيكم
 نبي الله وقد غلب
 المشركون على السماء
 وأنتم تصلون محدثين
 ومجنبيين فكيف

(١) حديث أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي
 ذكرناه لك فقال إنى أرى في وجهه سفة من الشيطان الحديث أحمد والبراز والدار قطن من حديث
 أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث
 كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فإنه يتفاخر ويقول أنا متفني في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليضفه ويعظم نفسه وأمامهااته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يظلب ولا يظلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتجميع الألفاظ وحفظ العلوم الثرية ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يشرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطهم ومجالستهم وممرته على اللسان التفخربه فيقول لغيره يانبطي ويأهندي ويأرمي من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لمثلك أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطمأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا بأذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» (٢) وقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بأبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكونن أهون على الله من الجمالان التي تدرف بأناقها القدر» (٤) . الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

ترجون الظفر عليهم
فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه
الوادى فشرب المسلمون
منه واغتسلوا وتوشوا
وسقوا الدواب وملثوا
الأسقية ولبد الأرض
حتى ثبت به الأقدام قال
الله تعالى - وثبت به
الأقدام. إذ يوحى ربك
إلى الملائكة أني معكم -
أمدم الله تعالى
بالملائكة حتى غلبوا
للسركين ولكل آية
من القرآن ظهر
وبطن وحد ومطلع
والله تعالى كما جعل
الناس رحمة وأمنة
للسحابة خاصة في تلك
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر
قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر والصلة
مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بغير من أحمر ولا
أسود إلا أن فضله بتقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما
للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السنن من حديث أبي بن
كعب باسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى ققط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر
بأبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكونن أهون على الله من الجمالان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجرى بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والتلب والغبية وذكروا عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالتصغر فكأنها أجمعت بقاتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت . الخامس : الكبر بالمسال وذلك يجرى بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيمهم وبين التجميلين في لباسهم وخبوطهم ومرابكهم فيستحقق الفنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لا اشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوى أكثر من جميع مالك وأنا أفقر في اليوم مالا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للفنى واستحقاقه للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الفنى وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليهما حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤهما غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - ياليتنى لم أشرك بربى أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لندو حظه عظيم - السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والعلماء وبالعشيرة والأقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك في المكاترة بالجنود وبين العلماء في المكاترة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمال وإن لم يكن في نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخنثى ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخنثين لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد ينتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والعلماء ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم والحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه الهيجة له)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي عمرة ونتيجة وينبغى أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالتكبر كما سيأتى بمعنى فانه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرها . أما السبب الذى في التكبر فهو العجب الذى يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد الذى يتعلق بغيرها هو الرياء فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر

وابن حبان من حديث أبى هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أى أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة هم للأؤمنين
والناس قسم صالح
من الأتسام العاجلة
للمريدين وهو أمانة
لقلوبهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالنوم تستريح ولا
تشكو الكلال والتعب
إذ في شكائتها وتعبها
تكدير القلب
وباحترامها بالنوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لما بين
القلب والنفس من
المواطأة عند طمأنينتها
للمريدين السالكين
فقد قيل ينبغي أن يكون
ثلث الليل والنهار نوما
حتى لا يضطرب الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقة ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بفضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكمن رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بفضه له وعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأتفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكمن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبضا عليه فهو معرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يئنه على أن يعامله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقة . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق للتكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذى يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلو به مهما لم يكن مهما ثالث وكذلك قد ينتمى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم للتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بمن الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصمري في وجهه ونظيره شذرا وإطرافه رأسه وجلسه مترجأ ومثكثا وفي أقواله حتى في صوته ونعمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته وتبخرته وقيامه وجلسه وحر كاته وسكاته وفي تعاطيه لأمره . وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله من التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يجب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشى إلا ومعه غيره يمشى خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، ومشى قوم خلف الحسن البصرى فنعيمهم وقال ما يبق هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى في غمارهم (٢) « إما لتعليم غيره أو لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصحبة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشى مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشى إلى البقيع فنبه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

النوم ساعتين من ذلك
بجملهما للريد بالهار
وست ساعات بالليل
ويزيد في أحدها
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصدق
الطلب ينقص النوم
عن قدر الثلث ولا
يضر ذلك إذا صار
بالترجيح عادة وقد
يحمل ثقل السهر وقلة
النوم وجود الروح
والأنس فان النوم
طبعه بارد رطب ينفع
الجسد والدماع ويسكن
من الحرارة واليبس
الحادث في المزاج فان

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين العيين^(١). ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبحث إليه إبراهيم بن آدم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا إسحق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضع ومنها أن يستكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبدالعزيز بن أبي رواد فسألت عن غدي فغدي فنجيت نفسي عنده فأخذ ثيابي فجرتني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجارية وإني لأعرف رجالنا منكم شرا مني. وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تنهب به حيث شاءت^(٢). ومنها أن يتوقى من مجالسة للرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه^(٣) وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقدم على ما عدته. ومنها أن لا يتعاطى يده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هي أول نومة نامها قيام وأخذ البطقة وملاها المصباح زيتا فقال الضيف لمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٤) وقال على كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كاله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت بأهريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لروان فقال أوسع الطريق للأمر يا ابن أبي مالك. وعن الأصمغ بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضى الله عنه معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحما بدرم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لاه أبو العيال أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذاعة من الإيمان»^(٥) فقال هرون سألت معنا عن البذاعة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة قرعة بعضها من آدم وعبوب على كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشى حلقهم فسل عن ذلك فقال إنى سمعت خفق نعالكم فأشفت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو ينكر فيه جماعة ضعفاء^(١) حديث إخراجه الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الشرك الجديد ورد الشرك الحقيق أو نزع الخبيصة وليس الأبنجانية وكلاهما تقدم في الصلاة^(٢) حديث أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم في آداب العيشة^(٣) حديث الرجل الذي به جدرى وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا^(٤) حديث حمله متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراريل وحمله وتقدم^(٥) حديث البذاعة من الإيمان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم.

قصص عن التلث يضر الدماغ ويغشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنه لا يضر تقصاته لأن طبيعة الروح والأنس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تفسر مدة طول الليل بوجود الروح فتصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لأهل الروح. نقل عن على بن بكر أنه قال: منذ أربعين سنة ما حزنتي إلا طلوع الفجر. وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إنى لأغسل ثوبى هذين فأشكر قلبى ماداما
 تهيين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف
 دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول
 ما أجوده لولائه قيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يأمر المؤمنين فقال إن لي ثوبا أقدواها
 لم تنق من الدنيا طبقة إلا تاتت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذقت الحلافة وهى أرفع الطباق تاتت
 إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
 قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل يأمر المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست
 فكسر رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل الضوع عند القدرة . وقال
 صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله
 أن يدخره بعقري الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .
 « وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه
 الحق وغمض الناس (٢) » فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته
 أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو الذى عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إنى امرؤ حجب إلى من الجمال ماترى (٣)
 فصرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا يتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من
 الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب بدون قد يكون من التواضع وعلامة للتكبر
 أن يطلب التجميل إذ آراه الناس ولا يالى إذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يجب
 الجمال في كل شئ ولو في خلوته وحتى في سنوره داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الأحوال
 نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء في
 القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعنى أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب
 الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من
 اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا
 والبسوا وصدقوا في غير سرف ولا غيبة (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال
 بكر بن عبد الله المزنى البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية وإعما خاطب بهذا قوما يطلبون
 التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان
 وقلوبكم قلوب الدناب الضواري البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية . ومنها أن تواضع
 بالاحتمال إذا سب وأذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما نقل عن السلف من احتمال
 الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
 وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به . ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الخدرى

كيف أنت والليل قال
 مراعيته قط يرى
 وجهه ثم ينصرف
 وما تأملته . وقال
 أبو سليمان الداراني
 أهل الليل في ليهم
 أشد لذة من أهل اللهو
 في لهوم . وقال بعضهم
 ليس في الدنيا شئ
 يشبه نعيم أهل الجنة
 إلا ما يجد أهل التلق
 في قلوبهم الليل من
 حلاوة للتاجاة حلاوة
 للتاجاة ثواب عاجل
 لأهل الليل . وقال
 بعض العارفين إن
 الله تعالى يطلع على
 قلوب السائقين في
 الأسفار فيملؤها نورا
 فترد الفوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو عبيد اللات في مسند الصوفية
 وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل
 عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ، الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس
 قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنى امرؤ حجب إلى الجمال الحديث هو الذى قبله سمى فيه السائل وقد تقدم
 (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وصدقوا في غير إسراف ولا غيبة النساء وابن ماجه من رواية
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذى
 وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما للصف حديثا واحدا .

ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والمطعم فقال يا ابن أخي: كل لله واشرب لله واللبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يلفف الناصع وينقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخفف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيأ ويشترى الشيء من السوق ولا يمنه من الحياء أن يلقه يده أو يحمله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصفح الغنى والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغيراً أو كبيراً أسوداً وأحمر حراً أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر مادعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل للعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مثالة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يشم قط من شبع ولا يمد يده من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذ ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يبيت إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إلي من اليسار والغنى وإن كان ليظل جائعاً يلتوى ليلته حتى يصبح لما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الأرض وثمارها وورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الغداء لو تلبت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمتلك من الجوع يقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا لضوا على حالهم وتدماوا على زهم فأكرم ما بهم وأجزل نوابهم فأجدي أستحي إن ترفعت في مبيتني أن يقصر بي دونهم فأصبر أياماً سيرة أحب إلي من أن يتقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بإخواني وأخلائى قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١) . لما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضع فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به لما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز في غير ملاءعوتك في بذاذة هيبته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : اعلم أن الله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تبجح وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعمائة صديقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . واعلم يا أخي أنهم لا يلبسون شيئا ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يلفف الناصع الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شبعاً الحديث بطوله لم أقف لها على إسناد .

فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم القوائد إلى قلوب النافين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عباداً يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروني وينظرون إلي وأنظروني فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عن ذلك سقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كيراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كأعن الطير إلى أوكارها فاذا

ولا يحقرونه ولا يتناولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرمون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وأولهم عريكة وأسخام تقسا علامتهم السخاء وسجبتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حلهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركم الرياح العواصف ولا الخيل الهجرات تصعد قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدما في استباق الخيرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون - قال الراوي : قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتفبه بالعصمة . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلاذد التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيتَه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التخي بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . للقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء إلا بجموعهما أما العلمي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالتقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما أكره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لقدمه أول وأى شيء أخس وأقل من الحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنوع إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه حمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا ييطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجمله قبل علمه وبعماء قبل بصره وبصممه قبل سمعه ويكفه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره - ومعنى قوله - هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سمعا بصيرا إنا هدينا

جنهم الليل واختلط
الظلام وخال كل حبيب
بجيبه نصبوا لي
أقدامهم واقتروا لي
وجوههم وتاجسوني
بكلامى وتملقوا إلى
إنعامي فبين صارخ
وباك وبين متأوه
وشاك بعين ما يتحملون
من أجلى وبسمى
ما يشكون من حبي
أول ما أعطيهم أن
أقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عني
كما أخبر عنهم والثاني
لو كانت السموات
السبع والأرضون
وما فيها في موازينهم
لاستقلتها لهم والثالث
أقبل بوجهي عليهم

السييل إما شاكرا وإما كفورا - ومضاه أنه أحياء بعد أن كان جمادا ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا وأسمه بعدما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من المجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا هم بهر تنتشرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف تفه من تلك القلة والقلة والحسة والقدارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيابا بعد اللوت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وطالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد المعجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لاشئ "وأى شئ" أخس "من لاشئ" وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وإنما خلقه من التراب الدليل الذى يوطأ بالأقدام والنطفة القادرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمتة وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال - ألم نجعل له عيينا ولسانا وشفعتين وهدينا النجدين - وعرف خسته أولا فقال - ألم يك نطفة من منى - يعنى ثم كان علقه - ثم ذكر منته عليه فقال - خلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكرو الأنثى - ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاجترار فمن كان هذا بدوؤه وهذه أحواله فمن أين له البطور والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأخصاء وأضعف الضغفاء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته فبمعنائه وتعظيم ذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطنى وينسى للبدأ وللتنهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض المهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من اللرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويبطش كرها ويعرض كرها ويعوت كرها لا يملك لنفسه تقيا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرأ يريد أن يعلم الشئ فيجبهه ويريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينسى الشئ ويفعل عنه فلا يفتل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيجول في أودية الوسوس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشهى الشئ ويربعا يكون هلاكا فيه ويكره الشئ وربما تكون حياته فيه يستلك الأطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهى تنفعه وتعييه ولا يأمن فى لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتلفح أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف فى عيد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمله. وأما آخره ومورده فهو اللوت للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومضاه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لاحتسب فيه ولا حركته ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قنطرة كما كان فى الأول نطفة مذرة ثم تلبى أعضاؤه وتفتت أجزاءه وتتخر عظامه ويصير زميا رفاتا ويأكل الودود أجزاءه فيتندى بعدتية فيقلعها ويغديه فيقطعها ويسأر أجزاءه فيصير روتا فى أجواف الحديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإلتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابا يصل منه الكيزان ويصير منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا فوضار كأن لم يكن بلأمس حصيدا

أفستى من أقبلى
بوجهى عليه أعلم أحد
ما أريد أن أعطيه
فالصديق المريد إذا خلا
فى ليله بمناجلة ربه
انتشرت أنوار ليله على
جميع أجزاء نهاره
ويصير نهاره فى حماية
ليه وذلك لامتلاء قلبه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريفه بالهار
تصدر من منبع
الأنوار المجتمعة من
الليل ويصير قلبه فى
قبة من قباب الحق
مسددا حركاته موفرة
سكانته. وقد ورد من
صلى بالليل - من وجهه
بالنهار - ويجوز أن
يكون لمنين: أحدهما

كما كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا ، لا بل يحبه بعد طول البلى ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للثفرفة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسما مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدره وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجنم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكتبان عليك ما كنت تتطرق به أو تعمله من قليل وكثير وقير وقطير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسبت ذلك وأحساء الله عليك فعمله إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزفا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من عجزه فاذا شاهده قال سيأولتنا ما لهذا الكتاب لا يبادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحاسها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فالمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعباد بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع الهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطايا أو يلقي عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولورأى أهل الدنيا العبد للذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ربحه لماتوا من قته ولو وقت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أتقن من الحيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويطنر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يستفده فضلا وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يفو الله الكريم بفضلته ويجبر السكسر بمنه والرجاء منه ذلك لسكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله رأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائته ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدري أي عني عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أقترى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكنيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلك أنه ذاهو العلاج الملئ القامع لأصل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل وللسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق للتواضعين كما وصفناه وحكيته من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» (١) «وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به إلى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد للعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جعلها ما فيها من التواضع بالثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأتون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نمله فلا ينكسر رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يايت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قهه وكل إيمانه بعد ذلك» (٢)

أن الشكاة تستبر بالمصباح فاذا صار سراج اليقين في القلب زهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقا وتكسب مشكاة القلب نورا وضياء . كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والإقرار قبلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى - سيام في وجوههم من أثر السجود - وقال تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - فنور اليقين من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة

- (١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم في آداب للعيشة
(٢) حديث حكيم بن حزام يايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما الحديث رواه أحمد مقتصرا على هذا وفيه إرسال خفي .

فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعفة أمروا به لتتكسر بذلك خيالاتهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتفاض الكبر من الأفعال فليواظب على يقينه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعمل جميعا وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم للملكوت والقلب من عالم للملكوت . للقام الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما معاده مما يغني بالموت فسكالم وهمي فمن هذا يصير على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يتره الكبر من جهة النسب فيلداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكالم غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بأباه ذوى شرف لقد صدقت ولكن بش ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خسيما في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكالم غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لى ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قدرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم خر طينة حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر وأحسن الأحياء ما إليه انتسابه إذ يقال بأذله من التراب ويا أنتن من الحماة ويا أقدن من اللضة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب فنقول : افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة واللضة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رفة فمن أين جاءت الرفة لولده فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فضل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تفصل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه للعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الحزى لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة واللضة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمعامة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأحياء القنرة التي يتزده عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الأنداز في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثاقه والخاط في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصدید تحت جمرته والصان تحت إبطه ينسل القائط يده كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بينه

القلب كالكوكب
الدرى وتتكس آوار
الزجاجة على مشكاة
القالب وأيضا يلين
القلب بنار النور
ويسرى لینه إلى القالب
فيلين القالب للين القالب
فيتشابهان لوجود اللين
الذى عمهما . قال الله
تعالى - ثم تليين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
وصف الجلود باللين كما
وصف القلوب باللين
فاذا امتلأ القلب بالنور
ولان القالب بما يسرى
فيه من الأنس
والسرور يندرج
الزمان والمكان في نور
القلب ويندرج فيه
الكلم والآيات والنور

لاستقنره فضلا عن أن يمه أو يشمه كل ذلك يعرف قدارته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من اللد كرجى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقنر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خره إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتمدها بالتنظيف والصل ثارت منه الأتان والأقدار وصار أثنان وأقنر من اللدواب للهامة التي لا تمهد نفسها قط فإنا نظر أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيموت فيصير جيفة أقنر من سائر الأقدار لم يتفخر بجماله الذي هو تكضراء الدمى وكلون الأزهار في البوادي فبينما هو كذلك إذ صار هشما تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على التبيح إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأمها .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويعتبه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أهجن من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه اللدباب شيئا لم يستقنره منه وأن بقة لو دخلت في أفه أو نملة دخلت في أذنه لتقلته وأن شوكة لو دخلت في رجه لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجز في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يتفخر بقوته ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى انتخار في صفة يسبقك فيها البهائم . السبب الرابع والخامس : النفي وكثرة اللال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمسك من جهنهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فإن التكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لماد ذليلا والتكبر بتمسك السلطان وولايته لا يصفه في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والتكبر بالنفى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في النفي والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مقلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك وشىء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أجه لك وإن استرجه زال عنك وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفخر الناقل بقوته وجماله وماله وحررته واستقلاله وسعة منزله وكثرة خيوله وغلمانة إذ شهده عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فلم ذلك وحكم به الحاكم بقاء مالكة فأخذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى أن يماقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكة ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوبا في منزل قد أحدثت به الحيات والمقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أقرى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكأله أم تدل نفسه وبخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض
العالم بنور ربها إذ
يسير القلب سماء
والقلب أرضا ولذة
تلاوة كلام الله في محل
للناجاة تستر كون
الكائنات والسلام
الجميل بكونه ينوب
عن سائر الوجود في
مزاومة صفو الشهود
فلا يبقى حينئذ للنفس
حديث ولا يسمع
للهاجس حسيس ونفى
مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من
فأخذه إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
تس وذلك هو الفضل
العظيم . الوجه الثاني
قوله عليه السلام

في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تكبر فباضعه من أوامر ربه بجنائيات على جوارحه وذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والتفاخر وغيره وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لاجالة الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله أيضاً وقد أحب الله منه أن يتواضع وقاله إن لك عندي قدراً ما لم ترفسك قدراً فإن رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلمهم فهذا أيضاً مما يبيته على التواضع لاجالة . فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجمل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخفيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق وللمبتدع أكثر . فاعلم أن ذلك إما يمكن بالتكبر في خطر الحاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والحزير أهل رتبة من هو عندنا من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحقه وازدراه لكفره وقد رزقه الله الإسلام وفاق جميع المسلمين إلا أبابكر وحده فالعواقب مطوية بين العباد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تتراد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصي الله بجمل وأنا عصيته بلم فهو أعز مني وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إن عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري لعله يختم له بالإسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كالم يكن ابتداءها إلى فملاحظة الحاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لأنها يظهر في الدنيا مما لاجاء له ولم يمرى هذا الخطر مشترك بين للتكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لما يقته لا أن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشدة كل إنسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جنائيتهم وعدوا بأن تضرب رقابهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر إذ يشغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات إلى هم غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيئته وخطره . فان قلت فكيف أبيض البتدع في الله وأبيض الفاسق وقد أمرت ببيضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقاً جلس بمجته أزهج من عنده وتزده عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بن إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على للطبع ظاهر كونه شرراً والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق وللمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الضبيان أيضاً يتكبر على من غضب عليه وللتكبر غضب واحد ما شر الآخر ويوجهها مما يمزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموقنون والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ثلاثة أمور:

القبلة منتظراً مجيء الليل وصلاة المغرب مقياً في ذلك على أنواع الأذكار ومن أولها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لئن استغفرت لئنك وسبح بحمد ربك بالحق والابكار ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فانه إذا واصل بين العشاءين ينفلح عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له أثر وخدش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصرف عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لالك قمرى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إبهام عاقبتك ، وعاقبتك أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه . فإن قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تنضب لمولوك وسيدك إذ أمرك أن تنضب له لائنسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحاقمة، وأعرفك ذلك بمثال تعلم أنه ليس من ضرورة النضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هوقرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أذبه واشتغل بما لا يليق به وينضب عليه فإن كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن ينضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما ينضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده وينضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لاهالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة النضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى اللبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرها في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك تنضب بحكم الأمر محبة لمولوك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما الفرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الفرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع النضب عليه وجانبتة بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابي ^(١) » إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فإن قال العابد : ذلك لعالم عامل بمله وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر ثابتا عنه لم يجوز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له . فإن قلت : فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خاتما فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خاتما على نفسه وقد كلف أمر نفسه لأمر غيره فينبغي أن يكون الطالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابي الترمذى من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب
كدر في القلب يدركه
من يرزق صفاء القلب
فيكون أثر النظر إلى
الخلق للبصيرة كالنذى
في العين للبصر
وبالمواصلة بين
العشائرين يرجى ذهاب
ذلك الأثر . ومن ذلك
ترك الحديث بعد
العشاء الآخرة فإن
الحديث في ذلك الوقت
يذهب طراوة النور
الحدث في القلب من
مواصلة العشاءين
ويقيد عن قيام الليل
سواء إذا كان عريا
عن يقظة القلب ، ثم
تجدد الوضوء بعد
العشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جباة . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا يبغي أن يتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا يبغي أن يتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتحيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محموتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا يمكن والإمكان البعيد فبا عليك يبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فيها هو يمكن لتبرك بل فيها هو مخوف في حقتك فانه لا تزور وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلأفلا تراه إلا خاتما من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن فيها أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطها ثم قال حينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن طابدا آوى إلى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله أن يدعوك فأتاه فساله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتسب فيصدق بعضه ويطمع عياله ببعضه فرجع وهو يقول إن هذا الحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذي بوجهك فأتاه فساله فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للملائكة عليهم السلام مع تقدمهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى عبرائهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - فحق رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يفعله العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بسين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .
حكى لي بعض الفقهاء
عن شيخ له بخراسان
أنه كان يتفلسف في الليل
ثلاث مرات مرة بعد
العشاء الآخرة ومرة
في أثناء الليل بعد
الانتباه من النوم
ومرة قبل الصبح
فلو ضوه والنفل بعد
العشاء الآخرة أثر
ظاهر في تيسير قيام
الليل ومن ذلك التعود
على الذكر أو القيام
بالصلاة حتى يئلب
النوم فان التعود على
ذلك يمين على سرعة
الانتباه إلا أن يكون
واقفا من نفسه وعادته
فيتعمل للنوم

لاغير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمّر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال التواضع في مواقع هيجان الكبر من النفس ، ويبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج ما في الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فنقل عليه قبوله والاقباله والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشغل بعلاجه ، أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطرا عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما تقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالجزم ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نهيتي له فالحكمة صالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم قضيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في اللأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة واللأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخاض من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزيله الكبر وهم بالاشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بمنهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرقء والأقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل ففقر النفس عنها ليس إلا الخبث في الباطن فليشتغل بأزائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقائه من السوق إلى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله المهلكة له إن لم تدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كُتبت عليها الموت لاهمالة القلوب لا لتدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلمن أتى الله بقلب سليم - ويروي عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب ثقيل له يأبأ يوصف قد كان في غلمانك وبتك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكرك ذلك فلم يقع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر «من حمل الفاكهة أو الشيء فقد برى من الكبر» (١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بدلة فان ثور النفس عن ذلك في اللأ رياء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة فقد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بالفظ من حمل بضاعته .

ويستجلبه ليقوم في وقته العمود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للريدين والطالبيين وبهذا وصف الهبون قيل نومهم نوم العرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة نومهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قل صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير وألق أصابعي وأجيب دعوة الملوكة، فمن رغب عن سنن قليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أنوما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فليختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلو فهو الكبر، فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك للرض لا يداويه.

(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يعيل إلى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يعيل إلى النقصان يسمى تجانسا ومثله، والوسطية تواضعا. والمحمود أن تواضع في غير مثله ومن غير تجانس فان كلا طرفي الأمور ذميمة. وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والله إذا دخل عليه إسكاف فتحنى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تجانس وتذلل، وهذا أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فيبني أن يتواضع مثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسمي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فاذن سيدها في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يتقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يتقل عليه رعاية قدره حتى أحب التخلق والتخاسن فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس للؤمن أن تذلل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أقيح من الآخرة، والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشرط الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدها وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مآبه العجب وتفصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تهن عنكم شيئا - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بزيادة فيه وفي إسناده القاسم اليمري ضعيف جدا.
(٢) إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بفضه ولم أجد بقبته.

هو التجافي الذي قال الله تعالى - تجافي جنوبهم عن الضاحج - لأن المهم بقيام الليل وصدق العزيمة يحصل بين الجنب والضجع نبوا أو تجانبا وقد قيل للنفس نظران: نظرا إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظرا إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية. فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن الضاحج لنظرم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقا من النوم ومنعوا حظها فالنفس

يجب الانسان بعمل هو مخطيء فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقد صلى الله عليه وسلم
 « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال لأن ثعلبة حيث ذكر آخر
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمليك نفسك (٢) » .
 وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسمى
 والطلب والجد والتشمير والقانط لا يسمى ولا يطلب والعجب يتمتد أنه قد سعد وقد ظفر بمراحه فلا يسمى
 فالموجود لا يطلب والحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصله له ومستحيلة في اعتقاد
 القانط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت
 خيراً فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تمتدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكانه أعجبه فله
 العظيم إذ فداء بروحه حتى جرح ففارس ذلك عمر فيه فقال ما زال يرف في طلحة نأو منذ أصيبت أصبحه
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والنأو هو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحتقر مسلماً
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن آيت
 نأماً وأصبح نادماً أحب إلى من أن آيت قائماً وأصبح معجباً . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا
 لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب (٤) » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور
 من القدين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة تلو اذنته على العبادة فأطال الصلاة يوماً ورجل خلفه ينظر
 فظن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يصيبك ما رأيت منى فان إبليس لعنه الله قد عبد الله
 تعالى مع اللاتكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه . وقيل لما نشأ رضى الله عنها من يكون الرجل
 مسيئاً قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى - والبن نتيجة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جداً .

(بيان آفة العجب)

بما فيها مركز من
 الترايب والجمادية ترسب
 وتستحس وتستلذ
 النوم . قال الله تعالى
 - هو الذي خلقكم من
 تراب - ولأدى بكل
 أصل من أصول خلقه
 طبيعة لازمة له .
 والرسوب صفة التراب
 والسكل والتقاعد
 والتناوم بسبب ذلك
 طبيعة في الانسان ،
 فأرباب الهمة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى - آمن
 هو قانت آتاه الليل
 ساجداً وقائماً - حتى
 قال - قل هل يستوى
 الذين يعلمون والذين
 لا يعلمون - حكم هؤلاء
 الذين قاموا بالليل بالعلم

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كاذكرناه فيتولد من العجب
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع البعاد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى
 نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدتها لظنه أنه مستغن عن تفقد هافينكها وما
 يتذكر منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له . وأما العبادات
 والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويعين على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتسكين منها ثم
 إذا أعجب بها عسى عن آفاتهما ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائماً فان الأعمال الظاهرة
 إذا لم تكن خالصة تهي عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد من يغب عليه الإشفاق والحرف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أن ثعلبة إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمليك نفسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث
 وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخاري من رواية قيس
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة سلاه وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذنبوا لخشيت
 عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث
 أنس وفيه سلام بن أبي الصهيا قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه
 أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً .

دون العجب والعجب يضر نفسه وبأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطائه ويخرجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويركبها وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بين الاستجبال ويصر على خطئه فإن كان رأيه في أمر ديني أو في أمر دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بلاء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يفترق السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم كمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره جالتان: إحداها أن يكون خائفا على زواله ومشقفا على نكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعلمه كرامة في الدنيا واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاد ما يجرى على الفاسق سمي هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستهظمه ويعين عليه فيكون معجبا فان استخذه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لا تمدل بملك وفي الخبر « إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنوبك خير من أن تبكي وأنت مدل بملك (١) » والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فان توقع إجابة دعوته واستكرورها يباطن وتجب منه كان مدلا بعلمه لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات التكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلّة العجب الجهل المحض فلجأه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار المبدأ كالعبادة والصدقة والتزو وسياحة الخلق وإصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يجب به من حيث إنه فيه

(١) حديث إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع علمهم
أزعموا النفوس عن
مقار طبيعتها ورقوها
بالنظر إلى الذات
الروحانية إلى ذرا
حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن الضامع
وخرجوا من صفة
العقل المراجع . ومن
ذلك أن يضرب العادة
فان كان ذا وسادة
يترك الوسادة وإن
كان ذا وطاء يترك
الوطاء وقد كان بعضهم
يقول لأن أرى في بيتي
عيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعوني إلى النوم
وتتيسر العادة في
الوسادة والغطاء

فهو محله ومجراه أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجاب به بحدود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغمانه ونظر إليهم وخلع من جماتهم على واحد منهم لالصفة فيه ولا الوسيلة ولا الجمال ولا الخدمة فينبغي أن يتعجب للنم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجاب به نفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه ، نعم يجوز أن يعجب العبد بقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفطن في صفة من الصفات الحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخدمة ولما آثرنى بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأن صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لأنفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك للفرد باختراع الجميع للفرد بإيجاد الوصف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت ووقفى للعبادة لحبي له فيقال ومن خالق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بجوده إذ أنم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لامعنى لعجب العابد بعبادته وهب العالم بلمه وهب الجليل بجماله وهب الغنى بفضاه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده . فان قلت لا يمكن أن أجهل أعمالى وأنا عميتها فأنى أتتظر عليها ثوابا ولولا أنها عمل لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لى الثواب وإن كانت الأعمال منى وبقدرة فكيف لا أعجب بها . فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخريه مسامحة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رعى فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إِبصار العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تتنى شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى أعضاءك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق فى العضو قوة وفى القلب إرادة ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما ما لم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجه فى الخلق شيئا بعد شئ . هو الذى خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سبحانه تهريره فى كتاب الشكر فانه ألقى به فأرجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو أن نحب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأثير فى ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزيمته يشبه على ذلك
بتيسير مرام ومن ذلك
خفة المعدة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذكر
الله ويقظة الباطن
أغان على قيام الليل
لأن بالذكر يذهب
داؤه فان وجد للطعام
تقلا على المعدة فينبغي
أن يعلم أن تقله على
القلب أكثر فلا ينام
حق يذيب الطعام
بالذكر والتسلاوة
والاستغفار قال بعضهم
لأن أخص من عشائى
لعملة أحب لى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا للفتاح يد الله ومهما لم يسطك للفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي يد الله لا محالة أرايت لورايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أقسمت لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك للفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن للفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن المفتاح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة في تحريك اليد بأخذ اللال قرية وإنما الشأن كله في تسليم المفتاح فكذلك مهمل خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وفضله وكرمه في إشارته إليك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أقدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فقل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريئة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرتك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي وأشقاه بدمه لا أحب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذن لا تنصرف قدرتك إلى التدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجديلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والثناء لاك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسبب ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره بمن أفاض عليه اللال من غير علم فيقول كيف منعتي قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الناقل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المورور أنه لو جمع له بين العقل واللال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والنبي وحرمتني منها فلا جمعتمالي أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء قراءم قال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل النبي أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وقورك لا تمتع عنه فاذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والراة الحسناء الفقيرة ترى الحلوى والجواهر على الدميعة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك التبجح ولا تدري للضرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خبرت بين الجمال وبين التبجح مع النبي لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فب آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحبجة تطلب بها نعمة أخرى؟ فهذه أو هام لا تغلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم الحق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والإدلال وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يسبب

أن أقوم ليلة والأحوط
أن يوتر قبل النوم
فانه لا يدري ماذا يحدث
ويعد ظهوره وسواكه
عنده ولا يدخل النوم
إلا وهو على الطهارة.
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا نام
العبد وهو على الطهارة
عرج بروحه إلى العرش
فكانت رؤياه صادقة
وإن لم ينم على الطهارة
قصرت روحه عن
البلوغ فتكون المنامات
أضغاث أحلام
لا تصدق « والريد
للتأهل إذا نام في
الفراش مع الزوجة
ينتفض وضوءه باللمس
ولا يفوته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأنى ليلة إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يبعدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجبه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب فقال إني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذنب بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا في أى شهر ولا في أى يوم وأنا أخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بإمرأة فاحذر نفسك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما اتسك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة (١) وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أتى لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضع على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكنا منكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمته (٢) ولقد كان أصحابه من بعده يتنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمسادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالي أن يحرم من غير جنابة ويعطى من غير وسيلة لا يبالي أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبره كعجبه بالرأى الخطأ الذي يزين له بعمله فإبه العجب ثمانية أقسام : الأول أن يعجب بيده في جماله وهيبته ومجده وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فإلقت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في التكبر بالجمال وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت في التراب وأنت في القبور حتى استقدرتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قولهم يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة البيهقي في دلائل النبوة من رواية الريح بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم - ولا بين مردويه في تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم قالوا اليوم قتال ضرور ، فيه القرح بن فضالة ضمنه الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجيه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

النوم على الطهارة مالم
يترسل في التذاد
النفس باللس ولا يندم
يقظة القلب فأما إذا
استرسل في الالتذاد
وغفل فتعجب الروح
أيضا لمكان صلاته
ومن الطهارة التي تشر
صدق الرؤيا طهارة
الباطن عن خدش
الهوى وكدورة محبة
الدنيا والتزهر عن
أنجاس الغل والحقد
والحسد وقد ورد « من
أوى إلى فراشه لا ينوي
ظلم أحد ولا يحقد على
أحد غفر له ما أجترم »
وإذا طهرت النفس
عن الرذائل انجلت
مرآة القلب وقابل

حين قالوا فيما أخبر الله عنهم - من أشدّ منا قوة - وكما اتسكل عوج على قوته وأعجب بها فاتلح جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فتبّ الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقرهه هذضيف للنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى فحرم ما أراد من الولد^(١) وكذلك قول داود عليه السلام إن ابتلي صبرت وكان إعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلّبها الله تعالى بأذى آفة يسلطها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والنظن لدهقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وتمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس الخالفين له ولرأيه ومخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والمقل واستحقار الهمة وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويمن بحيث يضحك منه فلا يأمّن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليست قصر عقله وعلمه ويعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف يعلم معرفة الناس من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحقى كيف يعجبون بقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يدهنه يثني عليه فيزيده عجاوه ولا يظن بنفسه إلا الخير ولا يظن لجهل نفسه فيزداد به عجا. الرابع: العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجر بشرف نسبه ونجاة آباءه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه لما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزرار على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والحصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساوهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - أي لانفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ثم بين أن الشرف بالنسب لا يقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس من أكرس الناس لم يقل من ينتمى إلى نسبي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للموت ذكر أو أشدهم له استمدادا^(٢) وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرت بن هشام وسيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا الصبد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب^(٣)»

الروح المحفوظ في النوم وانتفتت فيه هجاب النبي وعراب الأنبياء ففي الصديقين من يكون في منامه مكالة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويسرفه ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الأمر والنهي كالأمرو والنهي الظاهر يصي الله تعالى إن أدخل بهما بل تكون هذه الأوامر أكدوا عظمه وقهالأن المخالفات الظاهرة تمحوها النسوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه أوامر خاصة تملق بحاله

- (١) حديث قال سلمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخارى من حديث أبي هريرة
 (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكرس الناس قال أكرمهم للموت ذكر أو أشدهم له استمدادا
 ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر الموت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذى أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم (١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتک الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد يا صفة بنت عبد اللطاب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعماله لأتسكبا فإني لأغنى عنكما من الله شيئا (٢) » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آباءه التواضع اتحدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتسى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إني لأغنى عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها يلالها (٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد اللطاب (٤) » فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والذئيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقى الله أن يضرب عليه فإنه إن يضرب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب اللقت فلا يؤذن في الشفاعته وإلى ما يفي عنه بسبب الشفاعته كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعته فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تجب منه الشفاعته وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفون إلا لمن أراضى - وبقوله - من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه - وبقوله - ولا تنفع الشفاعته عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تنفعهم شفاعته الشافعين - وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لاحالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعته لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها عن اللصية وكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكفل لقاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكفل لقاتها في الآخرة فالانهاك في الذنوب وترك التقوى ابتكالا على رجاء الشفاعته يضاهى انهماك المريض في شهواته اعتادا على طيبب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطيبب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لاني كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتادا على مجرد الطب بل للطيبب أثره الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال الزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفاء من الأبياء والصحاء للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزال الخوف والحذر وكيف يزال وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والحشوع قلوبهم ،

فما بينه وبين الله تعالى
فإذا أخل بها يخشى
أن يتقطع عليه طريق
الإرادة ويكون في
ذلك الرجوع عن الله
واستيجاب مقام اللقت
فان ابتلى البدن في بعض
الأحيان بكسل وقصور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد
الحدث يمسح أعضاءه
بالماء مسحا حتى يخرج
بهذا القدر عن زمرة
الغافلين حيث تقاعد
عن فعل التيقظين
وهكذا إذا كسل عن
القيام عقيب الاتيائه
يجتهد أن يستاك
ويمسح أعضاءه بالماء
مسحا حتى يخرج في

(١) حديث يامعشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بنى هاشم وسنده ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتک الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد يا صفة بنت عبد اللطاب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للتقدم لفاطمة وصفية ألا إن لكم رحما سأبلها يلالها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبلها يلالها (٤) حديث أرجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد اللطاب الحديث من الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم بن حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاهما ضعيف جدا .

فكيف يعجب بنفسه ويشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في محازيرهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأتانتهم وأقدارهم لاستكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسبة إليهم استنادا واستحقاقا لهم ولو انكشف له ذلك في القيامة وقد تعلق الحماة بهم والملائكة أخذون بنواصيرهم يحرونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والحزير أحب إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لأبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسب الجهل محض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحشم والفلان والعشيرة والأقارب والأقارب والأقارب والأقارب كما قال الكفار - نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في السكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد محمزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا تمعا . و - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يثنون عنه شيئا وهو في أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفكك ، وتنسى نعم من عملك فعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يبدو إليك قره (١) » وذلك للعجب بالنعى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن للمال غاد ورأع ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بيننا رجل يتبختر في حلقه قد أمججته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أشار به إلى عقوبة إعجابهم بماله ونفسه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرضت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال ارفع رأسك فرضت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب فم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضع في حقه ومن لا يفعل ذلك فقصيره إلى الحزى والبوار فكيف يعجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أقمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تقلباته وانتباهاته عن زمرة العاقلين ففي ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فأما على جنبه الأيمن كالمجود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت للسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفضه اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاقبض منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بيننا رجل في حلة قد أمججته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أني در كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرضت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن حبان في صحيحه .

يخسرون صنفا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأمم السالفة إذا فترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لمحبهم بأرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخاطئ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فان لا يصفى إلى العارف ويترجمه قد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متما رأيه أبدا لا يفتقر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أوسنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بتربية تامة وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستفراق عمره في العلم أن لا يهوض في المذاهب ولا يصفى إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شيء وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبره ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتمل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر الطلاب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء لتؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، فسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونموذبه من الاعتزاز بخيالات الجبال .

ثم كتبت ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ذم الغرور)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي يده مقاليد الأمور ، وبقدرته مفاتيح الخبرات والشعور ، مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطبات الغرور ، والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تهرم الحياة الدنيا ولم يفرم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على بحر الدهور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] لفتح السعادة التيقظ والنظنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلانعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من الكسوف واللعبة ، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يغلب على آخر هذه الأمة الاعجاب بالرأى هو حديث أبي ثعلبة التميمي فاذا رأيت شحا مطاها وهوى متبا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بحاسة نفسك وهو عند أبي داود والترمذي .

(كتاب ذم الغرور)

تحفظ به عبادك الصالحين
اللهم إني أسألت نفسي
إليك وجهت وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظهري
إليك رهبة منك ورغبة
إليك لا ملجأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكتابتك التي أنزلت
ونبيك الذي أرسلت
اللهم تقى عذابك يوم
تبعث عبادك الحمد لله
الذي حكم قهر الحمد
الله الذي بطن غير
الحمد لله الذي ملك
قدر الحمد لله الذي
هو يحيى الموتى وهو
على كل شيء قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فلوبهم كشكاة فيها مصباح الصباح في زجاجة الزجاجاة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور وانفثون قلوبهم كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى وانفثونهم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والغرور هو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى في العمى فأنخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره الريد بعد معرفته فتيقنه فالعقوب من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجارى الغرور وأصناف الغرورين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بعبادى الأمور، الجلياة ظواهرها القبيحة سرورها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وعقلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تعنى عن الاستقصاء وفرق الغرورين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثانى من العباد. الصنف الثالث من المتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الأمه والوالد والمقر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ للمسجد ويترخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالنافلة ومنهم من يترك الباب ويشغل بالقتل كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح محارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبداً أولاً بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده .

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تفرعنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني - الآية. كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا نوم الأكياس وفطرم كيف يبنون سهر الحق واجتهادهم ولثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من الغرورين ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ^(٢) » وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذاً الجهل هو أن يحتقد الشيء وراءه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يخره فهما كان الجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب للوجوب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا لسمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث هذا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قوله أبى الدرداء بسحوه وفيه اقلع وفى بعض الروايات أبى الورد موضع أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه وقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآبة الخامسة - إن فى خلق السموات والأرض - وآية الكرسي، وآمن الرسول . وإن ربكم الله . وقل ادعوا الله ، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والموذنين، وينفثهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن اضف إلى ما قرأ عسرا من أول الكهف وعسرا من آخرها فحسن ويقول اللهم

الحير وهم عطفون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختافت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهور وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور العصاة والفاسق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور أما الدين غرته الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسبته والدنيا تعدو الآخرة نسبة فهي إذن خير فلا بد من إشارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - وقوله - فلا تفرحوا بالحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والله في أن حضور للكتب خير من حضور للمعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان : أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسبة وهذا صحيح والآخرة قوله إن النقد خير من النسبته وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسبته في المقدار والقصد فهو خير وإن كان أقل منها فالنسبته خير فإن الكافر الغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسبة ولا يقول النقد خير من النسبته فلا آركه وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذات الأطمعة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسبته والتجار كلهم يركبون البحار ويتبعون في الأسفار نقدا لأجل الراحة والريح نسبة فإن كان عشرة في ثانی الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف بل يأخذ مالا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع اللغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسبته فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق

أيقظني في أحب الساعات
إليك واستعملني
بأحب الأعمال إليك
التي تقريني إليك زلني
وتبعدنني من سخطك
بعدا أصالك فخطي
وأستغفرك فخطي
وأدعوك فتسجيب لي
اللهم لا تؤمنني مكرك
ولا تولني غيرك ولا
ترفع عني شرك ولا
تنسني ذكرك ولا تعجزني
من العاقبين . ورد
أن من قال هذه
الكلمات بث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملاك يوقظونه للصلاة
فان صلى ودعا من أوطى
دعائه وإن لم يتم تعبدت
الأملاك في الهواء وكتب

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويعتبرهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بثنا الله إليه من يثرب فأوثقناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك الله رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله للذي صلى الله عليه وسلم أنه أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره قال الرجل أنت بما جئت به وللطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى قال نعم الحديث .

وأريد به خاص ففعل به الغرور عن خصوص معناه فان من قال للتد خير من النسيسة أراد به خير امن
 نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرغ الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك
 والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصله باطل إذ اليقين خير من الشك إذا
 كان مثله والافالتاجر في تبعه على يقين وفي ربحه على شك والتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة
 العلم على شك والصيد في ترده في المقتص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء
 بالانفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أجزر بقيت جائعا وعظم ضرري وإن
 انجزت كان تبى قليلا ورجى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع السكره وهو من الشفاء
 على شك ومن حرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر حرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من
 المرض وللوت فيكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو
 منتهى العمر بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا لم يفوتني إلا التمتع أيام
 حياتي وقد كنت في العدم من الأول إلى الآن لا أتم فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا
 فأبقى في النار أبدا الأباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين إن كان ما قلته
 حقا فقد تغلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد تغلصنا وهلكنا وما قال هذا عن شك منه في الآخرة
 ولكن كلم للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من
 كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان: أحدهما الإيمان
 والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين المواقم وأكثر الخواص
 ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علقته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه
 التبت القلاني فانه مطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل
 يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادى أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم
 أكثر منه عددا وأعز منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لاعلم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يستقد
 كذبهم بقوله ولا يفتقر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوهام مغرورا فكذلك
 من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها
 وجدم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء
 واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم
 إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجدوا والآخرة وكذبوا
 الأنبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك
 قول هذا الغنى الذى استرته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر
 من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به . وأما المدرك
 الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والأطهار والأولياء ولا نظن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر
 الآخرة ولأمر الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماح منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه
 وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفة
 بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأهياء كما هي عليها
 فنشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن
 سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونهم
 أمر الله الأمر الذى يقابل النهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
 ويسبح ويحمد ويكبر
 كل واحد ثلاثا وثلاثين
 ويتم المائة بلا إله إلا
 الله والله أكبر ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلى
 العظيم .

[الباب السابع
 والأربعون في أدب
 الانتباه من النوم
 والعمل بالليل]

إذا فرغ المؤمن من أذان
 المغرب يصلى ركعتين
 خفيفتين بين الأذان
 والاقامة وكان العلماء
 يصلون هاتين الركعتين
 في البيت يجعلون بهما
 قبل الخروج إلى الجماعة
 كيلا يظن الناس أنهما

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخلق والأمر فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماحه كسر القدر الذي منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصيبة وهي التي حطت عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فإنها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحينئذ إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كالمها إذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه إشارة إلى أسرارهم تزلوا استنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألقاظها القاصرون فإنها تضربهم كما تضرب رياح الورد بالجمل وتبر أعينهم الضعيفة كما تبر الشمس أبصار الخفافيش وافتتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الكوث يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إماميين تقليدي وإماما بصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا السموات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكمهم أيضا من الغرورين فأنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنكم مالوا إلى الدنيا وآثروها وبجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإن لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد الغفرة في جميع كتاب الله تعالى بمنوط بالإيمان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لاء أيضا مغرورون أعنى للطمعئين إلى الدنيا الفرحين بهم المترفين بتعبيها الهين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة إيماءه فهدم أمثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا. ولتذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فتأله قول بعضهم في أنفسهم وبالسنتهم إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حفاظه وأبعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال - وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلي - وجملة أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخرما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يظنه للؤمن ويقول اشتريت قصرا يفتي ويحرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يفتي واشتريت بستانا يحرب ويغني ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يفتي وخرما لا يفتون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا يموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

سنة مرتبة فيقتدى بهم ظانينهم أنهما سنة وإذا صلى المغرب صلى ركعتي السنة بعد المغرب يجعل بهما فاتهما رمضان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبوا في صحيفتي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم .

فليكوننّ لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأوتينّ مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا - وروى عن خباب ابن الأرت أنه قال وكان لي على العاص بن وائل دين جئت أتقاضاه فلم يقض لي فقلت لي أخذه في الآخرة ، فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أقضيك منه فأزل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأوتينّ مالا وولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى - وهذا كله من التورر بالله . وسببه قياس من أقيسة إبليس نعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى هكذا يحسن فيما بقي

وإنما يقيس للمستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولا أني كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلى والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يفيض أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه يمنعه من اللب ويلزمه للكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطمعة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يفيضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلب ولا يدخل للكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض التورر وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمي عبده من الدنيا وهو محبه كما يحمي أحدكم مريضة من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجبت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والتورر إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرقت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فيبين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمه بطاعى غنيا كان أو فقيرا . والمهان من أهنته بمصيق غنيا كان أو فقيرا وهذا التورر علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

والشفاعة حسق
والصراط والليزان
حق ، وأشهد أن
الساعة آتية لا ريب
فيها وأن الله يعث من
في القبور اللهم أودعك
هذه الشهادة ليوم
حاجتي إليها . اللهم
احفظ بها وزري
واغفرها ذنبي وتقل
بها ميزاني وأوجب لي
بها أمانى وتجاوز عني
يا أرحم الراحمين فان
واصل بين العشاءين
في مسجد جماعته
يكون جامعا بين
الاعتكاف ومواصلة
العشاءين وإن رأى
انصرافه إلى منزله وأن
للمواصلة بين العشاءين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين جئت أتقاضاه الحديث في نزول قوله تعالى - أفرأيت الذي كفر بآياتنا - الآية البخارى ومسلم (٣) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذى وحسه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكاشفة ولا يلدق بعلم العامة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أيحسبون أن ماتقدم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إنما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله لمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يفتن بأمثال هذه الحيلالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكروا ومكرونا مكرنا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد الله أهمل الكافرين أمهلهم رويدا - فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرامته وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مفتر ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك النعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يعيل بالقاب إلى ما يوافقوه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور . المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإننا نرجو عفوه واتكلمهم على ذلك وإهالمهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واعتزازهم برباء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأين معاصي العباد في بهار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فخرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعلو رتبتهم كاعتزاز العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خالفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاعتزاز بالله تعالى بقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى الغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المرفقين - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لوقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اعتزاز بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما أنه لا يبغض الأب المطيع يبغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الاخلاص وأجمع لهم ليفعل . وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى - تجافي جنوبهم عن الضامع - فقال هي الصلاة بين المشائين وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين المشائين فانها تذهب بلاغاة النهار وتذهب آخره » ويجعل من الصلاة بين المشائين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين وإلهكم إله

عجه للأب للطيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوى أيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أيه ويروى شرب أيه ويصير طالما يتم أيه ويصل إلى السكبة ويراهم بمشى أيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه - إلا طلى سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين النلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإننا رجور رحمة ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا يعوى إلا على الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اتخذت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (١) » وهذا هو التنى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماء رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أو ان وشرط له أجره عليها وكان الشارط كريما يبنى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاه الأجر وكسر الأوان وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن للمستأجر كريم أقرأ العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والقره قبل للحسن قوم يقولون نرجوا الله وضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانهم يترجعون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت نيتي قال له رجل إننا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطئ وأزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يثبتته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات اللوت حتى يموت على التوحيد ويعمر قلبه عن الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يعيل إلى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله - وسوف يطون حين يرون العذاب من أهل سيلا - . وتلمس نبأ بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا وصممنا فارجعنا لعمل صالحا إنا موقنون - أى علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقوع ونكاح ولا يثبت زرع إلا بحرارة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا لعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - . كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بل قد جاءنا نذير - أى ألم نسئكم سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذي غيركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنوبهم فسحقا لأصحاب السعير - .

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين
وخمس عشرة مرة قل
هو الله أحد وفي الثانية
آية الكرسي وآمن
الرسول وخمس عشرة
مرة قل هو الله أحد
ويقرأ في الركعتين
الأخيرتين من سورة
الزمر والواقعة ويصلى
بعد ذلك ماشاء فان
أراد أن يقرأ نيتي
حزبه في هذا الوقت
في الصلاة أو غيرها
وإن شاء صلى عشرين
ركعة خفيفة بسورة
الاخلاص والفاحة
ولو واصل بين المشاهدين
بركعتين يطيلهما
لحسن وفي هاتين
الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق العاصي اللهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يجمع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يفر الذنوب جميعا - وإن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبأوا إلى ربكم - أمرهم بالإنباء وقال تعالى - وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فاذا توقع الغفرة مع التوبة فهو راجع وإن توقع الغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطره أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومرا بعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راجع وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الامام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور. الثاني أن تفر نفسه عن فضائل الأعمال وتقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يجمع القنوط للناصح من التوبة والرجاء الثاني يجمع القنوط للناصح من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك وإيذاء نفسك وتمزيقها ولك ربّ كريم غفور رحيم فيفتري بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الحواف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلد الكفار في النار أبداً أبداً مع أنه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغترّ به فالخوف والرجاء قائمان وسائقان يعثان الناس على العمل فلا يبحث على العمل فهو متعمّن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإيهاهم السعي للأخرة فذلك غرور فقد أخبر عليه السلام وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما أتوا وقلوبهم وجملة أهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن قرى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهاهم كهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واتقون بكرم الله تعالى وفضلها راجعون لغفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الأمر يدرك بالمعنى ويتألم بالمعنى فسلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيارواه معقل بن يسار «يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن الغرور يغلب على آخر هذه الأمة تقدم في آخر فم الكبر والعجب وهو حديث أبي ثعلبة في إيجاب كل ذي رأى برأيه .

تاليا للقرآن حزه
أومكرا آية فيها الدعاء
والتلاوة مثل أن يقرأ
مكرا - ربنا عليك
توكلنا وإليك أنبنا
وإليك لاصبر - أو آية
أخرى في معناها
فيكون جامعا بين
التلاوة والصلاة والدعاء
ففي ذلك جمع اللهم
وظفر بالفضل ثم صلى
قبل العشاء أربعا
وبعدا ركعتين ثم
ينصرف إلى منزله
أو موضع خلوته فيصل
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

بطعنا لا خوف معه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال ينفري (١) فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويغات القرآن وما فيه وبمثل أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - خلف من بعدهم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأذى ويقولون سيفض لنا - ومعناه أنهم ورتوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأذى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدوا القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفصها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة التورر بالله وبيان الفرق بين الرجاء والتورر ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر ذم يتوقفون للتفرد ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قرى الواحد يتصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضاعه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بشجرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يعتاب للمسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدذ ويكون نظره إلى عدد سيئته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هديانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهديلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة الغتابين والسكذابين والتماسين والمنافقين يظهر من الكلام ما لا يضره إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض التورر ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هديانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في قراته كان يده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجره لنسخه فيأجبا لمن يحاسب نفسه ويحتمل خوفا على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يبتغى خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحقى المفرورين فاهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وأنا نبأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والتورر على القلوب أن يحضى ويتيق ولا يفتربه انكالا على أباطيل النى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم .

(بيان أصناف المقرئين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والمقررون منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتمتعوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإزامها الطاعات واغترتوا بملهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل .

الأربع سورة لقمان
ويس وحم الدخان
وتبارك الملك وان أراد
أن يخفف فقرا فيها
آية الكرسي وآمن
الرسول وأول سورة
الحديد وآخر سورة
الحشر وصلى بعد
الأربع إحدى عشرة
ركعة يقرأ فيها ثلاثمائة
آية من القرآن من
- والسماء والطارق - إلى
آخر القرآن ثلاثمائة آية
هكذا ذكر الشيخ
أبو طالب المكي رحمه
الله وإن أراد قرأ هذا
القدر في أقل من هذا
العدد من الركعات
وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بئس كان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الحاق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس الذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمرض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا الحذاق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصله الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يتجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يشفه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذى أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصى ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق الحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى - قد أفلح من زكاهها - ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يعرفك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله ونوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فان كان السكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهو اهوا فاطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيدساقية قول للشيطان أتذكرنى فضائل العلم وتنسىنى ماورد في العالم الفاجر الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى - فثله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - فأى خذى أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا (١) » وقال أيضا « يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى (٢) » وكقوله عليه الصلاة والسلام « شر الناس العلماء السوء (٣) » وقول أبي الدرداء: ويل للذى لا يهتم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات: أى أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه (٤) » فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وماورد في فضل العلم يوافق فيه ميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بدم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تآكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده وضروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولو نه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلمه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واقفا من نفسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حينئذ أفضل. وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتعبد يصلى ركعة يشفع بها وزه ثم يتنفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أوّل

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى (٣) حديث شر الناس علماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يفض عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يفض به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطفا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا إليه بعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانة ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسمى دون المعانى إذ لو عرف الله حق معرفته لحشيه واتقاء فلا يتصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كاتخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بحشية الله علما وكفى بالاغترار باقه جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له إن فقهاءنا لا يتولون ذلك فقال وهل رأيت قبيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن الفقيه من قعه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو الصالح ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من الغرورين. وفرقة أخرى: أحكوا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليجوع عنها الصفات للسمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظر والطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله عليه السلام « أدنى الرياء شرك (١) » وإلى قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر (٢) » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (٣) » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل (٤) » إلى غير ذلك من الأخبار التي أو ردها في جميع ربيع المهلكات في الأخلاق الذمومة فهؤلاء زينو اظواهرهم وأهلوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٥) » فتمهدوا الأعمال وما تمهدوا القلوب والقاب هو الأصل إذ لا ينبج إلا من أتى الله بقاب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جس وباطنها نين أو كقبور الوثن ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زراعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتقوية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجز رءوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فنبت لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فمن

الليل يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما فإذا زلزلت وألهاكم ونيل فقل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجيد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك وكثيرا ما رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نيتها وإن قرأ في كل ليلة المسبحات وأضاف إليها سورة الأهلئ فصير سنا فقد كان العلماء يقرءون هذه السور ويتربون بركتها فإذا استيقظ

(١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم في العلم وغيره (٤) حديث حب الشرف والمال ينبتان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم الحديث تقدم.

لا يظفر القلب منها لانتم له الطاعات الظاهرة لإمام الآفات السكيرة بل هو كريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقتع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يظفر الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن. وفرقة أخرى : علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منسكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتلهم بذلك وإنما يتلى به العوام دون من بلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتلهم ثم إذ ظهر عليهم محابيل الكبر والرياسة وطلب انمول والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المتبدعين وإني لولبت الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لسمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الإسلام ونسى الغرور أن عدوه الذي حذر منه مولاة هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والسكينة حتى عوتب عمر رضى الله عنه في بذاعة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا الغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخبول والمراكب وزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوجم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا يرأى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيات إنما عرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل الغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضاً ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا وبني كان الأجر لي والثواب لي فإني فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيات إنما ذلك عند الطمع في ما لهم فأما أنت فترضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يبيع حاله عند السلطان بالطن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد يتهى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من ما لهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مال لك وهو لمصالح للمسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيقترب بهذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مال لك فانه يعرف أنه يأخذ الحراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلق

من النوم فمن أحسن الأدب عند الاتقاء أن يذهب يباطنه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يحول الفكر في شيء سوى الله ويستغل اللسان بالذكر فالصديق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام بنام على حبة الشيء وإذا اتقى الشيء يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به على حسب هذا الكلف والشغل يكون اللوت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند اتقائه من النوم ما هم فانه هكذا يكون عند القيام من الصبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلاخلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لامالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح للسليين وبك قوام الدين ، ولعلّ الدين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلاهي تصرب للماء ولاهي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هنع الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكوا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر الماصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابها الجليلة القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ قبضت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس مادق وغمض مدركه فلم يفتنوا لها وأهلوها وإعما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد ثبت من أصول الحشيش شبح لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد اقتلعها فإذا هو بها في غفلته وقد بنت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك وينهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق قراء يسر ليه ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والابراء والتجمع بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع ولستفيدون والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتسكن به من إطلاق لسان الطعن في الكافة للقبليين على الدنيا لا عن تفجع بحصية الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكينة للفرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز واتقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تنبرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله ففساه يتشوش عليه قلبه وتختلط أوراذه ووظائفه وعساه يتندر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه ممن عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر لتقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأبسع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إعفاء إليه وأحرص على خدمته ولعلمهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لاختلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إيثاره المحول

كان همه الله فهمه هو وإلا فهمه غير الله والعبد إذا اتقى من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي اتقى عليه ويكون قادرا إلى ربه يباطنه خوفا من ذكر الأغيار ومهسا وفي الباطن بهذا للمبار قد اتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبايا ويصير جناب القرب له مولانا وماأبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع من فبجهله وقع في حباله وعساه يصنف ويجهل فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه وعما عنه اسمه ونسبه إلى نفسه تغل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى للصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يغلو من التناء على نفسه إما صريحا بالدعوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالظن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الظن فيه ، ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يزيد تزييفه فيمزيه إلى قائله وما يستحسنه فلعله لا يميزه إليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق قبضا فيتخذ به قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجهل في تزيين ألفاظه وتسجيحه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويح الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعساه غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقافا وإني لأقبل من ثقافك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المقربين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو اقرقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالأفادة تمايروا وتهاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره تغل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجها كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على التناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أتبع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتمثل بالظن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول وإنما غضبت لدين الله لالفتي ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره بعية المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يظن له إلا الأكياس ولا يتزده عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بعد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من الفرور الزكي لنفسه للمتن على الله بعلمه وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاعتثار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال ، هذا غرور الدين حصلوا العلوم الهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فتعوا من العلوم بحالهم مهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لانتصارهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وصموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرصوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم. أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالمهم

باللسان الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا
وإليه النشور ويقرأ
العشر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الماء الطهور
قال الله تعالى - ويؤزل
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عز وجل - أنزل من
السماء ماء فسالت
أودية بقدرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الماء
القرآن والأودية
القلوب فسالت
بقدرها واحتملت
ما وسعت والماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالتطهير أجدر بالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لابل مثالمه مثال من به علة اليواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة بتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتساألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المنفعة للسكين قد يسلمت عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يحتفظه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبيئات وكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا احتاج غيره كان في الفتنة كثيرة فيشتغل بذلك ويعرض عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمسال وقد دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن للفرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالقله وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم بحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم ثقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادر كجلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا من الله فغتر به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدرك ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته الخوف والرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى إذ قال تعالى - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال وشمروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله وآله والدين من كبر وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافات ولم يهجم إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإقامة الحسوم ودفع الحق لأجل القلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات آراء المذاهب والفتنة لميول الأقران والتائق لأنواع التسيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الإيذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالهمودة فانهم يستحقرونه ويسمونونه الزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشمئذ عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتدنية فأنما أبدعت لإظهار القلبة والإلغام وإقامة سوق الجدل بها فمرور هؤلاء أشد

يقوم غيره مقامه
والقرآن والملم لا يقوم
غيرها مقامهما ولا يسد
مسدهما فالعلم الطهور
يطهر الظاهر والعلم
والقرآن يطهران
الباطن ويذهبان
رجز الشيطان فالنوم
غفلة وهو من آثار
الطبع وجدير أن
يكون من رجز
الشيطان لما فيه من
الغفلة عن الله تعالى
وذلك أن الله تعالى أمر
بقبض القبضة من
التراب من وجه
الأرض فكانت القبضة
جهة الأرض والجلدة
ظاهرها بشرية وباطنها
أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأقبح من غرور من قلوبهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على
 المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة العقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة
 أولئك وإحاطهم واقترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بالإيمان ولا يصح إيمان
 إلا بأن يعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم
 يتقده منذهبهم ولم يعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالعة ومحققة فالضالعة هي التي
 تدعو إلى غير السنة والمحققة هي التي تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم . أما الضالعة فلضالعتها عن
 ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرقى كثيرة يكفر بعضهم بمضا وإنما أتيت من حيث إنها لم تنهم
 رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة . وأما الفرقة
 المحققة فأنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت
 أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتعمير دليل
 فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن القاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل
 والبحث عن العقالات وهذيانات المتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم
 وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه
 لا تذاهه بالصلبة والإلغام وقلة الرياسة وعز الانتماء إلى الدب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم
 يلتفت إلى القرن الأول فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا
 من أهل البدع والهوى لما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد
 قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتسكلموا فيه إلا لئلا حيث رأوا حاجة توهموا بما لا يقول فذكروا
 بقدر الحاجة ما يبدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجره وأعرضوا عنه وأبضوه في
 الله ولم يلزموا للملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل
 في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد
 هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١)» وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون
 فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان (٢) حمرة من الغضب فقال: «ألهذا بستم أهدأ أمرتم
 أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فاتموا» فقد زجرهم
 عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بحث إلى
 كافة أهل الللل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام لما
 جادلهم إلا بتلاوة القرآن للترل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها
 الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يمجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق
 الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لو نجما
 أهل الأرض وهلكنا لم تنفنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
 أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فإنا
 نضيع العمر ولا نصره إلى ما يفضنا في يوم قهرنا وفاقتنا ولم نخوض فيها لا نأمن على أنفسنا الخطأ في
 تفاصيله ثم نرى أن للبتدع ليس يترك بدته بمجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدته
 فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل

- إن خالق بشر من
 طين - فالبشرة والبشر
 عبارة عن ظاهره
 وصورته والأدمة عبارة
 عن باطنه وآدميته
 والآدمية جمع الأخلاق
 الحميدة وكان التراب
 موطئ أقدام إبليس
 ومن ذلك اكتسب
 ظلمة وصارت تلك
 الظلمة مجعونة في طينة
 الآدمي . ومنها الصفات
 للدمومة والأخلاق
 الرديئة . ومنها الغفلة
 والسهو فإذا استعمل
 الماء قرأ القرآن آتى
 بالمطهرين جميعا ويذهب
 عنه رجز الشيطان
 وأثر وطأته ويحكم له
 بالعلم والخروج من

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث
 خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون فغضب حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

والحسومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما يفضله الله تعالى وما يحبه لأنزه عما يفضله وآتسك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتلوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرهم منورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام السليين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبصروا في علم الهبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالسكيبين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من اللغزتين الضمين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من المتسكيبين على العز والجاه والسال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرابين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكركه ليعتقديه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات للذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاعت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من الترددن إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبدم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن للرجب في الأخلاق المحمودة والنفر عن الذمومة هو العلم بفوائدها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفسه وشغلته حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فتمق طابت له الخلوة وتمق استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يتلوه بالخلوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمفترون يحسبون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة ينتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أفتابهم فيدور بها أحدم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالحير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لا تصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاصناف بالصفة

حيز الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بإزاء النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالباللائم والإثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من النية والكذب وعند الغضب لظهور

فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمره وقلَّ خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضمف في قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف للرض ويصف دواءه بفضاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقه في الوصف والعلم بالحب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بمعانيها ، ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظم منهاج وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى منهم عدلوا عن النهج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على الندور في بعض أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والمقل طلبا للإغراب ، وطائفة شغلوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم ومصححوا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويحرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا لاسيما إذا كان الوعاظ متزينا بالثياب والحيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقة إلى فرقة بشدة حرصه على الدنيا لما يفسده هذا الغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا ينبغي وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على اللامر ، وبعضهم في الحاربي ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الفرض وصار مغرورا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استفرقوا أوقاتهم في علم الحديث أخص في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاستناد ليس مع غيري ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كملوا الأسفار فانهم لا يعرفون العناية إلى فهم معاني السنة فلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشغلون بنكثير الأسانيد وطلب المعالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك . ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرد وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى لسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يفتل ولا يسمع ولا يفتي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
الواطن ، ولو أن
التحفظ السراعى
المراقب المحاسب كلما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أو ماسا كنة
إلى مخالطة الناس أو
غير ذلك مما هو بعرضه
تحليل عقد العزيمة
كالجوض فيما لا يحق
قولا وفلا عقب ذلك
بتجديد الوضوء ثبت
القلب على طهارته
ونزاهته ولصكان
الوضوء لصفاء البصيرة
بمثابة الجفن الذي
لا يزال بخفة حركته
يجلو البصر وما يحفظها
إلا العالمون - تفكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصنى لتسمع تحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غير غيرك منه حرفاً أو خطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمك في مجارى الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتب وتحفظه حتى لا يصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تتحصر بغيره فيكون محفوظاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكراً لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف ، فاذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيراً أو يغير حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لملك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئاً يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوتقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كاهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والتافل والثائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في اللمه ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في اللمه لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والتافل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجراً جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللمه فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت لما يسمع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيئاً على أن يقول سمعت بعد بلوغى آتى في صباى حضرت مجلساً يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتاً غفلاً لجاز إثبات سماع صبي في اللمه وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدأها كما سمعها» (١) وكيف يؤدى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أغشى أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجهلوا شيواً إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن للمحدثين في ذلك جاهها وقبولاً غافاً للساكنين أن يشترطوا ذلك فيقول من مجتمع لذلك في حلقهم فينتص جاههم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدوا ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس بشرط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجرى ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نبتك عليه تجد
بركه وآثره ، ولو
اغتسل عند هسنة
للتجددات والمراض
والاتباه من النوم
لكان أزيد في تنوير
قلبه ولكان الأجدر
أن البعد يقتل لكل
فريضة بأذلا مجهوده
في الاستعداد لمناجاة
الله ويجدد غسل
الباطن بصدق الإجابة
وقد قال الله تعالى
- منيبين إليه واتقوه
وأقيموا الصلاة -
قدم الإجابة للدخول
في الصلاة ولكن من
رحمة الله تعالى وحكم
الحيفية السهلة السمعة
أن دفع المخرج وعض

(١) حديث نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول بالغة وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا عرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفتاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الأثرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا يعنيه ^(١) » فقام وقال يكفيني هنا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يخذرون الغرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واعتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأثني هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن يفتي جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلفة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والهند وإنما فارقها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم التريين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعاق بالحديث والكتاب فأما التمتع فيه إلى درجات لاتناهي فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف العاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين القدر الذي يشرب فيه السكجيين فهو من الجهال الغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تهمة فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالتشر للعمل وكالتب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة إلى العرفة ولب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يمتد أصحابها أنهم يتألون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن الممدود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن الغسل
وجوز أداء مقترضات
بوضوء واحد دفعا
للحرج عن عامة الأمة
وللخواص وأهمل
العزبة مطالبات من
بواطنهم تحكم عليهم
بالأولى وتلجئهم إلى
سلوك طريق الأعلى
فإذا قام إلى الصلاة وأراد
استفتاح التهجيد يقول
الله أكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله
بكرة وأصيلا ويقول
سبحان الله والحمد لله
الكلمات . عشر مرات
ويقول الله أكبر
ذو الملك والملوكوت
والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال

في فن الفقه فظنوا أن حكم البعد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ للبهمة واغتروا بالظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والنزول فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فنشير إلى أمثلة : فمن ذلك فتوهم بأن للزوجة حق أبرأت من الصداق برمي الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسوء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاهل طيبة نفس وقد قال تعالى - فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب قد يريد الانسان قبله مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة قبله ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح بنفسها بالإبراء لاعتن ضرورة تعاقبه حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق باكره الباطن نعم القاضى في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والا كرهه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضى الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا لملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف أن يمتددة الناس وخاف أن لا يعطيه لئلا يردده نفسه بينهما فاختر أهون الأملين وهو ألم التسليم فسلمه فلافرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يبدل للمل فيختار أهون الأملين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذا الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطى اقتداء لشركائه أو لشركائه فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بدائه في صخرة بيت المقدس فنادى بأوروبا فأجابه ليك يا بنى الله أخرجته من الجنة لئلا تريد ؟ فقال إنى أسأت إليك في أمر فبه لي قال قد فعلت ذلك يا بنى الله فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال ليك يا بنى الله فقال إنى أذنبت إليك ذنبا قال أم أجه لك قال لا أنتأنى ما ذلك الذنب قال ما هو يا بنى الله ؟ قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فاشطع الجواب ، قال يا أوروبا ألا تهيبين قال يا بنى الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أتقن منك بين يدي الله فاستقبل داود اليكاه والصرائح من الرأس حتى وعده الله أن يستوجهه منه في الآخرة ، فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تنفيذ وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الانسان واختياره حتى تمنع الدواهي من ذات نفسه لأن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأنها بما لها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والباعى سقطت عنه قد صدق فان مطمح نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لاهل ههنا القصد فما أعظم جهله بفقهاء الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن عطين أنت الحق
ومنتك الحق وتقاؤك
حق والجنة حق والنار
حق والنيبون حق
ومحمد عليه السلام حق
اللهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاصمت وإليك
حاكمت فاغفر لي ما قدمت
وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت أنت للقمم

«ثلاث مهلكات شح مطاع^(١)» وإتصاص شحه مطاعاً بما فعله وقبله لم يكن مطاعاً فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه ووجه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استبسط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والغرور ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء الغرورون لا يميزون بين الأمان والفضول والكهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعوتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد الاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول . الصنف الثاني : أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول ينزع من مناهج العمل فليس خالياً عن غرور إلا الأكياس وقليل مأمم . فمنهم فرقة : أهلوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بظهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قربة في الجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القربة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توصوا عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبواباً من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه^(٢) وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضاً عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيعدهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتبعوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من خارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والطاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمله غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أمراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن للوضوء شيطاناً يقال له الوهسان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت المؤخر لا إله إلا
أنت اللهم آت نفسي
تقواها وزكها أنت خير
من زكاها أنت وليها
ومولاها اللهم اهدني
لأحسن الأخلاق
لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا
أنت أسألك مسألة
البائس المسكين
وأدعوك دعاء الفقير
الذليل فلا تجعلني
بدعائك رب شقياً
وكن بي رءوفاً رحماً
يا خير السئولين
ويا أكرم المعطين ثم
يصل ركعتين تحية
الطهارة يقرأ في
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذيها على وجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس لما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بقدر العقل. وفرقة أخرى: اغتروا بقراءة القرآن فيهدونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجه ويتعظ ويعاظة ويقف عند أوامره ونواهيهِ ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن المهمة به مع الغفلة عنه. ومثاله: مثال عبد كتب إليه مولاة ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاة إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتعمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو الراد منه فهو مغرور. نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لعنايته ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بعنايته وقد يكون له صوت طيب فهو يهروء ويلتذبه ويعتد باستلذازه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته ولوردد الحانته بشعر أو كلام آخر لا لتذ به ذلك إلا لتذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى: اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيهم لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألسنتهم عن الهديان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيحمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور. وفرقة أخرى: اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن الظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرقت والحصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرققاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيحصى الله تعالى في كسب الحرام أو لا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث بزائل الأخلاق وذميمة الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور. وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرها ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حق وزوجت على مرتبتي وكذلك قد يتفقد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلو تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه ثقل عليه. وفرقة أخرى: جاؤوا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتعدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويعد عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شح به وأمسكه لم تسمح نفسه بلتمه بتصديق بها على قبيح فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم - الآية وفي الثانية - ومن حمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يمجده الله فهو راحبا - ويستغفر بعد الركنين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد يقرأ فيما بآية الكرسي وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصل ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتمجد هكذا ثم يصل ركعتين طويلتين أقصر من الأوليين وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمنزل لو ترك المجاورة ولكن حب الحمدة وأن يقال إنه من
المجاورين أزمه المجاورة مع الضمغ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة
من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتهما واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك
إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من
كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من السكيب التي رتبناها فيها وإعنا الفرض الآن الإشارة
إلى مجامع ما سبق في السكيب . وفرقة أخرى زهدت في المال وتعت من اللباس والطعام بالدون ومن
المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياضة والجاه إما بالعلم أو
بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو
ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم
معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياضة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون مناققا وحسودا ومتكبرا
ومراثيا ومتصفا بجميع خباثت الأخلاق ثم وقد يترك الرياضة ويؤثر الخلووة والعزلة وهو مع ذلك مغرور
إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويغشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجون نفسه أكثر
مما يرجون لهم ويجب عمله ويتصف بجملة من خباثت القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه
خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال غنمه في الظاهر وردة في الخيفة لم تسمح به نفسه
خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأدب أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو
مغرور ومع ذلك فرسبا لا يغلو من توقيف الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والليل إلى المرديد له والثنين عليه
والنفرة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان فهو ذاب الله منه وفي العباد
من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلى في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويغتم القرآن
وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقدته وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات
فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له
لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة
حسناته وهيئات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال
عملا بالجوارح ثم لا يغلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء
وحب التناء فإذا قيل له أنت من أتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به
وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك
لجهل الناس بخباثت باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى
أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه
على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تقرب
المقربون إلي بمثل أداء ما اقترضت عليهم ^(١) » وترك الترتيب بين الخبرات من جملة الشرور بل قد
يتعين على الانسان فرضان : أحدهما يفوت والآخر لا يفوت، أو فضلا أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع
وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن المصيبة ظاهرة
والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم
فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لاقام به على ما قرأه غيره وتقديم الأهم

(١) حديث ما تقرب للمقربون إلى بمثل أداء ما اقترضت عليهم ، البخارى من حديث أبي هريرة
بلفظ ما تقرب إلى عبدى .

بصلى اثنتي عشرة ركعة
أو ثمان ركعات أو يزيد
على ذلك فإن في ذلك
فضلا كثيرا والله أعلم .
[الباب الثامن
والأربعون في تقسيم
قيام الليل]
قال الله تعالى - والذين
يبينون لربهم سجدا
وقياما - وقيل في تفسير
قوله تعالى - فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا
يعملون - كان عملهم
قيام الليل وقيل في
تفسير قوله تعالى
- استعينوا بالصبر
والصلاة - استعينوا
بصلاة الليل على مجاهدة
النفس ومصابرة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم ما يفوت على مالا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا له : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من ذاك أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك (١) » فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأقرب والأورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فرمما يحج وهو مغرور بل يبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تنفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيلظ القول على أبيه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإبداؤها محذور . والحذر من الإيذاء أم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية الفعوض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أم منها ومن جعلته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعنى عليه حتى يفتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث التصوفة وما أغلب الغرور عليهم وللعثرون منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزنى والهيبة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والظهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمفسكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشائيل والهيئات فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجهود والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيز والقطمير ويعزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة هجوز سمعت أن الشجمان والأبطال من القاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار الملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال آياتا وتعودت إيراد تلك الآيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية بتخترهم في الليدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شنائلهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجمان فلما وصلت إلى المعسكر أنفدت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما عنته وتمتعن بالمبارزة مع بعض الشجمان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي هجوزة ضيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر ؟ قيل لها أحيث للاستنزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتليس عليهم

وفي الخبر « عليكم بقيام الليل فإنه مرضة تركبكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنها عن الأثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرودة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . وهيب بن الورد . وأبو سليمان الداراني . وطى بن بكار . وحبيب العجمي . وكهمس ابن التهال . وأبو حازم ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصعبة .

خذوها فآلقوها قدام الفيل لسخفها فألقت إلى الفيل فمكذبا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزمى والرفع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت طي هؤلاء في العزور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاعة الثياب والرضاء بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجدد بدنا من التزين بزيمهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا الرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم وظنّ أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما لو نوا الثياب ثلاثا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا الرقعات إذ كانت ثيابهم محرقة فكانوا يرفعونها ولا يلبسون الجديد . فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهم هؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتمتعون بنفس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغب العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخبير وشرّ هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤون التشبهين وشرهم . وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجازاة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسماء والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأوائل والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام ، حتى إن الفلاح ليرتك فلاحته والحائك يترك حياكنه ويلازمهم أيما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويغتر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من القترين ، وهو عند الله من الفجار المناقنين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه . وفرقة أخرى: وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي . وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن ، وإنما يغتر به من لم يجرب . وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ، ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث يتقادكل واحد منهما لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول بالأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب وتلوينا والهة بحب الله وواصله إلى معرفة الله وإنما نحوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تعصى وكل ذلك بناء على أغايط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لا اشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم بطول.

تعالى وغيرهم عدم
وسياهم بأنسابهم
الشيخ أبو طالب الكي
في كتابه قوت القلوب
فمن عجز عن ذلك
يستحب له قيام ثلثه أو
ثله وأقل الاستحباب
سدس الليل فإما أن
ينام ثلث الليل الأول
ويقوم نصفه وينام
سدسه الآخر أو ينام
النصف الأول ويقوم
ثله أو ينام السدس .
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إني
أحب أن أتعبك فأى
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه : يا داود
لا تقم أول الليل ولا
آخره فانه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حدَّ هؤلاء واجتذبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه والله بالله وله قد تحيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إشار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يعيل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فمافهموا أن التوكل المحاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لاطى الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ومامن مقام من المقامات للنجيات إلا وفيه غرور وقد اغترَّ به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع النجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخاص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري السكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا بتفقد جميع الطاعات والمعاصي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والسباحة تصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم وأخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارتفاع وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثرت أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كن يعمر مساجد الله فيطبخها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فأخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالفات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسائلة تضيع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج لذلك لا يفيته . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وابتدءوا سلوك الطريق واشتغ لهم أبواب المعرفة فكما تشمموا من مبادئ المعرفة رائعة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرابها فتصيدت قلوبهم بالالفات إليها والتفكير فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أمحوبة وتقيدها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد مسكافراى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلون وأخلو بك وارفع إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا يغالب النفس من أول الليل ويتفلسفا إذا غلبه النوم ينام فإذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلى وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يموت ما يقول ، وقد ورد « لا تكابدوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلى من الليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل قهبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليصل أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يرجوا على الفرح بها والاتفات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقوا وغطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فانه كان يراها في الصفر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يظنون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يفره الكوكب الذي لا يفر السوادية ، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة السالك - قال لأحب الأتلين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد يفتقر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفتقر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد وتفسه فانه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليقع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك بشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائت ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الاتباس إذ التجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترأى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقق الزجاج ورقت الحجر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلاأفيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمديده إليه لئلا يأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم الكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضربه إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه وما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمغترور منهم فرق

فاذا غلبه النوم فليمن
وقال عليه السلام :
« لاتشادوا هذا الدين
فانه متين لمن يشاهه
يغلبه » ولا تبغضن إلى
نفسك عبادة الله
ولا يلق بالطالب ولا
ينبغي له أن يطلع الفجر
وهو نائم إلا أن يكون
قد سبق له في الليل
قيام طويل فيمض في
ذلك على أنه إذا استيقظ
قبل الفجر بساعة مع
قيام قليل سبق في
الليل يكون أفضل
من قيام طويل ثم
النوم إلى بعد طلوع
الفجر فاذا استيقظ
قبل الفجر يكثر
الاستغفار والتسبيح
ويتم تلك الساعة وكما
يصلى بالليل يجلس
قليل بعد كل ركعتين

فرقة منهم : يحدون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والتقاطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أسماءهم بالأجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما برد بدلها عند المعز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أم المصالح وربما يكون الأثم التفرقة على الساكنين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وطلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لالبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو بلده فقراء وصرف المال إليهم أم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المسلمين ومغتنقة أبصارهم (١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المسلمين ومحبط ثوابهم بذلك وبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتقر به ويرى أنه من الخيرات ويمد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشبهون مثل ذلك في بيوتهم ويشغلون بطلبه وبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع والحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثل لا يدخل بيت الله فكتبه الملاك عند الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جنابة على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى ، وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعيب بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرتم مساجدكم وحلیمت مصاحفكم فالدمار عليكم (٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخره ولا تنقشه (٣) » ففرو هذا من حيث

ويستغفر ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك رويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي أول نومة فان انقبت ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عيني . وحكى لي بعض الفقراء عن شيخ له أنه كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليلة . وقد جاء في الخبر « قم من الليل ولو قدر حلب شاة » وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين . وقيل في تفسير قوله تعالى - تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحلیمت مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقفا على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا تزخره ولا تنقشه لم أجده .

إنه رأى النكر واتكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإنشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محزونين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال أثنى درهم قال بشر فأى شيء تبتغي بحجك تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق أثنى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتعمل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وقيصر يرم شعته ومعيلى يبنى عياله ومرى يقيم يفرحه وإن قوى قلبك تطيبها واحدا فافعل فان إدخالك السرور على قلب السلم وإغاثة الهمهان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا قل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له السال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات انتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه لئن لا يقبل إلا عمل التقيين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قنعه باخراج السال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في توبة حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكتنجين ليسكن به الصغراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكتنجين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الفنى كثير الصوم والصلاة فقال للمسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجبايع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويمه نفسه ومن صلواته لنفسه مع جمعه لارنيا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمع نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الحثيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستثمار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومبطلات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا ومثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الانعاط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبتث على العمل فان ضعفت عن العمل فلا خير فيها وما يراد للغير فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك الصغير فلا قيمة له وربما يفتخر بما يسمه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرامة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مغوفا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول يا سلام سلم أو نمود بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كلا فتورا في المزينة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليكن عليه فقد قطع عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتقر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وتوقف في مقام الشوق وهذا يباط فيه ويهلك به خالق من اللدعين والذي له ذلك ينبغي أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متمرض والانسان متمرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفي عنه من مرضه وجوعه شيئاً فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يفي من الله شيئاً فكل وعظم بغير منك صفة تغييراً غير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالاً قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فلذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا . فان قلت لما ذكرته من مداخل الضرر أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خبايا هذه الآفات . فأقول الانسان إذا قترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبت بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الانسان إذا أراد أن يستنزل الطير الملق في جو السماء مع بعده منه استنزه وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش الملقة في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والنبية وعظم الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعى ويبحث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباج للون المنقش من ورق التوت أخذها وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناس الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فبجزع عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا اللهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شيء لم يجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فان قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكرت في ذكر مداخل الضرور فبم ينجو العبد من الضرور . فأعلم أنه ينجم عنه بثلاثة أمور : بالعقل والطم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل فأعني به القطرة التريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الأشياء فلنظنة والكييس فطرة الحق والبلادة فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن الضرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن ، نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشناتا ^(١) » إن الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله لخلقهم حظا هو أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل « يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحرم ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما يجزي على قدر عقله ^(٢) » وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى نورمت قدماء وقد يقول بعض من يحتاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريحا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم أن رؤية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الإيواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العبد والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلا وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحرم ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما يجزي على قدر عقله (٢) وقال

أنس «أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله تقول من عبادته وفضله وخاقه فقال كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم» (١) وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال ارجموه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالله كاه صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فإن فانت ييلادة وحماسة فلا تدارك لها . الثاني : المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريباً في هذا العالم وأجيباً من هذه الشهوات البهيمية وإنما الموافق له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجب القلب وكتاب التفكير وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكال المعرفة وراهه فإن هذا من علوم الكاشفة ولم ينظف في هذا الكتاب إلا في علوم العاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليقين له أن لانبئة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصيرهم أمورهم ما يوصله إلى الله تعالى وينفقه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجماء والسال فإن ذلك هو الفساد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى للمنى الثالث وهو العلم أعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعالم بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والعلم بأفان الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها فراعها وآفانها فيتقياها ومن ربيع العادات أسرار العايش وما هو مضطر إليه فيأخذ به بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع الماسكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن المانع من الله الصفات للذمومة في الخلق فيعلم للذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفاً عن الذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الخذر من الأنواع التي أشرفنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخذعه الشيطان ويدعوه إلى نصع الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فإن المرید الخالص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصنرت الدنيا في عينه قتركها واقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

فليعلم ذلك فإننا رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقشور . قيل لا حسن يا أبا سعيد إنى آيت معافى وأحب قيام الليل وأعدت طهورى لما بالى لا أقوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهارة ذنوباً تقيد في ليله وقال النووي رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنوب أذنبته قليل له ما كان الذنب قال رأيت رجلاً بكاء فقلت في نفسى هذا مرء . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما بال بك أتاك نسي بعض أهلك فقال

(١) حديث أنس على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن المجر في كتاب العقل وهو ضعيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذى الحكيم في النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه .

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد هجز الشيطان عن إغوائه إديأته من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد برحمته إلى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صامعياً قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد هو الطيب وأشرف فوا على العطب فقلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة وزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان بهداه عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله وبقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير عمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستمهله فبرى وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية السكر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا هم تلك العلة بعينها وقد طاب سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم فندكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويذكر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسخة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفي من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالاً للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفياً أخفى من ديبب الخمل لا يشعر به المرئيد فيزل ذلك الديبب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والترين للخلق بتحسين الألفاظ والنعمة والحركات والتصنع في الزى والهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيراً يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافياً لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأثروه بأبدانهم وأمواتهم وصاروا له خولاً كالبيد والحدم فخدموه وقدموه في المحافل وحكوه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحق معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمانة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخاق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان نخيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المرئيد فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في التوبة المظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبق الضحك أو قتر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فاتباع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعاء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان نخيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وإمادك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولو لا أن النفس قد استبشرت واستلقت الرياسة لكان يقتنم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بر وتخطى رأس البر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا مهالة

أشد قلت وجع يؤلك
قال أشد قلت وما ذاك
قال باني مذاق وستري
مسبل ولم أقرأ حزبي
البارحة وما ذاك إلا
بذنب أحدثه . وقال
بعضهم : الاحتلام
عقوبة وهذا صحيح
لأن الراعي التحفظ
بحسن تحفظه وعلمه
بحاله يقدر ويتمكن
من سد باب الاحتلام
ولا يتطرق الاحتلام
إلا على جاهل بحاله أو
مهمل حكم وقته وأدب
حاله ومن كل تحفظه
ورعايته وقيامه بأدب
حاله قد يكون من ذنبه
للموجب للاحتلام ووضع
الرأس على الوسادة إذا
كان ذاعزبة في ترك
الوسادة وقد تمهد للنوم
 ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البر فان كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أمانه أو كفاه ذلك لم يتقل عليه أرايت لو اهدتوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يتقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فاذا اهدتوا بنيره فلم يتقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبار القلوب وفواحي الجوارح وأهلكه فعوذ باقه من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فان قلت فحق يصح له أن يشتغل بنصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم فه تعالى وكان يود لو وجد من يبينه أو لو اهدتوا بأنفسهم وانقطع بالكيفية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عندهم وذبهم فلم يبال بذبهم إذا كان الله يحمد به ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاصة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب الثروة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى المشايبة إنما غرضه رعاية المشايبة ودفع الثوب عنها دون نظر المشايبة إليه فلم يبرسائر الناس كالمشايبة التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم ، نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لملت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت العايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكروا ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات الملهكة التي سلبها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقه والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا اخلاق لهم فاعلم يخشى أن يفسد طريق الاتعاط فأما أن تغرس السنة الوعاظ ووراهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم المرید هذه المسكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحيائل الاغترار . فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب فم الهدى .

تم الجزء الثالث من تخریج أحاديث الإحياء لحافظ العراقي

وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن التوبة
من لا يكون ذلك ذنبه
وله فيه نية للعون على
القيام وقد يكون ذلك
ذنبا بالنسبة إلى بعض
الناس فاذا كان هذا
القدر يصلح أن يكون
ذنبا جالبا للاحتلام
فقس على هذا ذنوب
الأحوال فانها تختص
بأربابها وبمصرفها
أصحابها وقد يرتفق
بأنواع الرفق من
الفراسخ الوطية
والوسادة ولا يعاقب
بالاحتلام وغيره على
فعله إذا كان عالما بذانية
يعرف مداخل الأمور
وغايرتها وكمن من
نائم يسبق القائم لو فر
علمه وحسن نيته وفي
الحبر « إذا نام العبد

عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك ومملك إذ قواك على قهرى ومكنك من التفتن لجميع
مداخل غرورى فيصنى إليه ويصدقه ويمجبه بنفسه فى فراره من التورور كله فىكون إجمابه بنفسه
فاية التورور وهو المهلك الأكبر فالمجبه أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت
أنك بملكك تخلصت منى فبجهلك قد وقعت فى حياثلى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك
من الله تعالى لامنه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونه ومن عرف ضعف
نفسه وهجزه عن أقل القليل فاذا قدر على مثله هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله
تعالى لما الذى يخاف عليه بعد نقي المجب ، فأقول : يخاف عليه التورور بفضل الله والثقة بكرمه
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والاقبال فىكون
حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر
بعدا بل سببه أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون
خائفا أن يسلب حالة فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر
لا يحصى عنه وخوف لا نجا منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء
فى قت الزرع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكى
إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعالمون كلهم هلكى إلا المتحصون والمتحصون
على خطر عظيم فاذا التورور هالك والمتحصن الفار من التورور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف
والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة ، فان الأمور بخواتمها .

تم كتاب ذم التورور وبه تم ربيع المهلكات ، ويتلوه فى أول ربيع النجيات كتاب التوبة
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لانبى بدمه وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
وبه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه
ثلاث عقد فان تعد
وذكر الله تعالى انحلت
عقدة وإن توشأ انحلت
عقدة أخرى وإن صلى
ركعتين انحلت العقد
كلها فأصبح نشيطا
طيب النفس وإلا
أصبح كسلان خبيث
النفس « وفى خبر آخر
« إن من نام حتى يصبح
بال الشيطان فى أذنه »
والذى يغفل بقيام الليل
كثرة الاهتمام بأموار
الدنيا وكثرة أشغال
الدنيا وإتباع الجوارح
والامتلاء من الطعام
وكثرة الحديث والنحو
واللفظ وإجمال القيلولة
وللوفى من بختهم وقته
ويصرف داهه ودواهه
ولا يهمل فيهمل .

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع المهلكات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو للراد بهذه الأسماء
على الجملة	٥
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
عودها إلى الصحة	٧
٦٢	٧ يان خاصة قلب الانسان
عيوب نفسه	١٠
٦٣	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمثله
٦٣	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٣	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والأخرية
٦٣	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار
٦٧	١٩ يان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٦٩	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم ولا من الطريق المعتاد
٧٢	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٧	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
(كتاب كسر الشهوتين)	٣٩
وهو الكتاب الثالث من ربيع المهلكات	وهما ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب ولا يؤاخذ به
٧٨	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا
٧٨	٤٤ يان سرعة قلب القلب واتسام القلوب في التغير والتبث
٨١	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات
٨٦	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
البطن	
٩٣	
٩٣	
٩٥	
٩٦	
٩٨	
١٠١	
والعين	

صفحة	صفحة
١٥٤ الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين	١٠٤ (كتاب آفات اللسان)
١٥٦ الآفة الثامنة عشرة للدح	وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات
١٥٧ يان ما على المدوح	١٠٥ يان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٥٨ الآفة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق الخطأ في حقوى الكلام	١٠٨ الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لا يهنيك
١٥٩ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ	١١١ الآفة الثانية فضول الكلام
١٦٠ (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)	١١٢ الآفة الثالثة الخوض في الباطل
وهو الكتاب الخامس من ربيع المهلكات	١١٣ الآفة الرابعة الرأء والجدال
١٦١ يان ذم الغضب	١١٥ الآفة الخامسة المحسومة
١٦٣ يان حقيقة الغضب	١١٦ الآفة السادسة التعرف في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة الخ
١٦٥ يان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا	١١٧ الآفة السابعة الفحش والسب وبداءة اللسان
٢٦٨ يان الأسباب المهيجة للغضب	١١٩ الآفة الثامنة اللعن
١٦٩ يان علاج الغضب بعد هيجانه	١٢٣ الآفة التاسعة الغناء والشعر
١٧١ يان فضيلة كظم الفيظ	١٢٤ الآفة العاشرة الزاح
١٧٢ يان فضيلة الحلم	١٢٨ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
١٧٥ يان القدر الذي يجوز الاتصا والتشفي به من الكلام	الآفة الثانية عشرة إفشاء السر
١٧٧ القول في معنى الحقد وتأنيجه وفضيلة العفو والرفق	١٢٩ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٧٧ فضيلة العفو والاحسان	١٣٠ الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين
١٨١ فضيلة الرفق	١٣٤ يان ما رخص فيه من الكذب
١٨٣ القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته	١٣٦ يان الحذر من الكذب بالمعاريض
يان ذم الحسد	١٣٨ الآفة الخامسة عشرة النية
١٨٥ يان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه	١٤٠ يان معنى النية وحدودها
١٨٨ يان أسباب الحسد والنافسة	١٤٢ يان أن النية لا تقتصر على اللسان
١٩٠ يان السبب في كثرة الحسدين الأمثال والأقران والإخوة وبني الم والأقارب وتأكد كده وقتله في غيرم وضعفه	١٤٣ يان الأسباب الباعثة على النية
١٩٢ يان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب	١٤٥ يان العلاج الذي يهينع اللسان عن النية
	١٤٧ يان تحريم النية بالقلب
	١٤٨ يان الأعداد للرخصة في النية
	١٥٠ يان كفارة النية
	١٥١ الآفة السادسة عشرة النجيمة
	١٥٢ يان حد النجيمة وما يجب في ردها

صفحة	صفحة
٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ يان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب
وهو الكتاب الثامن من ربيع للهلكات وفيه شطران	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه يان ذم الشهرة ويان فضيلة التحول الخ	وهو الكتاب السادس من ربيع للهلكات
يان ذم الشهرة وانتشار الصيت	١٩٧ يان ذم الدنيا
٢٧٠ يان فضيلة التحول	٢٠٦ يان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها
٢٧١ يان ذم حب الجاه	٢٠٩ يان صفة الدنيا بالأمثلة
٢٧٢ يان معنى الجاه وحقيقته	٢١٤ يان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٧٣ يان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشدida المجاهدة	٢١٩ يان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردتهم
٢٧٦ يان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقيقة له	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
٢٧٨ يان ما محمد من حب الجاه وما يندم	وهو الكتاب السابع من ربيع للهلكات
٢٧٩ يان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للدم وتفرتها منه	٢٢٦ يان ذم المال وكراهة حبه
٢٨٠ يان علاج حب الجاه	٢٢٨ يان مدح المال والجمع بينه وبين الدم
٢٨١ يان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الدم	٢٣٠ يان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٨٣ يان علاج كراهة الدم	٢٣٢ يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس لما في أيدي الناس
٢٨٤ يان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم	٢٣٥ يان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه	٢٣٧ يان فضيلة السخاء
يان ذم الرياء إلى آخره	٢٤٢ حكايات الأسخياء
٢٨٦ يان ذم الرياء	٢٤٧ يان ذم البخل
٢٩٠ يان حقيقة الرياء وما يرامى به	٢٥٠ حكايات البخل
٢٩٣ يان درجات الرياء	٢٥١ يان الإيثار وفضله
٢٩٧ يان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل	٢٥٣ يان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٩٩ يان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلل ، ومالا يحبط	٢٥٥ يان علاج البخل
٣٠٢ يان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	٢٥٧ يان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله
	٢٥٨ يان ذم التقى ومدح الفقر

صفحة	صفحة
٣٤٤	٣٠٨
بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر	بيان الرخصة في تصد إظهار الطاعات
٣٤٨	٣١١
بيان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له	بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
٣٥٨	٣١٣
بيان غاية الرياضة في خلق التواضع الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ	بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٥٩	٣٢٠
بيان آفة العجب	بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
٣٦٠	٣٢٣
بيان حقيقة العجب والإدلال وحدها بيان علاج العجب على الجملة	بيان ما ينبغي للمرشد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٦٣	٣٢٦
بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه	(كتاب ذم الكبر والمعجب)
٣٦٧	
(كتاب ذم الغرور)	وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات وفيه شطران
وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات	٣٢٧ الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ
٣٦٨	
بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله	بيان ذم الكبر
٣٧٦	٣٢٩
بيان أصناف الغرور وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف	بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب
أصناف الأول أهل العلم والمفترون منهم فرق	٣٣٠ بيان فضيلة التواضع
٣٨٩	٣٣٤
الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل والغرورون منهم فرق كثيرة الخ	بيان حقيقة الكبر وآفته
٣٩٢	٣٣٦
الصنف الثالث المتصوفة والمفترون منهم فرق كثيرة الخ	بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه
٣٩٥	٣٣٨
الصنف الرابع أرباب الأموال والمفترون منهم فرق الخ	بيان مابه التكبر
	٣٤٣
	بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له

[تم]

فهرس

بقية عوارف المعارف للمهروردي الذي بالمهامش

صفحة	صفحة
٢٤٧	٢
الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤	١١٠
الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنطار	الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥	١٢٣
الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه	الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨	١٣٩
الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من الصلحة والفسدة	الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥	١٥١
الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
٣١٥	١٦١
الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصد في	سنن الوضوء ثلاثه عشر
٣٤٠	١٦٢
الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣	١٧٣
الباب السادس في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم	الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠	١٨٩
الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١	٢٢٥
الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل	الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها